Rauḍat al-farīd wa-salwat al-farīd

Sim‘ān Ibn-Kalīl Ibn-Maqāra

Sim‘ān Ibn-Kalīl Ibn-Maqāra

urn:nbn:de:hbz:5:1-7827

Goüssan 2212

اقرعوا يفتح لكم وبقوله أيضا اذا اتفق اثنان منكم على الارض فى كل شئ يطلبانه فانه يكون لهما هذا اذا كنا لا نضجر عند تأخير طلباتنا ولا نتذمر اذا طال الامر فى قضى حاجتنا ونكون سالكين فى الطريق التى سلك فيها ابرهيم الخليل تابعين ايمانه بوعد الله الجميل اذ قال له ان باسحق يدعى لك النسل ولما امتحن بذبحه لم يشك فى وعد الله وسارع الى ذبحه ورفعه قربانا وحينئذ فداه الله بالكبش فدآه فاذا نحن حذونا هذا المثال كنا ناجين من مزلقات الضلال وكانت مصابيحنا مشرقة مضيئة وأعمالنا مشكورة مستجبة مرضية مستمرين فى عبادة الله بالدوام متمسكين بوصاياه بالكمال والتمام لكيما يفيض علينا الجزيل من ثوابه ويغمرنا بالاحسان فى مآربه وينقذنا من أليم العذاب الذى لا يليس وأجزابه له المجد من الآن وكل أوان والى دهر الداهرين آمين

تم طبع هذا الكتاب المبارك
بالمطبعة الوطنية يوم الخميس ٩ ايب
سنة ٦٠٢ للشهداء الاطهار
وعلى الله حسن الختام

تم

تكون بالقول فقط بل بالعقل والتمييز الذى فينا مشترط نقر بازليته البارى
وربوبيته ونعترف بقدوم وحدانيته ونمتثل لما أمرنا به من الاعمال المستقيمة
ولما نهانا عنه من الافعال القبيحة الذميمة ونصدق ماوعد به الاخيار من الخيرات
العتيدة والحيوة المؤبدة المديدة وماتوعد به الاشرار من العذاب الاليم والهبوط
الى الظلمة وقرار الجحيم فمن حاسب نفسه سلم ومن حفظ دينه غنم فيجب علينا والحالة
هذه أن يكون اعتمادنا على السعى بالاستقامة لكى ندرك ماأعده للاخيار من
التبجيل والكرامة ونصعد الى مواطن الأمن والسرور ونبتهج بالنعيم الدائم
الحبور ونخلص نفوسنا من دار الشقاء ونحل فى منازل العزوا لبقاء فان فعل الخير من
الواجبات وترك الشر من الخصال المستحسنات فما أنصف نفسه من لم يعتن
بالحساب وزهد فى تحصيل الاجر والثواب فينبغى لمن اتقى مهابة ربه واعترف بخطاه
وذنبه أن يستعين فى أموره بصلوات الابرار والتضرع الى الله فى الليل والنهار الى
أن يشمله بالعناية الالهية ويسعفه بالنجاة من الحبائل المصلية ويجعله وارثا للنعيم الذى
لايفنى ويغبطه بالعيش اللذيذ الذى لايبلى وان الكريم من كف اذاه والقوى من
غلب هواه وينبغى لنا أن لانقطع الرجاء وان عظمت ذنوبنا ولانيأس من رحمة الله
وان كثرت مناقصنا وعيوبنا بل نصدق باليقين الثابت الصحيح والقلب المتألم الجريح
ماقد وعد به للتائبين عند رجوعهم اليه وماقد أعده لهم من الخيرات اذا جعلوا
اعتمادهم عليه من غير شك ولا ارتياب ولا تشويش ولا اكتئاب وانا نحن اذا رجعنا
اليه عن خطايانا العظيمة وأفعالنا القبيحة الذميمة قبلنا برحمته الواسعة وشملنا برأفته
الجزيلة النافعة ورفعنا الى منازل الصالحين وجاورنا بالملائكة المقربين فلا يليق
بنا الآياس الى قطع الرجاء والاستمرار على النفاق والردى فنكون معدودين فى
جملة الهالكين ومحسوبين فى زمرة المنافقين بل نتحقق بالضمير الصادق والرأى
الثاقب الموافق ان الله صادق الوعد ووافى القول والعهد وانا متى سألناه فى غفران
الزلات والصفح عما جنيناه من السيآت استحقينا بالسؤال المسامحة عن الذنوب
والتجاوز عن المعاصى والعيوب والزيادة على ذلك بالنعيم المؤبد والسرور الدائم
المخلد وانى لمتيقن بوعده الكريم وقوله الثابت المقيم اسألوا تعطوا اطلبوا تجدو

ينجس الانسان * وقال ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى
الانسان فداء عن نفسه * وقال كل من ترك بيتا أو أخا أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة
أو ابنا أو حقولا أو بنينا من أجل اسمى الاويأخذ مائة ضعف فى هذا العالم ويرث
حيوة الابد * وقال من هو العبد الحكيم الذى يقيمه سيده على بيته ليعطيهم طعامهم
فى حينه طوبى لذلك العبد الذى يأتى سيده فيجده يعمل هكذا الحق الحق أقول
لكم انه يقيمه على جميع ماله لان من له يعطى ويزداد ومن ليس له يؤخذ منه وقال
اردد سيفك الى غمده لان كل من أخذ بالسيف فبالسيف يهلك وقال اذهبوا الآن
وتلمذوا كل الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم حفظ جميع
ما أوصيتكم به وهوذا أنا معكم كل الايام والى انقضاء العالم آمين فقد وجب
علينا بهذا القول الصحيح المرشد البين النصيح الذى صرح به الكتاب الكريم باعلان
من غير سر ولا كتمان أن نعلم بالعلم اليقين من طريق الحق والدين ان الاعمال
كمال الايمان وحفظ الوصايا فريضة مؤكدة البيان بها تخشع قساوة القلوب
وتحيد المرء عن مسالك الذنوب ثم يجتنب الغش والنميمة والسعاية والتهديد
والشتيمة وذلك ان الانسان اذا لم يصدق ان وصايا الله من الفرائض اللازمة
والحقوق الواجبة الجازمة فلا يؤمل فى عملها ثوابا ولا يخشى من مخالفتها عقابا ولا
يتيقن ان عملها يطهره من النجس ولا ينقيه من الرجس والدنس وقد قيل ان أفضل
الناس من لم تفسد الشهوات دينه ولم تغير الشبهات يقينه وذلك لان الذى قد
تيقن باليقين الصادق وجود الاله القادر الخالق الذى يرى جميع الموجودات على
اختلاف أجناسها وأنواعها وأحس التدبير فى ترتيب نظامها وأوضاعها يجب له أن
يعرف انه محيط بكل شئ علما ولا تحيط بجلالته نهايات العلوم جزما وانه عالم بما فى
الضمائر والنيات وما تحويه الافكار من الصالحات والسيآت والتصديق
بالمجازاة على الاعمال الصالحة والمكافأة على الاعمال الردية الطالحة وذلك ان
الشريعتين العقليتين قد اجتمعا على رأى واحد وقول جازم غير فاسد ان العالم له
علة أخرجته من العدم الى الوجود حائرة الامر فى تدبيره على النظام المقصود ولهذا قال
الرب مهما استطعت فآمن فان من يؤمن يمكنه كل شئ فالامانة اذا لا يجب أن

هكذا فليضئ نوركم قدام الناس ليروا أعمالكم الحسنة و يمجدوا أباكم الذى فى السموات * وقال سمعتم ماقيل للاولين لاتحنث فى يمينك وأوف للرب قسمك وأنا أقول لكم لاتحلفوا البتة لا بالسماء فانها كرسى الله ولا بالارض لانها موطئ قدميه ولا باورشليم فانها مدينة الملك العظيم ولا تحلف برأسك لانك لاتقدر أن تصنع شعرة بيضاء أوسوداء ولتكن كلمتكم نعم نعم ولا لا ومازاد على هذا فهو من الشرير * وقال سمعتم ماقيل للاولين لاتقتل ومن قتل وجبت عليه الدينونة وأنا أقول لكم ان كل من غضب على أخيه باطلا فقد وجبت عليه الدينونة ومن قال لاخيه يا أحمق وجبت عليه لائمة الجماعة وقال لاتدينوا لئلا تدانوا وبالكيل الذى تكيلون به يكال لكم وقال لماذا تنظر القذا الذى فى عين أخيك ولا تفطن للخشبة التى فى عينك وكيف تقول لاخيك دعنى أخرج القذا من عينك وفى عينك خشبة يامراءى اخرج الخشبة أولا من عينك وحينئذ تنظر أن تخرج القذا من عين أخيك وقال ان كثيرين يأتون من المشرق والمغرب فيتكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات وبنو الملكوت يلقون فى الظلمة البرانية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان * وقال ليس التلميذ أفضل من معلمه ولا العبد أفضل من سيده حسب التلميذ ان يكون مثل معلمه والعبد مثل سيده وقال كل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا به قدام أبى الذى فى السموات وقال كل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب وكل مدينة أوبيت ينقسم على ذاته لايثبت * انما يتكلم الفم من فضل مافى القلب الرجل الصالح من كنزه الصالح يخرج الصلاح والرجل الشرير من كنزه الشرير يخرج الشر * وأقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس يعطون عنها جوابا فى يوم الدين لانك من كلامك تبرر ومن كلامك يحكم عليك وقال كل غرس لا يغرسه أبى السماوى يقلع من أصله وقال أعمى يقود أعمى يقعان كلاهما فى حفرة وقال أما تعلمون ان كل مايدخل فم الانسان يصل الى البطن وينطرد الى المخرج فاما الذى يخرج من الفم فهو يخرج من القلب وهذا الذى ينجس الانسان لانه يخرج من القلب الفكر الشرير القتل الزنا الفسق السرقة شهادة الزور التجديف هذا الذى ينجس الانسان فاما الاكل بغير غسل فليس

صابرين وكونوا على الصلاة مداومين وكونوا للفقراء مساكين وكونوا
للغرباء محبين وقال وأما الرجل الجاهل فاذا وعظته مرة واثنين ولم يتيقظ فاجتنبه
واعلم ان من كان هكذا فهو ممتنع وهو المشجب لنفسه وقال يعقوب الرسول اذا
أردت أيها الانسان البطال ان تعلم ان الايمان بغير أعمال ميت هو فانظر الى ابرهيم
أبينا أليس من أعماله صار بارا حين أصعد ابنه اسحق على المذبح الا ترى ان الايمان
أعانه على الاعمال وبالاعمال أكمل ايمانه وتم الكتاب الذى قال آمن ابرهيم بالله
وحسب له ذلك برا ودعى خليل الله أما ترون الآن ان بالاعمال يصير الانسان بارا
لا بالايمان وحده وكما ان الجسد بغير روح ميت كذلك الايمان بغير أعمال هو أيضا
ميت وكل من لا يذنب فى كلامه فهو الرجل الفاضل وذلك يستطيع أن يلجم جسده
كله وكما اننا نضع اللجم فى أفواه الخيل كيما تنقاد لنا فتنقاد جميع أجسادها
وكذلك نصرف السفن العظام اذا ساقتها الرياح الصعبة بالسكان الصغير الى
حيث يكون مراد صاحبها كذلك اللسان أيضا فانه عضو صغير وهو يأتى بالعظائم
وقال قل للذين يقولون نحن اليوم أو غدا نمضى الى المدينة الفلانية فنقيم بها سنة
واحدة ونتجر ونربح وهم لا يدرون ماذا يكون فى غد أما ترون ان حياتنا كالدخان
يرى قليلا ثم ينقطع * وقال من عرف خيرا فليعمله ومن لا يعمله فهو يخطئ * وقال
بطرس الرسول أيها الاحباء أنا أسألكم كالغريب والضيف أن تبعدوا من
الشهوات الجسدانية اللواتى يقاتلن أنفسكم وليكن تصرفكم بين الشعوب حسنا
ليكون الذين يقصدونكم بالشر اذا نظروا أعمالكم الصالحة يسبحون الله فى
يوم الفحص * وقال كونوا مستعدين فى كل حين لمجاوبة من يسألكم عن
الكلام من أجل الرجاء الذى فيكم لكى تخاطبوه بغاية التأنى والمخافة فذلك أصلح
لكم لتخزوا القوم الذين يتقولون عليكم الشر والذين يظلمون تقليكم الصالح بالمسيح
* وقال واذا كان البار بالكد يخلص فالكافر والخاطئ أين يوجدان وقال يوحنا
الرسول وقد علمنا ان كل مولود من الله فانه لا يخطئ لان ولادته من الله هى حافظة
له من أن يقترب من الشرير * وقال أيها الحبيب لا تتشبه بالرجل الشرير بل بالخير لان
الذى يعمل الخير هو من الله وأما من يعمل الشر فانه لم ير الله * وقال الانجيل المجيد

هكذا

الشمس على غيظكم * وقال فاما الزنا وكل النجاسة والغشم فلا يذكرن ذلك بينكم ذكرا كما يليق بالاطهار ولا الشتم ولا كلام السفه والهزؤ واللعب هذه الخصائل التى لا ينبغى بل اجعلوا بدل هذه القبائح الشكر لله وكونوا تعرفون هذا ان كل انسان يكون زانيا أو نجسا أو غاشما فهو كعابد الاوثان ولا نصيب له فى ملكوت الله ومسيحه ومن الآن يا اخوة تقووا بربنا وبمنعة يديه وتدرعوا بجميع سلاح الله لتستطيعوا مقاومة حيل الشيطان المحال فان جهادكم ليس مع لحم ودم بل مع الرؤساء والسلطين مع ولاة هذا العالم المظلم ومع الارواح الخبيثة التى تحت السماء ومن أجل ذلك ألبسوا جميع سلاح الله لتقدروا على لقاء الشيطان الخبيث واذا كنتم مستعدين بكل شئ تثبتون فانهضوا الآن وشدوا ظهوركم بالقسط والبسوا درع البر وانعلوا أقدامكم بعدة انجيل السلام وقال والكلمة صادقة ان اشتهى أحد القسوسية فقد اشتهى عملا صالحا ويجب ان يكون القسيس ممن لا يوجد فيه عيب ويكون بعل امرأة واحدة متيقظا فى الضمير عفيفا موقرا محبا للغرباء عالما غير مدمن على شرب الخمر ولا تسرع يده الى الضرب بل يكون متواضعا ولا يكون شجابا ولا محبا للمال يحسن تدبير بيته وتدبير بنيه ويحملهم على الطاعة وجميع الطهارة فانه اذا كان لا يحسن تدبير بيته فكيف يحسن تدبير بيعة الله ولا يكون حديث الايمان لئلا يستكبر ويقع فى عقوبة الشيطان وينبغى أيضا أن تكون له شهادة حسنة من المخالفين لئلا فى الايمان لئلا يقع فى العار وفى حبائل الشيطان وكذلك يجب على الشمامسة أن يكونوا أتقياء ولا يكونوا متكلمين بلسانين ولا يكونوا ممتلئين من الخمر غير محبين الكسب النجس بل ممسكين بسر الايمان بنية خالصة والامر فى هؤلاء ان يمتحنوا أولا ثم بعد ذلك يخدمون اذا كانوا بلا لوم وقال والرب يعرف أولياءه وكل من يدعو باسم الرب يفارق الاثم وقال أيضا والبيت الكبير ليس فيه آنية الذهب والفضة فقط بل وآنية الخشب والخزف أيضا فبعضها للكرامة وبعضها للهوان فان طهر أحد نفسه من هذه القبائح يكون اناء نقيا للكرامة يصلح لخدمة ربه اذ هو أعد لكل عمل صالح * وقال كونوا مرتاحون بالروح وكونوا لربكم عابدين وكونوا فرحين برجائكم وكونوا على الشدائد

لقريبه حفرة يسقط هو فيها * وقال اللسان الكذوب يمقت الصدق وفم لاغطاء
عليه يصنع حوالب للهجو والشغب * وقال لاتفتخر بما يكون فى الغد فانك لاتعلم
ماينتجه اليوم الوارد * وقال من يكثر غناه بالربا والاستغنام انما يجمعه لمن يرحم
المساكين وقال المنحرفون عن الشريعة تجوزهم الخيرات ولايدخلون فيها وقال من
يعمل فى أرضه سيشبع خبزا ومن يقصد الفراغ والبطالة يمتلئ فقرا * وقال
الصديقون اذا مدحوا فالشعوب يسرون والمنافقون اذا تراسوا ضاقت الناس
باموالهم * وقال اذا حكم الملك للمساكين بالحق فقد انتصب كرسيه للشهادة وقال
الانسان الصديق رذالة عند الرجل الظالم والطريق المقومة مرذولة عند الحائد
عن الشريعة * احفظ قدميك فى الوقت الذى تذهب فيه الى بيت الله وأقرب من
القريب الاستماع لتكن ضحيتك أفضل من عطية الجهال وقال اذا نذرت نذرا لله
لاتتباطئ أن تقضيه لان مشيئة الله ليست فى الجهال جميع ماتنذره أنت فاقضه
والافلا تنذر أفضل من أن تنذر ولاتف * وقال لاتكن قاسيا ئلا تموت فى غير
وقتك * وقال بولس الرسول فأيما انسان أكل من خبزربنا وشرب من كأسه وليس
باهل له فقد أذنب الى جسد ربنا ودمه ومن أجل ذلك فليمتحن الانسان ذاته أولا
ويصلحها وحينئذ فليأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس فمن أكل
وشرب وهو لايستأهلها فانما يأكل ويشرب شجبا لنفسه اذلم يعرف جسد ربنا حق
معرفته ولذلك كثر فيكم المرضى وذوى الاسقام وكثر الذين ينامون بغتة ولو انا ندين
أنفسنا لما وقعنا * وقال فان أنتم سستم أنفسكم ودبرتموها بالروح فلستم تحت نير
الناموس وأعمال الجسد معروفة التى هى الزنا والنجاسة والغدر وعبادة الاوثان
والسحر والعداوة والرياء والغيرة والحمية والعصيان والتقاطع والنفاق والحسد
والقتل والسكر واللهو وما أشبه هذه الاشياء والذين لايفارقون ذلك كما قلت
لكم أولا وأقول الآن أيضا فانهم لاينالون ملكوت الله وأما ثمار الروح فهى المحبة
والفرح بالله والصلح والاناة والسهولة وفعل البر والايمان والتواضع والصبر
والذين هم هكذا فلا ناموس عليهم * وقال ولهذا فاطرحوا عنكم الكذب وليكلم
كل واحد منكم قريبه بالحق فانا أعضاء بعضنا بعض اغضبوا ولاتأثموا ولاتغب

الشفاه الكاذبة * وقال من يكافئ عوض الصالحات بالطالحات فذاك لا يصرف الاسواء من منزله * وقال الذى لسانه سريع التغير والتقلب يسقط فى الاسواء وقال لا يسر الاب بابن لا أدب له والابن الحازم العقل تفرح به أمه * وقال الابن الجاهل غيظ لابيه ووجع لامه وقال اذا سأل من لا فهم له حكمة يحسب له سؤاله حكمة وقال فم الجاهل يسوقه الى الاسواء وفم المتهجم يستدعى الموت وقال من يجاوب كلاما قبل أن يسمعه فذلك غباوة له وعار وقال الشاهد الكذوب لن يتبرأ من العقاب ومن يتعدى وهو ظالم لا ينفلت * وقال الحكمة زينة الشاب والشيب شرف الشيوخ * وقال من يحفظ فاهه ولسانه يصون ذاته من الهلاك وقال اخرج صاحب الفساد من المجمع فتخرج معه مفسدته وقال فم المتجاوز الشريعة هوة عميقة ومن يمقته الرب يسقط فيها * وقال ليكن توكلك على الرب فيعرفك طرقه * وقال لا تمتنع من تأديب الصبى فانك ان ضربته بعصى لن يموت تضربه بعصى فتخلص نفسه من الموت * وقال يا بنى لا تماثل الناس الاشرار ولا تؤاثر أن تكون معهم فان قلوبهم تتلوا أمورا كاذبة وشفاههم تتكلم بالغش * وقال الرب يقضى على كل أحد نظير أعماله * وقال لا تفرح بعامل الاسواء ولا تشابه الخطاة فان مصباح المنافقين ينطفئ * وقال الولد الردى أسنانه سيوف وأضراسه فؤوس قاطعة * وقال الولد الردى يلعن أباه ولا يبارك أمه * وقال من يقول ان المنافق عدل هو سيكون عند الشعوب ملعونا وفى الامم ممقوتا والذين يوبخون يظهرون مفضلين والبركة الصالحة توافيهم وقال العين الضاحكة على أبيها والمهينة بشيخوخة أمها تقورها الغربان من محاجرها وتأكلها فراخ النسور * وقال ادخل رجلك الى صديقك قليلا لئلا يملك فيمقتك وقال مثل العصى والسيف والسهم الحاد نصله هكذا الانسان الذى يشهد على صديقه شهادة كاذبة وقال الرسول * ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه فانك اذا فعلت هذا فانما تجمع على رأسه جمر نار والرب يجازيك بالصالحات * وقال مثل طيور وعصافير تطير كذلك اللعنة الباطلة لا تأتى أحدا وقال * من زرع الطالحات يحصد السيئات وقال لا تغير حدودا قديمة قد وضعتها آباؤك * وقال أقوال الملقين لينة وهى تخرج بواطن الحشا * وقال من يحفر

يد انى يد ظلما لن يكون غير معاقب * وقال نفوس الذين يتجاوزون الشريعة تنتزع قبل حينها فاذا كان الصديق بالجهد يخاص فالمنافق والفاجر أين يظهران وقال الى حيث ما اتجه المنافق يبيد ويهلك ومنازل الصديقين تبقى ثابتة وقال الخاطئ من أجل خطاء شفتيه يسقط فى الفخاخ والصديق يفلت منها * وقال من ثمرات انفسهم تمتلئ نفس الانسان خيرات وسيعطى مكافأة شفتيه * وقال الشفاة الصادقة تتقن الشهادة والشاهد المحول له لسان ظالم * وقال من يحفظ فمه يصون ذاته والجسور بشفتيه يدهش نفسه وقال النور للصديقين كل حين وضوء المنافق ينطفى * وقال من يهون بأمر يهون به ذلك الامر * وقال الابن الخاش لا يكون له شئ صالح والعبد الحكيم سيكون له طريق لاعماله ميسرة وتتقوم طرقه بسرعة * وقال من يماشى الحكماء يكون حكيما ومن يماشى طامحا مع الجهال يغرق وقال الخاطئون تطردهم شرورهم والمقسطون تدركهم الخيرات * وقال الصديقون المقسطون يعيشون فى الغنى سنين كثيرة والظالمون يهلكون سريعا وقال من يشفق على عصاه يحقت ابنه ومن يحب ابنه يؤدبه باهتمام * وقال الشاهد العادل لن يكذب والشاهد الظالم يحترق بالكذب * وقال منازل المنافقين تضمحل وتبيد ومنازل المتقومين تبقى ثابتة وقال قد تكون طريق تظن الناس انها مستوية وأواخرها تفضى الى أعماق الجحيم * وقال الجاهل يتوكل على ذاته و بثقة نفسه يخالط الاثيم * وقال العدل يرفع شأن الامة والخطايا تنقص القبائل * الخادم اللبيب مقبول عند الملك ويحسن تصرفه ينزع الهوان * الجاهل بتأديب أبيه يتهزأ ومن يحفظ وصايا ه ذريته متوافرة * ضحايا المنافقين رذالة عند الرب ونذور المتقومين مقبولة عنده * وقال ضيافة بقبول للصداقة والانعام أفضل من تقدمة تحمل بمعاداة طرق الناس الصديقين مقبولة عند الرب لان بها تصير الاعداء أصدقاء وقال مبدأ الطريق الصالح فعل العدل وهى مقبولة عند الله أكثر من تضحية الذبائح * وقال غضب الملك رسول الموت والانسان الحكيم يستعطفه * وقال الاقوال الحسنة كشهد العسل وحلاوتها شفاء النفس وقال الرجل المتجاوز الشريعة يجرب أصدقاءه ويسوقهم الى طريق ليست صالحة وقال الطالح يطيع ألسن العادلين عن الشريعة والصديق لا يصغى الى

ردیا فیعتل یا لخطا یا مع عاصی الاثام وقال سلیمان الحکیم * حسد البشر یسود
الحسنات وقال فی الامثال کما قال أبوه مبدأ الحکمة مخافة الله والفهم الصالح
لجمیع الذین یعملون به وقال * تفهم العدل والانصاف وقوم اعمال الوصایا الصالحة
کلها یحفظك الرأی السدید ویصونك الافتکار البار حتی ینقذك من الطریق
الردی ومن رجل یتکلم بما لا صدق فیه وقال * لا تدرکك المشورة الردیة المشارکة
تعلیم الحداثة والناسیة العهد الالهی لان منزلها الموت وأعمالها عند الجحیم فجمیع
السالکین فیها لا یرجعون ولا یدرکون سبلا مستقیمة * وقال بکافة التحفظ احفظ
قلبك فان منه مخارج الحیوة انزع منك الفم الملتوی وابعد عنك الشفتین الظالمتین
بعیدا وعیناك فلتبصر أمورا مستویة وأجفانك فلتؤتی اشاراتها مقسطة واجعل
لرجلیك طرقا مقومة وقوم طرقك لا تحنح یمنة ولا یسرة واردد رجلیك عن الطرق
الردیة * وقال فخ قوی للانسان شفتاه لانه یوهق بشفتی فمه * وقال الشاهد الظالم
یحترق بکذبه وقال اتخذوا علما وأدبا ولا تتخذوا الفضة فاقتبسوا معرفة أفضل من
الذهب الابریز اذ محسوسات الذهب الفنی تندرس والحکمة أفضل من الجواهر
الجزیلة قیمتها * وقال من یؤدب الاردیاء یکسب لذاته هوانا ومن یوبخ المنافقین
یخترع لنفسه عیبا لان التوبیخ عند الملحد جراحات له لا توبخ الاردیاء لئلا یمقتوك
وبخ الحکیم یحبك اعط الحکیم حجة فیکون أوفر حکمة وقال * مشورة الصدیقین
فقه * وقال الابن الحکیم یسر أباه والابن الجاهل یحزن أمه * وقال برکة الرب علی
رأس الصدیق ولم ینضاف الیها حزن فی قلبه * وقال القلب الحکیم یقبل الوصایا
* وقال من یغمز بعینیه یغش جمیع الناس والذی یوبخ بجاهدة یصطنع السلامة
وقال لسان الصدیق فضة مختبرة وقال شهوة الصدیق مقبولة وقال فی عبور الزوبعة
یبید المنافق وقال العدل یمهد ویقوم طرقا لا عیب فیها والمنافق یتهور فیه الظلم
عدل الناس المتقومین ینجیهم والعادلون عن الشریعة یبیدون بألحادهم * اذا توفی
الرجل المقسط فرجاه لا یهلك وفخرا المنافق یضمحل الصدیق ینفلت من الفخ ویدفع
المنافق عوضه وقال فی فم المنافقین فخ لاهل المدینة وحسن الصدیقین رجاهم *
وقال الابن الصدیق یولد للحیوة ورکض المنافق یجری الی الموت وقال * من یلقی

قوته * وقال اكفف من السخط ودع الغضب ولا تباد الشر فان الاشرار جميعا
يبيدون * وقال أعداء الرب حين يرتفعون ويتمجدون يذهبون ومثل الدخان
يضمحلون وقال * الفاجر يقترض ولا يوفي والبار يترأف ويعطي * وقال ان سقط
البار لم يجزع لان الرب ماسك بيده * وقال فم الصديق ينطق بالحكمة ولسانه
يقول العدل وسنة الهه في قلبه * وقال تمسك بالدعة وانظر بالاستقامة فان عاقبة
الرجل المستقيم سلامة * وقال خلاص الابرار من عند الرب وهو ناصرهم في زمن
الشدة الرب عونهم ومنجيهم ومنقذهم ومن الخطايا يخلصهم لانهم توكلوا عليه * وقال
وكل انسان حي تنقضي حياته الا ان الانسان يمشي بصورة وكالفي يزول يذخر
الذخائر ولا يعلم من يأخذها * وقال انسان في كرامة وجهلها شبه بالبهائم التي لا عقل
لها وماثلها وقال لا يحزنك اذا كان الرجل مستغنيا ولا اذا كثر مجده وكثرت نعمة
بيته فانه لا ينال عند موته شيئا ولا ينزل معه ما اقتنى * وقال * قال الله للخاطي لماذا
تخبر بعدلي وتأخذ بفيك عهدي وأنت شنئت موعظتي وطرحت وراء ظهرك
كلامي ان رأيت سارقا سعيت معه ومع الفاسق جعلت نصيبك فمك يتكلم بالشر
ولسانك ينطق بالظلم ان أنت جلست تغتاب أخاك وفي ابن أمك تشك * وقال جميع
بني البشر كالفي ذاهبون والذين يختلسون بالموازين كاذبون وهم باجمعهم خائبون
وقال لا تعتمدوا على الظلم ولا تبتغوا النجس ولا تفرح قلوبكم بما تذخرون * وقال
يا نفسي باركي الرب ولا تنسي كل حسناته لانه غافر جميع آثامك ومشفي كل أسقامك
ومنقذ من الفساد حيوتك يشملك بالرحمة والرأفة يعطيك شهواتك من الخيرات
يجدد شبابك كشبل النسر وقال * وللرب اطلبوا وبه اعترفوا واوجهه في كل حين ابتغوا
واذكروا عجائبه التي صنع وأعماله * وقال اذا لم يبن الرب البيت فباطل تعب
البناؤون واذا لم يحرس الرب المدينة فباطل تعب سهر حراسها * وقال فأين اذهب
من روحك وأين اهرب من وجهك ان رقيت الى السماء أو هبطت الى الجحيم فأنت
هناك وان ارتفعت بجناحين كالنسر وسقطت في أقاصي البحر فهناك يدك تمسكني
وتهديني بيمينك وقال رجل ذو لسانين لا يستقيم على الارض الرجل الظالم يبتغي الشر
لهلاكه وقال * اللهم اجعل لفمي حافظا وعلى شفتي سترا حصينا لئلا يهوى قلبي كلاما

والتوانى يورث الملل فتيقظ ببصيرتك النيرة الصالحة ونباهة عقلك المضيئة الراجحة لئلا تأتى اللصوص فى وقت لا تعلمه وزمان لا تفهمه فيسرقون متاعك الذى اقتنيته ويفقرونك مما قد ملكته واحتويته وتصير عارا بين اخوانك وحقيرا عند نصرائك وأعوانك * فكر أيها الصالح فى اضطهاد القديسين وجهادهم وكونهم لم يرجعوا عن بلوغ مرادهم بأعمالهم المستقيمة وفضائلهم الثابتة المقيمة وما قد صار اليهم من الفرح الدائم والسرور الخالد الملائم فتنشط الى أعمالهم وصر الى ما كهم ولا تدع الفكر فيما صار الخطاة اليه من الهوان والعذاب والآلام المضر والعقاب لكيما تكون على حذر من أفعالهم الردية وتفر من تصرفاتهم الدنية فينجيك الله من صعوبة عذابهم وينقذك من شدة مصابهم وعقابهم واعلم ان التاجر الخبير فى تجارتهم يربح فى كل يوم ربحه من خسارته فيميل الى طريق الربح والسلامة ويحيد عن سبيل الخسران والندامة فاعتمد على اعتماده تسعد فى مقاصدك واحذ حذوه تنجح فى فوائدك ويحسبك الله فى جملة الابرار ويعدك مع صديقيه الاطهار * اذا كان المقدم ممتلئا من جراحاته القديمة ويأمر شعبه بالسعى فى الطريق المستقيمة يكون بمنزلة الطبيب الجاهل الذى يداوى المرضى بالسم القاتل * مجالسة المستهزئين تجلب العار ومصاحبة الاشرار تورث الدمار فاهرب اذا من هذه المصاحبة وفر من المجالسة المداعبة لئلا تسقط فى رذائل اللهو والمزاح وتيأس نفسك من مواهب الخير والصلاح * قال داود النبى لا تسكن اله لا ترضى الاثم ولا يحل فى مسكنك شرير ولا يثبت مخالفو وصاياك بين يديك أبغضت جميع فاعلى الاثم وأبدت كل الناطقين بالكذب وقال خاصنى يارب فقد فنى البار وقلت الامانة من بنى البشر تكلم كل واحد فى قريبه بالباطل بشفه غاشة وقلب مختلف الرب يبيد كل الشفاه الغاشة والالسن المتعظمة بالقول وقال حاد جميعهم ورذلوا ليس من يعمل صالحا ليس ولا واحد وقال هؤلاء بالمراكب وهؤلاء بالخيل ونحن باسم الرب الهنا نذكرهم هم اشتبكوا وسقطوا ونحن نهضنا واستقمنا وقال اطلع الرب من السماء ورأى جميع بنى البشر من مسكن قدسه ونظر الى جميع سكان الارض الذى خلق وحده قلوبهم يعلم جميع أعمالهم وقال لا يغلب ملك بكثرة جنوده ولا ينجو الجبار بكثرة

وهذا يتولد فى طوية الانسان من ترك التميز والفكر وقلة الايمان وذلك لان أخلاقه مائلة الى الشهوات الدنسة جانحة الى اللذات السمجة الطفسة فالانسان انما فضل على ما فى الارض من الحيوان بالعقل والتميز والامكان فاذا لم يستعمل تميزه فى ادراك المطالب وفكرته فى مآل العواقب شابه البهائم فى شهواتها ومائلها فى طرائقها وعاداتها * مجالسة العلماء تزيد العالم علما وتكسب الجاهل معرفة وفهما * ان عزمت على فعل الخير والجميل واكتساب الثواب والاجر الجزيل فارفض الشر فى الحالة الحاضرة وحينئذ يأتيك الله بالعناية الزائدة الوافرة وذلك لان الذى يقصد فعل الخير والمعروف لا يتمكن منه قبل مفارقه الشر المألوف والانفة من الشؤون التى تورط المرء فى شباك المنون وتسقطه فى هوة الخطايا والذنوب وتوقعه فى معادن النقص والعيوب كالبغض والحقد والوقيعة والغل والخبث والخديعة والجور والحيف والنميمة والعار والسب والشتيمة ومايطابق هذه من العوائد المفسولة ويناسقها من المعانى الدنية المرذولة والعوائد الردية التى يعتزوانها وتجذب المرء الى موبقاتها وضلالها فلا تركن اذا اليها ولا تقبل بوجهك عليها لكى ينقذك الله من شؤونها وينجيك من علائقها وفتونها * اذا كان الرفيق خاليا من الحكمة والبصيرة فهو بمنزلة السراج فى الشمس المنيرة وقد قيل ان عداوة العاقل أفضل من صداقة الجاهل * القراءة فى الكتب المقدسة تجلى صداء القلوب المعربسة وتشرق النفوس المظلمة وتنير العقول المقتمة وتكسب المرء السلوة والعزاء وتبعد عنه سحائب الاوجاع والاذى وقد قيل اقرأ العلم فانه يصلح فاسدك ويرغم حاسدك * أيها الانسان الصالح ان أنت اضطهدت بقتال الشياطين وعجزت عن مقاومتهم بالدلائل والبراهين فانتصر بقوة الله الغالبة عند القتال والمحاربة وابتهل اليه بالسؤال والضراعة فى النصرة والشجاعة واذكر ما اقترفته من المآثم والذنوب وما جنيته على نفسك من النقائص والعيوب وأدب ذاتك بالتوبيخ والتهذيب وعنفها بالتقريع والتونيب واعترف بضعفك ونقص قدرتك وعجزك وقصر همتك فتأتى اليك المعونة من فوق السماء والعناية من أعالى العلا فتنتصر على أعدائك بعد غلبتك باتضاعك واعترافك وطلبتك * الغفلة تجلب الكسل

بالبر والاحسان اذا انتهت به عبادته الى تكميل الفضائل والترقح عن جميع النقائص والرذائل يشتهى الرحيل من هذه الدار الدنيئة والصعود الى المنازل العالية المضيئة * قال بعض الآباء كما ان الطير يأتى من كل موضع الى عشه الذى فيه فراخه هكذا العابد الذى اقتنى الافراز لا يجد راحة ولا يقتنى فضيلة الا فى مسكنه * الغمام يغطى الشمس وكثرة الكلام تظلم النفس المستنارة بالحسنات * كما ان الشجرة التى لا يسقط ورقها الاول لا يمكن أن تأتى باغصان مثمرة هكذا العابد الذى لا يطرح عنه أمور العالم وذكرها لا يثمر ثمرا صالحا * اذا شرب الانسان الخمر سرا فان رايحته تشم منه جهرا وهكذا الذى يبتغى عمل الحسنات مستترا دلائل الفضائل تظهر سره من حيث لا يريد * يقترب القلب من الله اذا كان صابرا على الفقر والعدم * شفاء النفس من كثرة الكلام والمرادة * الصمت والمسالمة يشعلان نور النفس ويولدان الفرح الروحانى فى العقل ويقربان القلب الى الحكمة * لا يمكن أن يجد الانسان دالة فى الصلاة وهو مربوط بحبائل الجسد * قساوة النفس تبعد منها الحكمة والرحمة تجدد فيها النعمة * كما ان الزيت ينير المصباح كذلك الرحمة تغذى النفس بالحكمة * بكثرة المحبة للغريب تعطى مفاتيح المواهب الروحانية للقلب وبقدر اغلاله من رباطات الجسد تنفتح قدامه أبواب المعرفة * صعود النفس من رتبة الى رتبة يتضاعف من اقتناء العفة * ما أفضل محبة الغريب اذا لم تمنع وتجذب من محبة الله * الحديث مع الاخوة الروحانيين لذيذ اذا قدرنا أن نحفظ معه حد يثنا مع الله * محادثة القوم الاشرار تظلم العقل على التدريج * كما تحفر نقطة الماء الصخر بتكرار المداومة هكذا الجسد القوى اذا أعطيته النياح والبطالة فهو يتم فى النفس كل الشرور والجسد الضعيف اذا ألزمته بالتعب الذى يفوق طاقته فانه يورث النفس ظلمة على ظلمة اذا لم يكن لك قلب طاهر فليكن لك على الاقل فم طاهر * احفظ لسانك ما اقتدرت فينجيك الله من كل عيب فان انغلبت عن حفظه فاعلم انك قد سقطت فى الظلمة ومن المعروف المعلوم الظاهر البين المفهوم ان الانسان يشتهى أن تكون درجته عالية وفضائله متتابعة متوالية وانما اتباع الهوى فى بلوغ الاغراض الردية يحيده عن الطرائق المستقيمة المستوية

منهم ينال على قدر استحقاقه وما انتهت به فضائله ومناقب أخلاقه بحيث لا يعرف التفاوت الذي بين درجاتهم ولا يعرف ان نعيمهم على قدر اختلاف طبقاتهم لئلا ينظر الى نعيم من قد ارتفع عليه باعماله الشريفة وصعد الى المرتبة العالية المنيفة فيكون في الحزن العظيم على ما فاته من الشرف والنعيم وذلك ان الشمس لا تنقسم في نورها والناس متساوون في غيابها وحضورها وكل واحد منهم ينال من اشراقها على قدر صفاء بصره وصحته وعلى مثال هذا القياس تكون منازل الاشرار في قرار الجحيم ولهيب النار يدان كل واحد منهم بالعدل ويعذب بالقهر بمقدار ما اجترمه في السر والجهر ولا يكون له معرفة بمن يعاقب بأشر من عقابه لئلا يتعزى بالتقصير في عذابه * البعد من العالم راحة لنفوس البشر والمقام فيه شديد الخوف والخطر فبقدر ابتعادك منه تأتيك المعونة وبحسب جهدك فيه تستغني بمعرفة الاسرار المصونة * احذر من التواني في العمل فانه يولد الضجر والملل واعلم ان صغر النفس ينتج العذاب وبه يتولد القلق والاضطراب فعلى قدر اتضاعك تعطى الصبر عند أحزانك رأوجاعك وعلى قدر احتمالك وصبرك يخف ثقل الاحزان من قلبك وفكرك فالزم نفسك بالتمييز والبصيرة لكي تكتسب بهما حسن السيرة وذلك لان الذي قد ملك التمييز يهون عليه الموت مع الحق والصدق ويكره الحيوة مع الباطل والمذق فالتمييز والبصيرة يتولدان من نقاوة العقل اللذان بهما يصل الانسان الى الكمال والفضل وذلك ان نفوس الاطفال نقية من المكر والدنس وأجسامهم نظيفة من العيب والنجس ولما كانوا عادمين ما يتولد من العقل مثل التمييز والعلم والفضل لم يجز أن يوصفوا بالكمال لانهم لا يفرقون بين الحق والباطل لا بالقول ولا بالفعال * اذا هم الانسان بفعل الخير شملته عناية الله في أفعاله واذا كان اهتمامه بفعل الشر عضدته الشياطين على اكماله كما ان المسافر الذي قد استفاد من تجارته وبلغ من ربحه الى غاية نهايته يشتاق الى منزله وأوطانه والنظر الى عشيرته واخوانه هكذا النفس التي قد بلغت الى حد الكمال تشتاق الى الخروج من محل الغربة والضلال والمسير الى محلها المعد والمقام في مقرها المستعد وذلك ان عقل الانسان المتزين

خاطره من شرائب الشين والريب فيصرف همته الى تحصيل الخير والصلاح
والاقلاع عن النقائص القباح فكن أيها الصالح لنفسك محاسبا وعلى فعل الخير
مجتهدا مواظبا واذا منحت عطية نافعة تكون من نفس سخية واسعة ويكون
وجهك مسفرا بالبشاشة والطلاقة مظهرا الاخلاص فى الود والصداقة وان قصدت
من جماعة قد وفدت اليك وجعلت قصدها واعتمادها بعد الله عليك فاستقبلها
بالاعزاز والاكرام وارفعها الى درجة التبجيل والاحترام ولا تخيب سعيها الى فنائك
ولا تقطع رجاها من ثروتك وغناك وارفدهم بقدر استطاعتك واسعفهم بما يمكن
فى قدرتك وطاقتك بحيث أن لا تكشف عن تفاصيل أحوالهم ولا عما يقتضيه
تصرفهم ومالهم لكيما تميز منهم الصديق المحقق الصدوق على العدو الكاشح
العقوق بل يكونان عندك فى حال المحبة بالسوآء وفى العطية بالانصاف والاستوآء
فانهما جميعا بجوهر الانسانية مجانسيك وعلى الحقيقة والصدق ابناء أبيك واذا
صنعت الخير والمعروف والجميل والاحسان المألوف لا ترج مكافأة عالمية ولا تؤمل
موهبة دنياوية لئلا تضيع برك ورحمتك وتعطل اجتهادك وخدمتك بل يكون
صنعك على اسم الذى يعطى بلا حساب ويجود بغير ارتياب راجيا منه نعيم الآخرة
العتيدة ولذة الحيوة الدائمة المديدة فان الانسان الذى يتعبد لله بيقين صادق
ويخلص فى ايمانه وأعماله بضمير صحيح غير مازق يكون فى دنياه معدنا للخير والصلاح
وفى آخرته دائم النعيم والنياح ويجب لنا أن نعتد بالسلاح قبل أوان الحرب
ونلبس الدروع قبل الطعن والضرب ونشيد الحصون قبل المحاصرة ونحسن فى
السياسة قبل النفاق والمخامرة ونلزم الحمية قبل الامراض ونحقق الرأى قبل دخول
الاعراض ونقتنى الصبر قبل حلول الرزايا ونرفض الرذائل قبل تحكم الخطايا ونسهر
الليال قبل مجئ السارق ونحترس من المكائد قبل أن يمكر بنا العدو المارق ونعلم مع
ذلك ان درجات الاولياء مختلفة الانواع ومراتب الاصفياء متباينة الاوضاع
لا يعرف غورها غير الذى خلقهم ولا يفهم سرها الا الذى رزقهم فالعالى منهم مساوم
الدون فى مسكن المنزل الواحد الطيب المصون الذى لا فيه حزن ولا أنين ولا تنهد
ولا انين وفى انور ودمن منهله العذب الرائق والتمتع بنعيمه المرتفع الفائق فكل

السر محسوب فى جملة الامانه وافشائه منسوب الى النقص والخيانه واحذر من
الشناعة والوقيعة بما صار اليك من تلك الوديعة فتكون أمينا على الشئ الحقير
ويجعلك الله أمينا على الكثير فقد قيل * ان من لزم شأنه وحفظ لسانه وأعرض عما
لا يعنيه وكف عن اضرار أخيه دامت سلامته وقلت ندامته * وينبغى للذى قصد
مناهج الفلاح وتمسك بمناقب الخير والصلاح أن يكون بالمحاسن معروفا وبالمكارم
والجميل مشهورا موصوفا يكثر من الادب والوقار ويكون حائدا عن طريق السفهاء
الاشرار يلزم التورع والتواضع والمسالمة ويرغب فى الصفح والسهولة والمكارمة
لا يذعن للشهوات الرديه ولا يركن على اللذات الدنية فان عاندته عناد المقاومة
تجردا اليها بالجهاد والمصادمة الى أن يكسر حدتها ويحطم شدتها ويقمع ثورتها ويقهر
بسلطانه قوتها وسطوتها مما ثلا الاولياء الاوابين ومشابها الاصفياء السالفين وحائزا
ما حازته الاصفياء الابرار وحاويا ما حوته القديسون الاطهار وذلك لان من جملة
فضل الله علينا وكثرة احسانه الينا انه شرفنا على جميع الحيوان الارضى بالنطق
الذى من جملة اجزائه الفكر والتميز والفطنة والذكر والهمة حتى نفرق بين الحق
والباطل فى المعتقد وبين الخير والشر فى الفعل وبين الصدق والكذب فى القول
ولا نكون مالكين لفعل الخير وغيره بالطبع بل بالتميز والرؤية والتجربة ولو لم
يكن ذلك كذلك لم يكن للنفس منفعة فى ذاتها بملك قوة النطق اذ لم يكن لها شئ
يظهر به ما تملك فكما ان للعينين قوة باصرة تقبل بها النور وهما مالكان لها وبها
يظهران بصرهما لهذه الاشياء التى يمكن أن ترى ولولا ذلك لم تكن لها أدنى منفعة
بهما كذلك لم يكن للنفس أيضا منفعة بتملكها قوة النطق لولا قبولها الاسباب
الموافقة وذلك لان فعل النطق انما هو الفرق بين المتضادات وبهذا استدللنا على
فضيلته وقبلنا بالتجربة أسباب منفعة التميز وتميزنا به عن البهائم وعن مشاركتهم
فى شهواتهم بغير ناموس ولا حياء ولا تحفظ ومن الواجب علينا أن نلزم الحلم والتميز
والادب ونبتعد من البطش والتهور والغضب وان يكون كل واحد منا متأملا لجميع
أموره وأحواله وما ينطوى عليه من مقاصده وآماله فربما انه يخطئ ولا يعلم ويسقط
فى الذنوب من حيث لا يفهم فيتيقظ الى ما لعله التبس عليه من النقص والعيب وما

مادام صغيرا لئلا ينبت ويفرع ويصير كبيرا فان غلب عليه التوانى والاهمال وسوف الوقت بالكسل والاملال شجر ذلك النبات أشجارا تعسر قطعها وتمنع تنظيف الارض من أصلها وفرعها وهكذا الانسان الذى يغفل عن صغائر الخطايا ولا يقتلعها باعمال الوصايا قبل أن تعظم بشهواتها الدنسة ولذاتها الطمثة النجسة يعسر اقتلاعه عنها ويصعب تباعده منها فتحتاج الى التعب الكثير والعناء المستصعب العسير * ان كنت تريد أيها الانسان الصالح الماجد الرزين الراجح ان تكون مصونا من النقيصة والعيب فاجتنب الخديعة بالمراء والريب واعمل فضائلك بغير الافتخار وارض ربك فى الليل والنهار بحيث أن تستنزر الكثير من الحسنات وتستعظم الحقير من السيئات وتكنز التواضع والطاعة وتقترض سنن الزهد والقناعة ولا تكن بمنزلة الذى يخفى عيوبه ويستر ذنوبه ويتظاهر بالفضائل ويغطى مقابح الرذائل ويكون مشحونا بجراح الخطايا القادحة ومدنفا بالآلام المخازى القبيحة الفاضحة وهو مع ذلك يتظاهر بالصحة والعفاف والمرابطة والانعكاف يتضع فى حديثه بحسن كلامه ليكف السامعين عن تعنيفه وملامه يكون غضوبا فيظهر انه غيور ويكون خبيثا فيرى انه صبور وذلك حذرا من التوبيخ والتعيير والهجاء والمقت والتذمير قاصدا بذلك اكتساب التسبيح وتحصيل الحمد والشكر والمديح ولهذا قد أوجبت هذه القسمة أن يفتش الانسان خواطر نفسه ويجول فيها بتمييزه وفكره وحسه ويختار منها ما ارتضته الابرار ويرفض ما قد استعملته المنافقون الاشرار فيكون مقبولا عند الخالق والخليقة عاملا بالفرائض الحديثة والعتيقة ومما يستجاب فعله من الادوات المشكورة والمناقب المضيئة المشهورة أن يكون الانسان عفوفا طاهرا مسالما موافقا مؤثرا يسمح بما فى يده للمحتاجين ويصفح عن ذنوب الظلمة المغتالين ويقيد لسانه عن فضول الكلام ويحبس قوله من التعب والملام ويكون محسنا فى خطابه ومجملا فى استفهامه وجوابه يكثر من الصمت والسكوت من غير العى واللكن الممقوت لكى يكون من الفائزين ويعد فى زمرة الابرار الصالحين ان اعترف لك انسان بشئ من الخطايا أو ائتمنك على ما تكتمه من الاسرار والخفايا فاحفظ وديعته بالكتمان على ممر الاوقات والازمان فان حفظ

نظر الى أفعال الخطايا بالاحتقار لا يسعفه الله فى طلباته بالمغفرة * الامانة بالله جل ذكره وتضاعف حمده ومدحه وشكره والرجاء فى نعيمه الذى أعده للاخيار والخوف من الشقاء الذى سبق به وعيده للاشرار أساس ثابت لكل الاعمال الصالحة وعاضد مساعد على تحصيل جميع الفضائل الناجحة لان الذى يعمل الصلاح وليس له ايمان يشبه من يقصد السراب وهو ظمآن ولهذا قال الرسول * انما البار بالايمان يحيا وكلما لا يكون بايمان فهو اثم وخطية لان الايمان هو عنصر الحسنات وبغيره لا تتم فضيلة من الحسنات وذلك ان الانسان اذا لم يؤمن بالله انه خالق الخلق وصاحب الامر والحق ومدبر الامور بحكمته وناظمها بجبروته وقدرته ويصدق بالوعد والوعيد والمجازاة بالعدل العتيد فانه لا يرتجى ثوابا ولا يخشى نقمة ولا عقابا وذلك لان الذى لا يؤمن بما يصدق فما يكون له رجاء ومن لا يكون له رجاء فما يصبر والذى لا يصبر فما يخلص ومن أجل هذا قال الرسول * تناولوا ترس الامانة الذى به تقدرون ان تطفئوا سهام الخبيث المحمية وقصد بترس الامانة ان الانسان اذا صحت أمانته أشرقت فى نفسه جميع الاعمال المرضية التى هى السلاح والعدة المضية وقصد بقوله نبال العدو المحمية أعنى التى يرشقها العدو فى قلب الانسان بما يحتال به من المكر والكذب والبهتان فاذا كان الانسان مخصبا بالامانة والعمل من جميع الجهات لا يصل اليه شئ من الافات ولا تقترب اليه رزية من الاذى ولا تقصده مضرة من الردى وذلك لان الانسان الرزين النبيل الفاضل يكون متفقدا لجميع أحواله مثابرا على ما يوصله الى مقاصده وآماله متحليا بالاخلاق الحسنة المرضية ماقتا مذموم العادات السمجة الردية متيقظا من وصول العيب اليه متحرزا من دخول النقص عليه محتقرا لما يقتنيه من كثرة الفضائل مستعظما اليسير الحقير من الرذائل فيكون اذا ما زرع العدو فى قلبه شيأ من الافكار الردية والوساوس المجحفة السيئة يبادر بقتلاعها من قلبه لساعته الحاضرة قبل أن تنبت فيه مكائد المخامرة فتنتشى معها الشؤون القبيحة التى هى أعظم فى العار والفضيحة فيكون بمنزلة انسان له حقل مخصب الثمار ويشتهى تنقيته من الاوساخ والاقذار فهو اذا رأى فيه نباتا يخشى من مضرته يبادر بقتلاعه لوقته وساعته ويستأصله

وحصن ساتر حصين * احتقر الجسد وشهواته لانه يزول واحتفل بامر النفس فانها
الى البقاء تؤول فالجسد تحت ملاذ الدنيا الدنية والنفس تريد الشقاء فى التوبة النقية
فاقض بينهما بالعدل الذى يرضى الاله الخالق ويكسر شوكة العدو اللعين الماذق
ويشرق أنوار النفس المضيئة ويبطل الاهتمام بشهوات الجسد الردية * تعلم العلم
فانه عز لا يبلى جديده وكنز لا يفنى مزيده * قال سليمان الحكيم ان الذى يقصد
درس الحكمة ولا تكون أعماله صالحة ولا له نطق مستقيم ولا يلزم التحفظ بشبه
انسانا يريد أن يجعل هدية مرتفعة فى اناء وسخ قذر ان الذى يمدح قريبه بنوع من
المراء والمين سيعيره فى وقت آخر بانواع الخزى والشين * ان الذى لا يرتدع بسبب
الاوجاع المؤلمة الوجيعة يقع فى هوة الهلاك بالسقطة العاجلة السريعة * من
لا يحترس من نفاخ الكمين المخامر يكون ذبحه هينا فى الوقت الحاضر * اذا اشرقت
النفس بنور الحق والعدل تهرب منها ظلمة الطغيان والزلل وحينئذ تفرق بين
الصالح والطالح وبين المستقيم والسقيم * اذا سمعت كلاما رديا فلا تلم القائل بل رد
الملام الى نفسك لكونها تسمع الرذائل لان مستمع السوء يكون خادما للشر والعيب
* اذا سمعت انسانا يمدحك بالمراء والملق فانتظر منه سوء الوقيعة بالانزعاج والقلق
اما الآن واما بعد برهة من الزمان * لا تمر سحابة من غير ريح ولا يتولد وجع من غير
فكر قبيح * العاقل من حاد عن الذنوب وأبعد نفسه عن العيوب والجاهل يطلب
المال والعاقل يقصد الكمال * من كانت له همة عالية فى محبة الاله فما يصبو
قلبه الى شئ آخر سواه ودليل ذلك ان جسمه اذا كان مريضا أو تركيبه ضعيفا
أو يكون فى سنه طاعنا لا يقف عن عمل الوصايا ولا تهوله موجعات البلايا بل يجد فى
عمل الفضائل فوق ما تسعه قوته ويحتوى على تحصيل الحسنات بما يعلو طاقته
وقدرته قاصدا بذلك رفد الله الجميل وثوابه الوافر الجزيل ويجب علينا فى جملة
تصرفاتنا واهتماماتنا وحركاتنا ان نترحم على الخاطئين وان نقيم أعذار الساقطين
ونكثر التحنن عليهم ونسأل الله فى الاحسان اليهم خائفين من ألم الدينونة والحساب
وما يجب علينا من الانتقام والعذاب فان هم رجعوا وتابوا بكينا لبكائهم وحزنا
لحزنهم وشقائهم واثقين بان الله يغفر لنا زلاتنا وينقذنا من عثراتنا وهفواتنا * من

العالية المنيفة فخف على نفسك من آلام العذاب والاستمرار فى موجبات العقاب والنار التى لا ينطفئ وقودها ولا ينام دودها * اعمل الاعمال التى تصونك من الاصرار وتغنيك عن اقامة الحجة والاعتذار لا تصاحب أحمق فتعد من أصحابه ولا تعاشر زان فيصيبك مصابه * كن للناس كما تريد أن يكونوا لك والطف بهم كما يلطف الله بك لا تجاوب أحمق فيهين الحق بحمقه ولا تقارن جاهلا فيجرك الى رذيلة الضحك * بيان التربية القبيحة جذب المرء الى طريق الشين والفضيحة * الرجل الفالح بضميره الصالح يرى ان أعمال الوصايا لذيذة هينة والانسان الردى يرى أنها خبيثة كريهة شقية * يخطئ الناس فى الهجاء والمديح من حيث انهم لا يختبرون أولا الفاسد من الصحيح ولهذا فربما مدحوا من هو عند الله مهان ودنئ وأهانوا من هو عند الله عزيز وسنى * من أكرم أهل الخير والصلاح وذوى النجح والفلاح فقد أكرم الله الساكن ومن فيض نعمته يغنيهم * ان أنت نفعت انسانا بمنفعة جليلة القدر فاعلم انك قد انتفعت باضعافها من معطى الثواب والاجر وان أنت ضريته بامور قبيحة فانتظر ما يأتى اليك من المكاره الشديدة الصريحة اما فى الدنيا العاجلة أو فى الرجعة الآجلة ريح منتنة خير لك من حديث الاحمق وحديث العاقل يفتح باب القلب البليد المغلق * لا تكن ملق الكلام وأنت عاثر الاحسان ولا تأمر بالمعروف وأنت له تارك اللزوم والادمان لا تكثر الضحك فانه من الفعل القبيح واترك المزح بالجد الصادق الصريح * من لم يندم على خطاه فى وقت رخاه ويسرته فسيندم طويلا عند شدته وكربته * اذا كان الانسان صالحا فيكون نافعا لنفسه وللناس ويكون عند الله محروسا من السوء والباس * لا ينفع السلاح اذا لم يكن صاحبه مصادما مقاتلا ولا المصحف اذا لم يكن صاحبه فاهما مجادلا ولا الغنى اذا لم يكن صاحبه معطيا مواصلا * من كان له حلم فليحرص على ربح صلاة والديه وليعلم ان ذلك له كرامة ومدحة قدام الله عند الحضور بين يديه * من يستشر رئيسا حاسدا فى أمر من الادب يشبه انسانا يشرب السم بكاس من ذهب * لا تهلك النفس بالموت القاتل لكن بالعمل السوء واتباع الباطل اذا كان الله معزيا للانسان لو تقاطرت عليه جميع الاحزان لم يتألم لورودها ولا يخشى من جرها ووقودها لان عزآء الله له معين

مسبولا والدموع للتطهير والتواضع بصلاح التدبير وحينئذ يعضدك الله بعنايته وينصرك بكفايته ورعايته فتهزم مواكب الاعداء المناصبين وتقهر عساكر المضادين المعاندين وتذل جيوشهم المتقومة وتحطم سهامهم المتوقدة المسمومة * ان كنت تستحى من الناس الناظرين الى تدبيرك وأفعالك فيجب ان تستحى أولا من الملائكة فانهم أقرب اليك منهم فى مشاهدة أمورك وأحوالك * من عجز عن تقدمة التوبة قبل المنون فليس هو بخال من سقم الجنون لا تدنس خطاياك الحقيرة فان الله لا تخفى عنه كبيرة ولا صغيرة * من هم بأمر ولم يقدر ان يعمله أو تفوه بقول من غير ان يفعله يجازى عليه من علام الغيوب وفاحص الكلى والقلوب ان كان خيرا مشكورا أو كان شرا محظورا * لا تحتقر خطاياك الصغار فانها تحرك شجيا الى المعاصى الكبار * اذا منحنا الله بعطية فاضلة وقوة ونعمة شاملة لنستفيد من ذلك عمل حسنة فى اليوم الذاهب فقد وجب علينا عملها فى غد بالحق الواجب * بالجد والكد فتح للناس باب فردوس النعيم وبالاهمال والاسترخاء فتحت لهم أبواب الجحيم * من يستمر على خطاياه وذنوبه ويدوم على مناقصه وعيوبه فلا يجنح الى التوبة ولا يقبل الى الرجوع والاوبة واذا خرج من دنياه سالما من المصائب المؤلمة والاحزان المترادفة المظلمة فيمكن أن يكون فى آخرته شديد العقاب متصل الآلام بانواع العذاب * كما انه لا يمكن أن يكون المطر بغير سحاب كذلك لا يمكن أن يرضى الانسان ربه من غير عمل يقتنى به فضيلة الثواب * من أراد الطوبى من الله قبل أن يعمل بوصاياه فهو يشبه عبدا قد اشترى بثمن فاراد ان ينعتق فى الوقت الحاضر * من أخذ على نفسه بالحذر من الصغائر نجاه الله من الامور الكبائر * كما ان النار لا يدوم وقودها فى الماء كذلك القلب الذى يحب ربه لا يكون فيه غش ولا غمه * لا يمكن أن تكون توبة الا بالجهد والمشقة والدخول فى الاتضاع والطاعة والرقة * ان كنت أيها الانسان تعلم ان الله محق صادق وقوله فى كل أمر مطابق موافق ومع ذلك لا تشتاق الى الخيرات العتيدة والحيوة الخالدة المديدة والنعيم الدائم الابدى والسرور المؤبد السرمدى والاتصال بالنور الذى يعلو على كل نور والحق الذى يمقت شهادة الزور وكسلت عن العمل بما يوصلك الى الرتب الشريفة والدرجات

أجسامنا بالصلاة والصيام والسهر والقيام والتواضع والطاعة والعفة والقناعة والرحمة والوداعة والمحبة التي لا يشوبها شئ من الريب والزهد الخالص من النقص والعيب وان نكمل باقي الوصايا التي أمرنا بها ونهينا عن مخالفتها بخافة الله ورهبته واتقاء غضبه وسطوته لكي تكون نفوسنا مشرقة الانوار وعادمة الاقفار والبوار وذلك لان الانسان لا يقدر أن يبصر وجهه في المرآة الصدية على هيئة صورته المستوية قبل أن ينظفها و يسقيها و يصقلها و ينقيها وهكذا النفس لا تشرق أنوارها ولا تستريح أسرارها مادامت في جسم متعلق بالشهوات الردية ومنقادا الى الخطايا والمعاصي البدنية وذلك لانها شبيهة بالحديد ان دفنته في التراب استحال الى الصداء والوسخ والنقص وان أنت جيته في الكور احترق كما يدنسه وتنقى من الوسخ والصدا وكلما زدته احماء في الكور ازداد جوهره صفاء ونظافة من الاوساخ وهكذا النفس ان هي أقفرت من استعمال التميز في حده من أجل عدم النقاوة والاستعداد استولت عليها الشهوات الجسمية وقهرتها وأظلمت نورها وساقتها الى كل مكروه وان هي تحصنت بالتميز والبصيرة بخافة الله والعمل الصالح والتعب النافع فيما يرضي الله صارت مستعدة بالنقاوة والقبول للفيض الالهي الذي به يحرق كل شئ يشينها و يرذلها و يسوقها الى النقص * أحرص أيها الصالح على ملازمة الاعمال المرضية والسعي فيما يوصلك الى الدرجة المضيئة واخش من مصيبة الفوت قبل ان تشرب كأس الموت فان موت الصالح أول حياته الدائمة الزاهرة لانه ينتقل به من شقاوة الدنيا الى نعيم الآخرة واهرب من مقاومة الانذال ما استطعت ومن معاشرة الارذال ما اقتدرت لان الذي يعاشر الردى في أخلاقه وشيمه كمثل من يربي الذئب في وسط غنمه * خير لك أن تبتلى في الدنيا وتضطهد من أجل الخطايا ولا تكون في سعة من الغنا والفرح متجاوزا للوصايا * طوبى لمن كانت دنياه سعيدة مرتفعة ونفسه في رضى الله خاضعة متضعة طوبى لمن فرق عن نفسه ما جمع اليها من الشرور لكي يقوم بين يدي ربه وهو نقي مبتهج بالفرح والسرور * ان رشقتك الاعداء بسهام الخطايا فاعتدلها بعمل الوصايا واتخذ الصلاة حصنا عاليا رفيعا والصيام سلاحا نافعا منيعا والزهد سيفا قاطعا مسلولا والنسك درعا مانعا

وابتعد من الشهوات الوقتية ومن مكافأة الاعداء على المظالم الردية وارفض السعي
في طلب المرتبة الرئيسة والارتقاء الى الدرجة الرفيعة النفيسة واصطبر على كيد
الاشرار ولاتهتز للمديح والافتخار فيعفيك الله من العيوب ويسامحك بما تقدم من
الذنوب ويوصلك الى مينا السلامة ويصونك من الخوف والندامة فكما ان
الذئب والخروف لايمكن أن يسكنا معا في منزل واحد والمشغوف بلذات الدنيا
لايكون في منزلة عابد كذلك الذي لايغلب في بدايته الخطايا الصغائر يعد عليه
أن يفلت من فخاخ الامور الكبائر ومما يجب علينا أن نعلمه ان الانسان الذي يروم
مسامحته بالذنوب والانفلات من حبائل النقائص والعيوب والصعود الى الدرجات
الشريفة والحلول في المراتب العالية المنيفة وان يبتهج بالعيش الابدي والنعيم
الخالد السرمدي وهو مع ذلك مستمر على خطاياه الهائلة ومنهمك في شهواته المميتة
القاتلة لايثنى عن جهله بالاوبة ولايرجع الى الطاعة والتوبة يكون في افراط
جهله وسخافة عقله أبلغ ممن يروم أن يحصي نجوم السماء ويكيل براحته
ماء البحر من الماء فأما الذي قد جرب حوادث الامور وعرف الادوية النافعة
لكل مرض محذور ولايحيد عن الطريق المستقيمة ولايسوقه هواه الى المناهج
الذميمة وان امتحن بالسقوط في بعض الخطايا واقتنص في حبائل البؤس والرزايا
لايتوانى بنهضته عن القيام من سقطته والخلاص من وهقته وورطته والتنصل
بالتوبة النقية والاعتماد على الاعمال الصالحة الرضية فكما ان الملسوع من الحيه
الجرداء لايستفيق من موجعات الاذى حتى يشرب الترياق النافع الذي هو لكل
سم دافع مانع كذلك يكون المجرب الذي سقط بعد قيامه يلزمه أن يعتمد على السهر
في صلاته والنسك في صيامه ويزيد في أعماله الصالحة بهمة واسعة عالية راجحة
معتصما بالصبر الجميل والتواضع الدائم الجزيل وحينئذ يصير كالذهب العالي
الغاية الذي حمي في الكور الى النهاية ويماثل حينئذ الشهداء الذين ذاقوا
صريمة الموت بالسيف بعد اضطهادهم بكل العذاب والحيف فثمرات الحسنات
لاتجتنى وفوائد الفضائل لاتقتنى من غير قتال الشياطين والصبر تحت احكام
القوانين فمن الواجب علينا أن نتحفظ من مصائد أعدائنا ولانغفل عن نقاوة

فكف نفسك أولا عما يسخط ربك وكن مستعدا لعمل الفضائل مبتعدا من موبقات الرذائل وذلك لان الاتعاب فى الفضائل توريثك موهبة النعيم وبنياح العالم ولذاته تصطلى حرارة الجحيم فالعفة والانضاع يثمران التعب المريح والكبرياء والنياح بادان العيب الظاهر الصريح فالذى استعبد للخطية ومسك بشهواته الردية لايمكنه التنصل مما عزم عليه بغير تعب يتصل اليه فبالخضوع والكد والسهر يستطيع أن يقاوم العوائد الكثيرة الضرر وذلك لان الذى يصبر على الشدائد على رجاء الربح والفوائد يكون سلوكه فى طريق الصديقين الابرار وسيرته كسيرة الحواريين الاطهار أما الذى يقلق عند حدوث النوائب ويتضجر من أيسر التجارب والمصائب فهو يكون عادما للاتضاع والخضوع وكارها للتوبة والرجوع لايستقيم بالملاجة ولاترده براهين الوعظ والمحاجة وذلك لان الذى لايخضع للطاعة يعاند الحق على قدر الاستطاعة كما قد اتضح من الله خلق الانسان لاعاصيا ولامطيعا بل خلقه وجعله حرا مستطيعا يفعل ما أمره الله به بغير حصر ويبعد عما نهاه عنه بغير قهر ان أراد عمل الخير فليس له منه مانع وان أراد فعل الشر فما يكون له عنه دافع ان جنح الى فعل الخير عضدته عناية الله على فعله وان مال الى فعل الشر أطغاه الشيطان من أجله فهو لايقدر أن يكمل فعل الخير بغير معونة الله وعنايته ولا ان يكمل عمل الشر من غير هوى الشيطان وارادته فواجب علينا أن نعرف الافكار الشديدة اذا خامرت قلب الانسان وضيقت عليه مسالك البر والاحسان فان كانت غير موافقة لنيته ولامطابقة لارادته ومشيئته أشغلت قلبه بالحزن الشديد والألم الممرض المزيد وحينئذ يصرفها الله عن اضراره ويجعل عنايته من أعوانه وأنصاره وان جاءت اليه الافكار بالامور الصالحة وبالقضايا المفيدة الراجحة وقابلها بالفرح والسرور وسعى فى اكمالها بالفعل المشكور ينجح الله أموره ويديم له السرور ويجزل له أوصاف الثواب ويفتح له طريق التوفيق والصواب وان أردت الخلاص من الافكار الدنية والسلامة من غائلتها وعواقبها الردية فاقتن مذلة المسكنة والافتقار ومر العيش على الدوام والاستمرار واجعل الاتضاع ذريعتك والعفة والقناعة من أعوانك وشيعتك

وظافرا مؤيدا منصورا فان حملك الهواء على الانتصار بغير فعل الفضائل
بالاصطبار تكون امام أعدائك مكسورا وبالهزيمة شاردا مقهورا فاحرس اذا أن
تكون حركاتك بشواهد من كتب الله المقدسة ومهماتك بمشورة دائمة من العلماء
الابرار المدروسين وذلك لان الانسان الذى قد أفرط فى جهله وعميت بصيرته عن
النظر بتمييز عقله قد أضله رأيه عن سماع التعليم والخروج عن أمر الرضا والتسليم
ان عدلته عصاك وان وعظته شناك مفيدته خارجة عن الصواب وحجته دائمة
الفساد والمعاب يجتلب لنفسه كل أذية قادحة ويجنح الى كل رذيلة شنيعة
فاضحة لا يقتدر عدوه أن يضره بمثلها ولا يزريه بما يشابه صورة نوعها وشكلها
فواجب علينا أن لا نعطل اقلاعنا عن العيوب واقرارنا بما اجترأناه من الخطايا
والذنوب ثم نعمل بما يليق بالتوبة المرضية فى الاعلان والاسرار المكتومة الخفية
بمشورة من الذين قد أفضت اليهم رئاسة الكهنوت وبذلوا نفوسهم عن رعاياهم
فى طاعة صاحب الامر والجبروت بقلوب خاشعة ونفوس طائعة متواضعة يبكون
مع الباكين وينوحون مع النائحين ويرشدون الذين فى الطاعة الى طريق
الحق المستقيم يعلمونهم ما يبعدهم عن الطرائق الذميمة حتى يجعلوهم متصلين
بالمسيح وارثين فى ملكوته المريح وذلك لان الذى قد بلغ الى التمام ينبغى أن يأخذ
نفسه بالحزن على الدوام ليس من أجل نفسه لكن لاجل أقاربه وأبناء جنسه لان
من عرف بالحق يجب أن يكون شديد الرغبة فى منفعة الخلق يبذل عنهم مهجته بلا
اشغال ويجود بنفسه عليهم من غير اهمال وذلك لان معرفة الانسان بالامور
والقضايا تكون على قدر اجتهاده فى عمل الوصايا ولهذا ينال معرفة الحق المحقق
ويصح له الصحيح المصدق فان أردت يا هذا أن تكون وارثا للملكوت ومتصلا
بصاحب الامر والجبروت فاستعد لقبول العناية الالهية فى نفسك ليسعد حسك
بالنور المضئ وتدخل فى قلبك باشراقها البهى وحينئذ تصير من الابناء الوارثين
وتخرج عن دائرة العبيد المارقين وذلك لان اشراق روح القدس مبدأ الخير
والنعمة وبغيرنوره لا تحل عاطفة برحمة ومن أجل هذا قال الانجيل المجيد * ان
ملكوت السماء داخل فيكم فان أردت أيها الصالح ان لا يأتيك ما يحزن قلبك

فاحص القلوب وعالم بما فيها من المصالح والعيوب وبما تنطوى عليه من الحسنات ماتحتاج اليه من مقابح السيئات فواجب علينا أن نقتنى الصلاح بالفعل واليقين ونجذب نفوسنا الى ماخلقت له من الخير والدين لان روح القدس فينا جميعنا دائم الاتصال يضئ فى كل واحد منا على قدر فضيلته فى حسن الفعال فلا نقيم على تأخيرنا عن فعل الصلاح حججا غير صائبة ولا نحتج عن اهمالنا بمعاذير باطلة كاذبة كامة ليس لها ناصر ولا عناية من الاله القادر لان نعمة الروح القدس التى عتقتنا من العبودية وصيرتنا بنين لله بميلاد المعمودية معينة لنا على ما نشاءه من الاعمال الصالحة وما نريده من السلوك فيما ينبغى من الطرائق الحميدة الناجحة بعناية تعلو على مواقع الشفاعة وحركة زائدة تفوق المقدرة والاستطاعة وذلك ان طالب الفضيلة بالنية والعمل تأتيه العناية بقوة الرجاء والامل لسبب ان عدل الله واحسانه وسعة فضله وامتنانه لا يقتضى ضياع أجر المحسنين ولا اهمال حسنة من حسنات الطالبين يعطى كل واحد على قدر رتبته وما اقتضى بعزيمته وهمته اذ ان الزرع لا ينمو بغير الماء والانسان بغير حب لا يرث ملكوت السماء فالذى يريد أن يرث الملكوت ويتصل بصاحب الامر والجبروت بغير محافظة على اعمال الوصايا والصبر على حدوث البلايا يكون بمنزلة من يريد ان يقطف الورد من القفر ويصيد الغزال من قرار البحر * الرجاء بالله يفسح القلب المضيق ويهدى العقل الضال الى سلوك الطريق الحقيق ويجب أن نحذر من قطع الرجاء وان عظمت الذنوب ولا نتأخر عن التوبة ولو كثرت فينا العيوب كان الله قد أغلق أبواب الرحمة وفتح مواضع العذاب والنقمة فنكون افترينا على الله أعظم فرية وجلبنا الى نفوسنا كل تجديف وخطيئة وأهرب أيها الصالح من الرذائل ما استطعت وجد فى عمل الفضائل ما اقتدرت لتكون مسكنا للروح القدوس الذى يشرق للمؤمنين فى النفوس كل نفس على قدر ما سمت اليه همتها وما اقتضته نهضتها وعزمتها فكما ان المطر اذا نزل على الارض أعطى الغذاء للاشجار والزرع بالفرض كل نوع منها على قدر غرسه وما يلائم لطبيعته وجنسه هكذا تشرق النفوس على قدر حسناتها المضيئة * ان عزمت على مقاومة البلايا ومصارمة الحوادث والرزايا فاستنجد عليها بجميع أعمال الوصايا لتكون مبتهجا مسرورا

العارف العابد الرضى لان الذى لا يعرف الحق لا يأمن بحق وذلك ان المعرفة تتقدم الايمان بالطبع المركب فى جبلة الانسان والخطية تشبه نارا تشتعل ولهيبها يضطرم ويتصل فان قطعت المادة عنها قدرت على خمودها وان أطلقت لها مادة زادت فى اشتعالها ووقودها وازرع الخير مادمت قادرا عليه لتجنى ثمرات النعيم المحجوج اليه فان زارع الشر لا يقوم فى الدين ولا يفرح فى مواطن الصديقين والذى تزرع طوعا تحصده كرها وافعل خيرا نك خالية من الرياء لتكون امامك يوم الدين مشرقة الضياء لان الذى يفعل البر فى طلب المدحة والفخر يشبه انسانا يكتب حقوقه على أمواج البحر فكما ان الخروف لا يمكن أن يرعى مع الذئب كذلك الانسان الذى فيه غل للقريب لا يمكن أن تأتى اليه رحمة ولا تحل عليه نعمة محبة الصدق ترفع الرؤس ومعرفة الحق تنير النفوس لان الحق اذا أشرق فى قلب الانسان هربت منه ظلمة الطغيان فيصير مستطيعا على تكميل الفضائل ولا تقترب منه شؤون الرذائل لان الذى أبعد عن فكرته جميع الشرور يملك الغلبة على الوجع المحذور ويصير متشبها بالملائكة السمائية أكثر من مشابهته للبشريين الارضية وكما ان السحاب لا يسير بغير ريح كذلك الوجع لا يتولد من غير فكر قبيح وذلك لان المجازاة على الحسنات والسيات تكون على حسب الضمائر والنيات ولذلك قال النبى* يعطيك الرب مثل قلبك* فاجتهد اذا أيها الصالح فى الاقلاع عن الرذائل وجاوز الحد فى عمل الحسنات والفضائل لترضى الله ويرضى عنك ويكفيك من مكائد الاضطهاد والضنك فكما ان غنى هذه الدنيا شئ واحد وقنايا ها كثيرة الانواع هكذا الفضيلة واحدة هى وأعمالها متسعة الاصناف والاوضاع واعمل الخير بقدر طاقتك فى كل حين وزمان واقتن الحسنات الممدوحة فى كل عصر وأوان واصبر على مرارة الشدائد ان حدثت وأثبت لاما اذا هى وردت فان عنصرها من سوء أفعالنا القديمة وولودها من طرائقنا الدنسة الذميمة واعلم ان الله يحملنا فى أمورنا وأعمالنا على ما هو موطن فى ضمائرنا ونياتنا وعلى هذا الوضع تكون مكافأتنا وبهذا الحكم يعطى مجازاتنا ان كانت الضمائر والنيات طاهرة أوصلتنا الى مواطن النعيم وان كانت خبيثة فاجرة أوردتنا الى زفرات الجحيم وذلك لان الله

فاعترف له بذنوبك التى أنت تعرفها واطلب رحمته بتوبة سالمة من الغش وحينئذ تأتيك نعمة المغفرة وتعلمك ما قد نسيته من خطاياك لكى تستغفر عنها وحينئذ يكون قيامك بين يدى الله فى حالة نقية واعلم ان الانسان الذى تأتيه المكاره من حيث لا يحتسب ولا تكون بمشيئته ولا يكون له سبب فى مجيئها اليه فانها تكون خيرا له ومنفعة عظيمة لذاته وذلك لانها تمحى ما قد خفى عنه من الذنوب التى عملها اذا هو قبلها وشكر الله عليها واعلم ان الله خلق الانسان حرا مستطيعا وجعل له تمييزا يفرق به بين الخير والشر فاذا لم يشعر على قريبه بما يعرفه من فعل الله فى السامع على قدر ايمانه واستطاعته كما أشار به قريبه عليه وارتكن بذلك على قلة المعرفة تظن ان عدل الله لا يطالبه بفعل ما لا يعرفه ولا يدينه بسببه فانه يخطئ خطأ عظيما ولهذا ينبغى أن يقال له انك اذا أكملت أنت ما تعرفه من الخير بالفعل الجميل فانه يوصلك الى طريق الخلاص وحينئذ يكشف الله لك الذى قد جهلت معرفته واحرص أيها الصالح واجتهد فى قراءة الكتب التى تفهمك علم الخلاص واحرص كل الحرص على العمل بما تشير به عليك بصبر وجهاد فان العلم بلا عمل لا يجدى نفعا والتمسك به يشبه ظمآنا فى القفر قد انغش بلمع السراب * ان أنت عملت فضيلة فانتظر ما يأتيك تلوها من النكد وذلك لان الاخيار يجربون بالاحزان من أجل عمل الصلاح وتيقن ان سبب كل شر هو السبح الباطل ومحبة اللذة وبهما تتولد محبة الفضة كما قال القديس يوحنا فم الذهب ان العقل يعمى باوجاع ثلاث وهى حب السبح الباطل وحب الشهوات وحب المال وبهذا القول قد وجب على كل انسان ان يحفظ ناظر عقله باحترامس كلى من هذه الاوجاع الثلثة وان يبتعد منها كابتعاده من الحيات النفاثات السم لئلا يعمى عقله عن فعل ما قد فرض عليه ويظلم عما فوض اليه وان أردت ياهذا ان لا تحزن فلا تحزن انسانا لان الزارع يحصد ما يزرعه مما يضره وينفعه فان أوهقتك شباك الخطايا وأوثقتك حبائل الرزايا فأوثب بالسرعة النفيسة كوثبة الليث على الفريسة واقرع باب الرحمة فى طلب الاعفاء من النقمة فقد قيل ان أعظم الخطايا والذنوب عند علام الغيوب المماطلة بالتوبة والاستغفار والتسويف بحجة الاعتذار والزم الطريق المستقيمة بالحق المضئ * وسر سيرة

يكون عزمه صادقا واجتهاده ملائما موافقا تنتهى به فضائله الى المنزلة التى خلق
من أجلها ايرث الملكوت السامى محلها فيدرك بغيته التى سمت نفسه اليها ويتصل
بالقدرة العالية التى اتكل عليها * ان سئلت عن أمر فأجب بالحق المستقيم واحفظ
لسانك من الكلام المازق السقيم فتزكى تزكية الابرار ويحسبك الله فى جملة
العدول الاطهار لان الصدق يكسى ثوب الوقار ويكفى من مؤونة الاعتذار وان
عزمت على أخذ مشورة من أحد المعلمين الذين تفقهوا بالعلم والدين فاقبل أمره وان
صعب ادراك مرامه وجاهد فى امتثاله مع كثرة أقسامه وابتعد من موبقات الكسل
واطرح عنك مرهقات الملل متيقنا ان أمره أمر باريك وان حكمه يطهرك وينقيك
وذلك ان ثيابك لا يستطيع القصار على نقاوتها ولا يمكنه تبيضها ونظافتها الا بعد
الملل والجفاف والزيادة فى الكفاف والمداومة بالمدوالقصر والمعاودة بالطى والنشر
ومن بعد هذا الاعتماد تنعم بالدق والكمد وهكذا الذى يقصد الخلود والنعيم
والاعفاء من زفرات الجحيم يلزمه ان يجهد نفسه فى طاعة المعلمين ويصطلى بحرارة
التعب من المؤدبين ويتجرع مرارة الوعظ القادح والعنف المؤلم الفاضح لكى يوصله
الله الى بغيته ويمتعه بنعمته وغبطته ويتم فيه قول النبى القائل أجزتنا فى الحرق
والغرق وأخرجتنا الى الراحة فينبغى لنا ان نعلم ان العينين اذا استحكم رمدهما
لا يمكنهما ان يبصرا بقوة ولا ينفعهما كثرة ضوء الشمس فى حدة نظرهما وهكذا
الانسان الذى يكون عقله مغلوبا فى الشهوة والغضب لا ينتفع بتعبه فى بر يعمله
مادام عقله مسبيا فى رضى الشياطين لان العقل الذى يصير رهينا لمحبة اللذات
العالمية يكون سجنا وقيدا وظلمة للنفس عند الخروج وطريقا الى موضع العذاب
فاما العقل الذى يكون هواه فى الشقاء والتعب المرضى لله فهو باب مفتوح منير أمام
النفس فى وقت الخروج وطريقا مستقيمة الى السرور الابدى والنعيم السرمدى
أيها الصالح ان كنت تعرف بالحق اليقين انك ستعطى جوابا عن الافعال الدنسة
والافكار الخبيثة فلا تظن ان خطاياك التى صنعتها سرا تنسى بل حقق فى نفسك
انها ظاهرة مكشوفة امام عينى الرب الذى ستعطى له الجواب وذلك لان المخلوقين انما
يرون الظاهر حسنا فاما الخالق فهو يرى الظاهر والباطن ومايخفى فى صميم القلب

وكن امامه خائفا طائعا وبين يديه ساجدا وخاضعا لئلا يبعدك العدو من الابتهال فى
مناجاته ويصرفك عن درجة التسبيح بسرعة مفاجاته وان أنت عزمت على ان تقلع
عن الخطايا فاجتهد بطاقتك فى عمل الوصايا واياك الرجعة عما عليه عزمك وما قد
انتهى اليه قصدك فان من الناس ممن قد أقلع عن خطاياه بتوبة خالية من
المرايا ثم رجع الى شؤونه القديمة وعاد الى أفعاله الذميمة فصار عند منتهى أجله
مماثلا للكلب الذى رجع الى قيئه وشرع فى أكله واعلم ان العابد النقى الزاهد
الكامل الزكى هو الذى قد رأى برأيه الثاقب وتمييزه المستقيم الصائب أن
الانسان لم يخلق الا لاجل نفسه الناطقة لا لاجل جسده بدلالة صادقة وانه لا يكمل
العابد فى رشده ولا يوفى حق نسكه وزهده حتى يرى ان نفسه رذلة وجميع أفعاله
مدبرة فسلة ويكون من كل انسان منفصلا وبكل انسان متصلا فتيقظ لحراسة نفسك
ولا تغتر بسلامة أنسك فان حراسة النفس لا تتم بغير جهد وتعب ولا تستقيم لحارسها
بلا كدر ونصب ولا تظن ان الفضائل تقتنى من غير مناصبة ولا تطرد الاعداء بلا
مقاومة ولا محاربة واعلم ان الذى يقصد النقاوة من الذنوب الثقيلة ويروم المسامحة
مما هو عليه من الجرائم الجزيلة وهو على عدوه دائم الغضب وعلى غريمه شديد
الجد والطلب فانه يكون بمنزله من يريد أن يبصر بحدة نظر ولعينيه يطرف بكل ضرر
فاحذر من سرعة الغضب ولا تأمن غائلات الحقد والوصب فتكون سالما من
الشوائب وناجيا من النقائص والمعائب وان أسديت الى انسان معروفا واحسانا
وأوليته جميلا وامتنانا فلا تجعل لك منة عليه ولا مفاخرة تصل اليه فان جوزيت من
قبله بشر يقرح القلب ويجلب على النفس الوهج والكرب فالزم الصبر على ما أتاك
من المصاعب لتكون فضيلتك كاملة المناقب فقد قيل * ان الفضيلة لا يمكن
ان تكون كاملة وللفخر والمدح قابلة حتى يكثر الانسان فى عمل الخير الوافر ويكافأ
عليه بالشر الزائد القاهر وذلك لان الانسان الذى سمت به همته الى الكمال وصار
سالكا فى طريق الرشد رافضا للضلال هو الذى لم تفته فضيلة ولم تمله موبقات
رذيلة فالذى قد وصل الى هذه الرتبة الكريمة وصعد الى تلك المنزلة الرفيعة
الجسيمة قد صار الى درجة الملائكة المقربين وماثل الاجناد المقدسين لان

يكون

نفسك عنهما ما استطعت بتمييز نير البصيرة وذهن صافي الوتيرة فاما الذي يغلبان على عقله يضيع منه صوابه بكثرة جهله و يبتعد من عبادة الاله الخالق بالتعبد لشهوات الخبيث الماذق وان كنت تريد أن تعلم سرائر الله في خليقته أو تروم أن تفهم ماهيته وكيفيته تكون بمنزلة من يريد أن يجمع شعاع الشمس في قبضته و يكيل مياه البحار براحته فاغرب عقلك وقلبك عما لا تصل اليه عقول البشر وحد عنه بكل الخوف والحذر لئلا تسقط في حبائل التجديف وتماثل أهل البدع والتحريف ويتيقظ بتمييز العقل من مكائد الشيطان المخفية واحرس نفسك من حبائله المصلية فانه يحرس أن تكون حركته سابقة لانتباه العقل الراجح وهمته متقدمة على الرأي الثاقب الصالح وكن أبدا متهيئا للرحلة والمسير وتحصيل الزاد بفعل الخير الكثير فتسعف بحلول النعمة الالهية وتضيء نفسك بالبهجات الروحانية ويعفيك الله من جور السلاطين ويحميك من مكائد الاضداد وتجارب الشياطين ثم شبه دنياك بزمن الزرع وآخرتك بزمن الحصاد فان الذي تزرعه اليوم طوعا لابد أن تحصده في غد كرها وحاسب نفسك بديمونة الحق ولا تترك في قلبك ذنوبا مخفية واعلم أن بدء الخطية انما يقع أولا بالفكر ثم يخرج بعد ذلك الى الشهوة ولذلك أمرنا بالحذر من احتقار ما هو بالفكر مخفي ومن التهاون في تنقيته بسرعة لان الخطايا التي لا يمكن أن تستقيم الا بالجسد لها موانع كثيرة وتحتاج الى فرغة وامكان ومعونة وزمان وموافقة ومكان فاما هذه أعني التي بالفكر فانها لا تحتاج الى شيء من ذلك ولذلك نسرع اليها لكونها بغير بينة ولا رقيب وذلك لان الذي يخطئ بفكره قد استكمل الخطية بسرعة الفكر ولاجل معرفة الله بالشيء الذي نحن مسرعون اليه في الخطاء شدد علينا فيه الوصية بالتحفظ والتحذر بغاية التحذير والتهديد ونهاية الرهبة والتشديد فاذا حاسب الانسان نفسه وأجاد فكره وتميزه وحسه علم ان اضراره من الافكار الخبيثة ومن الاذعان الى الشهوات المميتة التي لذاتها زائلة وقتية وحلاوتها مسمومة خبيثة ردية لا تجدي لمن يستعملها نفعا من النعيم الظاهر لا في الباطن ولا في الظاهر بل تجلب له العنف والاضرار والعيب المتصل والغار * فان ظننت أيها الصالح انك مع الله مستقيم فتذكر ذنوبك وفعلك الذميم

كمثل مظلوم واتخذ العويل لشفاء أوجاعك وداو بدموعك معطلات آلامك فان عضدتك عناية الهبة فاتعظ بها ثلا تخالف الوصية وتسقطك بالكبرياء والعظمة الى أسافل الهوات المظلمة وقف فى صلاتك بنشاط وابتهال وانزح من قلبك أفكار الضلال لئلا تطيشك وتعريك وتشوشك وتحجبك وتسبى العقل الى تذكار القبائح وتميل القلب الى سهوات الفضائح وصل لئلا تبتلى بالمكاره الردية فان أتت اقبلها بشكر وحسن نية كمثل مستحق لورودها عليك ومستأهل لوصولها اليك ولا تظن بانها غريبة منك ولا تفكر فى بعدها عنك فيقبل الله صلاتك ويسعفك بسلامة ذاتك وينجيك برحمته من المهالك ويريحك من علالها وسقمها ثم يجزل لك الثواب المتضاعف ويخولك فى مقر النعيم المترادف وقيد فكرك برباط وثيق واسجنه فى حبس مضيق ولا تتركه يسعى فى الارض ويجول فيها بالطول والعرض ويجلب على قلبك أمراضا مضرة ويصور فى ذهنك آلاما مستمرة لا تكون عرفتها فى زمان صغرك ولا جازت بخاطرك فى أيام كبرك فتسلب منك لبك وتشوس عليك عقلك حتى تصير كورقة تهب بها الرياح فى جو السماء أو قصبة نابتة تهزها عواصف الاهواء لان المربوط لا يستطيع ان يجرى والمسجون لا يقدر أن يسرى فالذى يريد أن ينقى نفسه من الاوجاع المرذولة ويجد فى عمل الوصايا المقبولة مع تشبثه بالحركات العالمية والتصرفات الدنياوية يكون بمنزلة انسان يريد أن يبنى على أمواج البحر باللبن ويروم أن يطفى حريق النار بالتبن لا تصيح فى وقت الغضب فتسقط العقل من رتبته وتعمى بالقلق بصيرته وميزته وان قصدت باب الله فى أمر تحتاج اليه فاطلب أن يكون ذلك الامر مرضيا بين يديه ولا تقلق ان تأخر بوصوله ولا تقنط ان منعت من حصوله فان الله صالح ويريد بنا الصلاح ومسرته ان نكون سائرين فى طريق النجاح فان وصلت اليك مسألتك بعد برهة من الزمان فان فى الوقت الذى أراده الله سلام وأمان وان كانت طلبتك ممنوعة الوصول فاقمع نفسك بالرضى والقبول لان الله لم يؤخرها الا لخيرك ولما تحسن به طويتك وسريرتك واعلم ان سوء الشهوات والغضب أساس لجميع البلايا والتعب ولا يخرج عنهما شئ من المحذورات ولا تلم بهما فضيلة من الفضائل المبرورات فاحذرهما ما اقتدرت وابعد

اليه ولا تفرح قلوبنا بما نحن عليه فكما ان اليأس يمنع الساقط من النهوض والقيام كذلك التوثق يسقط القائم فى منازل الظلمة القتام لان هذين الامرين كليهما يورثان التعب ويقودان من تمسك بهما الى ضلالة العطب فخذ نفسك بالحذر منهما وأغرب فكرك عنهما واعتمد على كتب الآباء الاطهار والقديسين الابرار لانه قد سبق فى معرفتنا مما لا يحتاج فيه الى فكرة ان حصاد القمح من الحقول وقطف العنب من الكروم يكون دفعة واحدة فى كل عام ومن بعد الحصاد والقطاف تكون الحقول معطلة والكروم غير مثمرة فاما كتب التعاليم الروحانية فان الحصاد والقطاف لا ينقطع منها أبدا بل يكون مستمرا دائما فى كل وقت وزمان وفى كل حين وآوان تزهر الاداب الشرعية وتثمر الفضائل المحيية يحصد المطالع كل يوم منها سنبل الحيوة المؤبدة ويقطف من عناقيد الخيرات المتجددة وهى لا تنقص ولا تبيد بل تتضاعف ثمراتها وتزيد فمن الواجب علينا أن نكد بجدنا ونفتش بجهدنا على معانى العلم والادب ونصرف همتنا فى زيادة البحث والطلب لكى نقتنى جواهر الكلام الذى تستضئ به العقول ويصعد النفوس الى درجات القبول ونتشبه بالسباحين الذين يلقون نفوسهم فى أعماق البحار ويغوصون فيها الى أسفل القرار فى طلب الجواهر النفيسة الشريفة والظفر باللآلئ العالية المنيفة فيذيبون أكبادهم بحرارة التعب ويصدعون قلوبهم بمرارة النصب فواحد ينجح فى بعض الاحيان والبقية عاطلون مع ممر الزمان وهم مع ذلك لا يرجعون عما يقصدونه صابرين على الكرب الذى يعهدونه فاما كلام الله الذى يشفى النفوس من الامراض المدنفة ويرفعها الى مقر الخيرات المضعفة فانه موجود طالبه بلا تعب وحافظا لسامعه من كل غضب وهو أفضل من الذهب والجوهر عند كل انسان تقى وأحلى فى فمه من عسل وشهد نقى كما قال داود الكبير قدره فى الانبياء والعظيم شأنه فى الاولياء احببت وصاياك أفضل من الذهب والجواهر الكريمة وكذا كلامك حلو فى نطقى افضل من الشهد فى فمى أيها الصالحين قساوة قلبك بتذكار خطاياك والزم البكاء على قدر رزاياك لان الدموع لا تأتى مع قساوة القلب ولا تنزل رحمة مع معصية الرب * اعترف بخطاياك لربك الرحوم فتستحق الرحمة

تحرث والحمير بازائها ترعى فأتى الغائرون وسبوها وقتلوا الغلمان بسيوفهم ونجوت أنا وحدى لاخبرك حينئذ أتى مخبر آخر قائلا ان نارا وقعت من السماء وأحرقت الغنم وأكلت الرعاة وخلصت أنا وحدى وجئت لاعلمك ثم أقبل مخبر آخر وقال له ان خيلا أتت وافترقت ثلاثة مواكب وأحاطوا بالجمال وكسبوها وقتلوا الغلمان بالسيوف ونجوت أنا وحدى وأتيت لاخبرك وفيما هو يتكلم أقبل مخبر آخر قائلا ان بنيك وبناتك كانوا يأكلون ويشربون عند أخيهم الاكبر فجاءت ريح قاصفة وصدمت أربعة زوايا المنزل فسقط عليهم فتوفيوا وخلصت أنا وحدى وأتيت لاخبرك فنهض أيوب وسقط على الارض ساجدا قائلا خرجت من بطن أمى عريانا وعريانا أمضى أيضا الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركا ولم يخطئ أيوب قدام الرب ولم يجهل ومن بعد هذا ابتلى أيضا بقرحة خبيثة مؤلمة موجعة من رأسه الى قدميه فخرج الى خارج المدينة وجلس على مزبلة وأخذ خزفا ليحرد بها المدة من على جسده قائلا ان كنا قد قبلنا الخيرات من يد الرب فيجب علينا أن نحتمل الاسوآء وفى هذه الامور التى أصابته لم يخطئ بشفتيه قدام الرب وبعد زمان كثير لما رأى صبر أيوب واستمراره على الشكر بغير قنوط بارك أواخره وضاعف خيراته فصارت غنمه ربوة وأربعة ألف وجماله ستة آلاف وبقره ألف فدان وحميره ألف أتان وعاش بعد التجربة مائة وأربعين سنة فكانت حياته مائتين وثمانية وأربعين سنة ورأى أولادا وبناتا الى أربعة أجيال مجازاة عن صبره الجميل ومكافأة عن شكره الجزيل ولا يخفى عنك أيها الصالح ما امتحنت به الانبياء والتجارب التى نزلت بالاولياء من المرارة والانكاد والطرد والاضطهاد واحتمالهم ما أتى عليهم من الاذى وصبرهم على ما أصابهم من الردى فتدرع بالصبر عند حدوث المصائب المستصعبة ونزول التجارب المستغربة وتسلح بالشكر لله على ما قد أوتيت وسبح مضاعفا على ما قد أوليت فتحل بذلك فى محلة الابرار وتصعد الى محلة القديسين الاطهار هذا ويجب علينا اذا ابتلينا بالشدائد التى توصلنا الى قرب الهلاك البائد لا نيأس من رحمة الله ورأفته ولا نقطع رجانا من لطفه وعظمته وهكذا اذا نجحنا بالاراء الصائبة وأدينا ما يلزمنا من الفرائض الواجبة لا نثق بنفوسنا بما قد وصلنا

يا ابراهيم خذ ابنك وحيدك الذى أنت تحبه اسحق وأصعده قربانا فأذن ابراهيم بالغداة وأخذ اسحق ومضى به الى الموضع الذى أمره الله به وأخذ الحطب وحمله عليه وأخذ النار والسكين فقال له اسحق يا أبت هوذا النار والحطب فأين الحمل للقربان فقال له يا بنى الله يظهر الحمل للقربان وبنى ابراهيم المذبح ونضد الحطب عليه وكتف اسحق ابنه وصيره على المذبح فوق الحطب ومد يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه الصوت من السماء قائلا * يا ابراهيم لا تمد يدك الى الغلام ولا تصنع به شيئا فانى عرفت انك تتقى الله ولا تصد ابنك وحيدك عنى ثم رفع ابراهيم عينيه فرأى كبشا مشدودا فى شجرة فاخذه وقربه قربانا بدل ابنه ثم أتاه الصوت ثانية يا ابراهيم باسمى أقسمت انك لاجل ما صنعت هذا الامر ولم تحجز ابنك وحيدك عنى لابارك فيك بركة وأكثر نسلك مثل نجوم السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر ويحوز نسلك قرى أعدائه ويتبارك بنسلك جميع أمم الارض جزاء لقبولك قولى * ثم ما علمته أيضا من قضية يوسف الصديق مع اخوته وما احتمله على صغر سنه وصبائه وانتظامه فى سلك العبيد المماليك ولكثرة شكره لربه على حكمه وازادته ثم ما امتحن به من زوجة مولاه المصرى واشاعتها عنه ما لم يجر مع معرفة الله بعفته وما هو معلوم من صيانته وعصمته وسجنه مع طائفة المجرمين ومساواته بالاسرى المفسدين فمن أجل عفته وحسن سيرته وطهارة قلبه ونيته جعله الله أمينا على بيت فرعون وشعبه وقائد الاشراف وصحبه وولاه مصر وجميع البلاد يتصرف فيها بغير عناد ثم ما قد علمته من سيرة الصديق أيوب الذى طهره الله من جميع العيوب وانه كان له سبعة بنين وثلاث بنات وكان عدة غنمه سبعة آلاف وجماله ثلثة آلاف وبقره خمس مائة فدان وحميره خمس مائة أتان وغلمانه كثيرة جدا ولما امتدحه الله وقال ان ليس مثله فى الارض وانه بلا عيب فيه محقا عابد الله ممتنعا من كل أمر خبيث أجابه الشيطان حينئذ قائلا ان أيوب لم يعبد الله مجانا وانما عبادته من أجل كثرة ماله وغناه وكثرة بهائمه على الارض فقال له الله قد أعطيتك كل شئ له فى يدك سوى نفسه وأراد الله بذلك أن يضاعف فضيلته وخيراته ويعرف الشيطان بحسن صبره وان أيوب الصديق لم يشعر حتى أتى اليه مخبر وقال له ان فدن البقر كانت

متحرزا فيما يحتاج اليه من الكلام احترازا من المعتبة والملام لا يلابس قوله جرأة ولا انتهار ولا يشوب جوابه منقصة ولا احتقار بل يكون كلامه باللين والسهل معروف وحديثه بالرفق واللطف مشهور مألوف لا يحسد من يراه في عبادة الله مستقيما ولا يفرح بمن يسقط من أعدائه في موبقات الجحيم بل يكون سروره متضاعفا بالذي قد نجحت طرقه في رضى رب العالمين ويشتد حزنه وكربه على الذين وقعوا في فخاخ الشياطين الظالمين ان وعظ لا يتقسى على الموعوظين وان علم فلا يساوي بين المتعلمين بل يحسن في سياسته ويداوي كل مريض بمقتضى ما تسعه قدرته وطاقته بالرحمة واللطافة والتحنن والرأفة لكي يشفيهم من أمراض الخطايا ويقيمهم من سقطات الرزايا فاما الحامل الذي قد تبينت له علامات ذنوبه وانكشفت لفطنته عورات عيوبه ولزم الندم على ما قد جناه وعزم على أن يتوب ويقطع هواه ثم يقوم سيره في الطريق المستقيمة ويحيد عن جميع الطرق الذميمة فينبغي له أن يبادر بالتوبة من غير اهمال فانه لا يعلم ما يكون في غده من تصاريف الاحوال لان من الناس أقواما أملوا أن ينصفوا أنفسهم مما جمعوا عليها من الخطايا فسوفوا الوقت الى أن أدركتهم المنايا فلم ينتفعوا باموالهم ولم ينجحوا في أعمالهم وظاهر الاحوال انهم يدانون باشد العذاب ويقابلون على نوائبهم باشر العقاب * أيها الصالح ألزم نفسك الصبر اذا أتتك الشدائد ولا تجعل في زوالها بالقلق الزائد فان الله جلت قدرته وعزت عظمته وقوته يريد منا أن نكون أبرارا طائعين وان لا نكون من الاشرار العاصين وذلك ان أحكامه جميعها للخير قاصدة وللشر مصادمة معاندة * فان ألم الخطاة في قضائه فهو يريد رجوعهم الى رضائه كالطبيب الذي يداوي المرضى بالعقاقير المرة لينقذهم من الدآت المضرة * وان امتحن الصديقين الذين ساروا السيرة الفاضلة في عبادته وتجاوزوا الحد في فعل وصيته وارادته بالاوجاع المضرة الجامحة والآلام المرضة القادحة فليس ذلك على جهة التأديب ولا على سبيل الموعظة والتهذيب بل على سبيل الزيادة في فضائلهم الشريفة وأفعالهم العالية المنفية بمقتضى ما أخذناه من الشريعة الهادية المضيئة وفهمناه من الكتب المقدسة المرضية وبيان ذلك ما قد علمته من أمر ابراهيم من ان الله امتحنه وقال له

القيام بها فى الآخر ولو يوما واحدا لم نجد لنا ما قدمناه نفعا لان أمر النعيم والشقاء مردود الى ما يكون من المرء فى آخر عمره ومن المفهوم الذى لا يشك ولا يرتاب فيه ان الآباء القديسين الذين نحن نقر أسيرهم لما أكملوا جميع العمل وجميع الفرائض والسنن الواجبة علينا جميعنا لم تقنع نفوسهم بذلك بل سمت بهم همتهم العالية الى العمل بما هو أشرف منها وتركوها خلف ظهورهم وتعالوا عليها وفاقوها وتقدموا الى الدرجة العليا التى هى الاتصال ببارئهم وذلك انهم لزموا الوحدة والصيام والنسك فى الصلاة والسكن فى البرارى والمغائر وكهوف الجبال وشقوق الارض وأهلكوا أجسامهم بالعبادة حتى نقيت من كل عيب ودنس وحينئذ غلبوا جميع الاوجاع التى تسهل الطريق الى أفعال الخطايا واستحقوا الاتصال ببارئهم وارتفعت نفوسهم الى الرتبة العالية التى خلقت من أجلها ووصلت الى العلم بالحقائق لان القيام بالحقوق شئ واجب على كل أحد من الناس فأما تقدمة الهدايا فانها شئ آخر يضاف الى ما هو لازم بالحق لكى يجد المهدى السبيل الى التقرب والتوصل الى صاحب الامر فينال منه المجازاة ويحظى عنده بالمكافأة فان هؤلاء الذين قاموا بالوصايا وتعالوا عليها تركوا الزيجة ولزموا الرهبانية ورفضوا المال والقنايا واختاروا الفقر والمسكنة وفارقوا الاهل والاقارب ورضوا بالانفراد والوحدة وتركوا الاوطان والمنازل الطيبة وسكنوا شقوق الجبال وأجرة القفر وابتعدوا من طيبات المأكل ولذيذ المشارب واقتنعوا بالخبز اليابس وعقاقير البرية والماء المروع رضوا عن الملابس الناعمة بلباس الشعر وليف النخل مع ملازمة الصيام والسهر والقيام وبهذا استطاعوا ان يغلبوا جميع الاوجاع المضرة ثم استفادوا من جهة الوحدة ترك الغيبة والدينونة والكلام الذى ليس فيه منفعة للقائل ولا للسامع والضحك والمزاح والقهقهة والمفاجرة والعجب والمفاخرة * اهرب أيها الانسان الصالح من هذه جميعها وأحذر كثرة الكلام والمجاهرة واحفظ لسانك من الصياح فانه يجلب الغضب ويسقط العقل من مرتبته واخفض صوتك اذا تكلمت بمقدار الحاجة اليه بتأن وهدوء فان الذى قد حاد عن طرق الرذائل وقصد السلوك فى محجة الفضائل لا يعجل فى خطابه ولا يسرع فى جوابه ويكون

قد غلب جميع اعدائه المناصبين والاجدر به ان يكون خليفة الملائكة المقربين لان اعمال الصلاح والفضائل لا تتم الا بعد قطع الرذائل فطوباهم الذين يقومون بالدلال في يوم دينونة العدل خالصين من الشين والتبكيت والرذل فيجب اذا ان نعلم ان الصمت ليس هو ان يكون الانسان ساكتا وعقله يدين الناس ويلومهم ويظن بهم القبائح والرذائل بل يمسك لسانه ويضبط عقله في أمور الناس ويكون ناطقا بالتمجيد والتسبيح لله جل اسمه متفكرا في جمال مخلوقاته وخواصها واشكالها وترتيبها وافعالها ايها الانسان الصالح أحرص في التيقظ بكل جهدك واحترس من مكائد الاعداء بطاقتك فانك تعلم ان الانسان اذا كان ذا رأي وشجاعة فانه أبدا يكون متحذرا من عدوه الذي يقصد اضراره واخذ متاعه فيروض رأيه فيما لعل عدوه ان يحتال به عليه من الامور المكرهة المضرة والقوادح المحذورة المرة وتحصيل ما يقابله به من التحليل لبرمه والنقض لحزمه وعزمه من قبل حضوره اليه وقدومه عليه ثم يلبس درعه وخوذته ويأخذ سلاحه بيده ويعتمد بقوة الله على الامور التي يتم له الغلبة بها كمثل السهر والتيقظ خشية من مجئ عدوه فيجده نائما فيدرك منه حينئذ مراده وبغيته وكمثل قلة المطاة من الطعام والشراب لئلا يأتي عدوه فيجده وهو مثقل الجسم مظلم الحس فيبلغ الغرض في مضرته واذا كان الامر على ما وصفناه فان العدو اذا أتى ووجده ساهرا لا يساعدته وسلاحه بيده متهيأ للقائه فانه يرجع خائبا فتجردا ايها الصالح لعمل الوصايا التي هي عدتنا وسلاحنا وقوتنا ونجاحنا وتداولها على الاستمرار والدوام وعمر الليالي والايام وكن كالعبد النشيط الذي يخدم سيده اليوم ولا يمكنه ان يتعطل عن خدمته في غد وتفهم فيما قاله النبي سبحوا الرب تسبيحا جديدا اي ان نعمة الله متجددة عليك في كل وقت لانه جعل الشمس والقمر والكواكب في خدمتك ايها الانسان ليلا ونهارا بغير تعطيل وانت تعلم ان اشراق الشمس عليك في هذا اليوم ليس ينفعك في غد اذا كانت غائبة عنك ولا يغنيك استنشاق نسيم الدنيا بالامس عن الحاجة اليه في اليوم وغذاءك الذي تتناوله في هذا اليوم لا يصونك من ألم الجوع في غد وهكذا الفرائض التي يلزمنا القيام بها اذا ما لقنا بتأديتها العمر كله حتى نعطل من

يعدل عن الطريق المستقيمة ولا يرتشي بالرشوات الذميمة ولا يجتمع في قلبه مكر ولا يغادر قوله غش ولا غدر يكره المراياة ويبغض المحاباة ويبتعد من الكذب والبهتان ويفر من المصادمة والعدوان ويزدري بالنفاق والشين ويهرب من الملق والمين * قيد لسانك بالسكوت عن كل كلام ممقوت واعلم ان زلات اللسان سريعة العطب التحرز منها شديد التعب وليس في أعضائنا شيء يعين على هلاكنا ويقوى ضلالنا وطغياننا مثل الفم المطلق واللسان الذي يزلق فنهما يكون أكثر ذنوبنا وبهما تظهر مناقصنا وعيوبنا وذلك ان الانسان الذي يزلق على الارض الوعرة أو يسقط في أماكن مستصعبة عسرة ربما تهشمت بعض أعضائه وانجرحت أو تألمت بعض مفاصله وانصدعت فأما الذي يزلق بلسانه العثور فانه يهلك نفسه وجسده بالعذاب المحذور وأما الذي لا يدنس لسانه بكلام قبيح ويكرم الناس بالثناء والمديح فقد حفظ نفسه من الهوان ويكون في الآخرة غير مدان وحيث ان الموت والحيوة قد صارا الينا من هذا العضو الصغير الذي يأتي منه كل أمر خطير فلهذا يجب عليك أن تحبس لسانك لكي يصير تحت طاعتك وأحكامك لان السيف الثقيل المجرب لا يفعل ما يفعله اللسان المتدرب وذلك ان السيف انما يهلك الاجسام الكثيفة وأما اللسان فيهلكها مع النفوس العاقلة اللطيفة فمن حفظ لسانه فقد خلص نفسه من جميع الشرور وصانها من الخطاء والعيب المحذور وذلك لان الانسان الذي يطهر لسانه من الدنس وينظفه من الافك والنجس لا يغتاب ولا يكذب ولا يشتم ولا ينتهب ولا يهجو ولا يذم ولا يحزن ولا يغم ولا يماحك ولا يقالع ولا يغاشش ولا يخادع ولا يلاجج ولا يشجب ولا يسجس ولا يغضب ولا يغم ولا يقرف ولا يغصب ولا يقذف ولا يحرف ولا يداس ولا يغرى ولا يلبس ولا يشي ولا يخامر ولا يقمقم ولا يناقر ولا يهجن ولا يجرح ولا يشاقق ولا يطرح ولا يفزع ولا يؤنب ولا يموه ولا يؤاب ولا يحابي ولا يقافز ولا يحرف ولا يغامز ولا يلاعن ولا يحدف ولا يوبخ ولا يزيف ولا يرائي في خطابه ولا يحابي في جوابه ولا يهزأ ولا يمازح ولا يبكت ولا يقابح ولا ينتهر ولا يلثث ولا يغادر ولا يقبح ولا يفرق ولا ينفخ ولا يمخرق ولا يعير ولا يدين ولا يخبث ولا يمين فالذي تكون هذه المحاسن من اوصافه وهممه وتلك المحارم من اخلاقه وشيمه

فيه الربح من الخسران والفائدة من الحرمان فاذا انقضى بطل البيع والشرا وحينئذ يتضاعف فرح الرابحين وينزل الهم والحزن بالخاسرين ولاجل هذا قد وجب علينا أن لانسوف الوقت فى أمر التوبة وان عظمت ذنوبنا فان رحمة الله أعظم منها وذلك ان منسا الملك مع كثرة خطاياه الهائلة لما أخلص نيته فى التوبة اخلاصا نصوحا استجاب له الله وقبل توبته وغفر له ذنوبه برحمته بعد تلك الخطايا العظيمة التى من جملتها انه اضطهد الامة الاسرائيلية جميعها وجبرها على عبادة الاوثان اثنين وخمسين سنة أليس ان اثم الذين قدماتوا منهم فى هذه المدة كلها وهم مستمرون على عبادة الاصنام والكفر بالله متعلقا بالذى جبرهم على ذلك وأوردهم الى العذاب والهلاك بنار جهنم ولكن ان ندم وتاب وقصد أبواب الرحمة فتحت له وصار من جملة الفائزين فما أعظم رحمة الله للذين يلتجئون اليه ويتبعونه بكل قلوبهم احذر من التفتيش عن عيوب الناس بما تصل اليه قدرتك ولا تطلق لسانك ولا فكرتك فى دينونتهم واقبل الامر السيدى القائل لاتدينوا لئلا تدانوا ولا توجبوا الحكم على أحد لئلا يحكم عليكم ابتدئ أولا وأنزع الخشبة التى فى عينك وحينئذ أنظر الى القذى الذى فى عين أخيك لان الذين لايدينون نفوسهم ولا يتحفظون من دينونة غيرهم يسقطون فى جب الهلاك ويصيرون أعداء الله الذى يستر عيوب الاخيار والاشرار فاذا كنا لاندين أنفسنا بالعدل ولا نقيد ألسنتنا عن دينونة الآخرين فقد صرنا بمنزلة فخ العثرة وأحبولة الشك لغيرنا ونزداد خطية على خطايانا وذنوبا على ذنوبنا ونصير بمنزلة الذين لايرون انهم يعطون جوابا عن أعمالهم واقوالهم وأفكارهم فليت شعرى كيف يكون جوابنا فى يوم الدين اذا سئلنا حينئذ عن دينونتنا الاخوتنا وخطايا ناظاهرة تشهد بأعمالنا الفاضحة وردائلنا القادحة بين الصفوف والملائكة الوقوف ۞ أيها الانسان الصالح تمسك بالحق فانه عز امام وجه الله الكريم ومجد ظاهر بين العالم العظيم لان الذى يقصد الحق يرتكن الناس على قوله الصادق وينتفعون من قبله بفعل غير ماذق لان أموره جارية على نظام مستقيم خالصة من كل عيب وخيم ولا يأخذ بوجوه السادة الاكابر ولا يجور فى قضائه على الادنياء والاصاغر ولا

وتدرك الحيوة الدائمة فى ملكوت السماء لان القرآءة تمنع العقل من ان يضل وتجعل القلب فى قتال الشياطين ما يذل وتنير البصيرة بالضياء اللامع وتمنح النفس بالطوبى البليغ النافع كما هو مكتوب بالنبى القائل * طوباهم أيضا الذين يفحصون عن شهادات الله ويتبعونه بكل قلوبهم وقوله * أخفيت كلامك فى قلبى لكيلا أخطئ اليك * قيد لسانك بالسكوت عن الكلام الذى ليس فيه منفعة للنفس بمخافة الله وتقواه فان السكوت بالتقوى يحطم سلاح الشياطين ويرد جيوشهم خائبين وهو طريق لجميع الخيرات وسلم يصعد به الى علو السموات واعلم أيها الانسان الصالح انك اذا كنت سالكا فى الطريق التى ترضى الله وتقربك اليه فان الشياطين يقصدونك بكل شر يقدرون عليه فى باطنك وظاهرك ويجيشون عليك ويكمنون لك فى أماكن لا تحتسبها ولا تفيق عليها لكى يخرجوك من الطريق المستقيمة فاحترس من اطغائهم بالافراز الذى لا يخرم والنظر الذى لا يخيب لكى تخلص من مكرهم واحتيالهم فان غلبت وانقطعت من العمل الذى يرضى الله وتفرح به ملائكة السماء فلا تزل نفسك ولا تحبن لئلا يملك عليك الكسل ويسقطك فى هوة الملل بل انهض نهوض الابطال وبادر بالتوبة من غير اهمال فيعيدك الله برحمته ورأفته الى رتبتك التى كنت فيها الوقت من أجل سرعة رجوعك اليه وذلك لان تجارا عظاما قد أصيبوا فى أموالهم بحرا أو برا فلم يقطع ذلك رجاهم ولا أوقفهم عما كانوا عليه فى طلب الربح والفائدة بل قد ازدادوا نشاطا وحرصا واجتهادا وسعيا حتى وصلوا الى ما كانوا عليه أولا وضعفوه فواجب علينا اذا سقطنا الانقطع رجانا ولا نيأس من لطف الله ورحمته فى جميع ما نجيبه على نفوسنا بل نتيقظ بسرعة الى التوبة فى طلب الغفران فنجد بذلك ان أبواب الرحمة قد فتحت أمامنا فأما ان قطعنا رجانا حتى يدركنا الموت فنكون قد وافقنا الشياطين فى هلاك نفوسنا وأحببنا الظلمة أكثر من النور واخترنا الموت على الحيوة المؤبدة وجعلنا أنفسنا أبناء لجهنم ولهذا قد وجب عليك أيها الانسان ان تعرف ان لا توبة تنفع بعد الموت ولا مغفرة لمن هو فى الجحيم ولا رحمة لمن قد صار الى العذاب لان حياتنا فى هذه الدنيا شبيهة بالسوق القائم الذى تحمل اليه البضائع ويجتمع فيه المشترى والبائع ويتبين

بالاخلاص فى محبته والثبات على طاعته ومودته وكيف يحمل بنا أن نمسك على الباطل ومافيه هلاك نفوسنا من الهوى الردى والسم القاتل بعدما قد منحنا به من الاختصاص والتميز والنظر والتحذير والانذار عن كل مكروه وخطر فمن الواجب علينا أن نتيقظ بحرقة القلب والتميز الصالح قبل نزول القضاء علينا وحضور الموت الينا وننزع منا كل فعل نسخط به الله ويبعدنا منه ونصرف همتنا فيما يرضيه بعمل الوصايا والتوبة عن جميع الخطايا بنشاط سالم من الكسل وعمل دائم بغير ملل فنكون من جملة الطائعين ونعد فى زمرة الفائزين * أطلق لسانك أيها الصالح بأصوات التهليل والمديح وعود حنجرتك على الحان الترتيل والتسبيح فيهرب عنك كل عدو مغتال وينهزم منك كل شيطان محتال فان مديح الله ومجده وشكره وحمده يقهر القوم الظالمين ويقمع الشياطين الغاشمين ويرد الاشرار على أعقابهم وينكس المتعظمين على رقابهم فيز بفكرتك الصالحة وبصيرتك الراجحة ان القدر اذا كانت تغلى وبخارها يصلى لا يصح الجسارة عليها والتقرب اليها الاسباع ولا نمورة ولا بازات ولا صقورة ولا الحيات الصم ولا العقارب التى تنفث السم فاذا خمدت نارها وسكن بخارها صارت طريقا مسلوكة ومحلة منهوكة للذباب الضعيف والنمل النحيف ولما يسعى من عفان الارض السبخة من الذبابات القذرة الوسخة فصوت صائحا بأقوال القديسين الاطهار وزل ما استطعت بترتيل الابرار وزمزم بالصلاة وهلل تهليلا للقرآءة فتكون آمنا من قوادح الفزع وناجيا من قوادح الجزع وراصدا مكامن الاعداء بقوة الافراز واحذر من خدائعهم بكل الاحتراز فان رشقوا قلبك بسهام الشهوات الرديئة وحجبوا عقلك بظلمة اللذات الدنية فانصب لهم ترس الامانة والبس بيضة الرجاء واخترط سيف الروح وتسلح بالصبر فى القتال ولا تصغر نفسك من شدة المآل وتقوى بقوى الله وعزته وتشدد بفضله ورحمته وتكون مقاتلا شجاعا وبطلا محاربا مناعا واحذر العجز عن مقاومة الاعداء والخوف من تهويلات الرداء لئلا تسلب من سلاحك وتهرب من صلاحك ثم تيأس من فلاحك واستعن فى أمورك بملازمة الصلاة والاكثار من القراءة لتعلم كيف تنجو من شباك الاعداء

ورطة الجهالات والاعفاء من ظلمة الضلالات بتوبة تجرح القلوب وتستر العيوب وتمحص الخطايا والذنوب فادرك نفسك قبل أن يدركها الموت وانهضها قبل أن يقعدها الفوت لئلا تزل بك القدم وتسقط فى هوة العدم فتندم فى حين لا ينفعك فيه الندم حيث لا يسمع منك قول تقوله ولا يقبل منك عذر تعتذر به * لا تأمر الناس بالطاعة وأنت سالك طريق المعصية فتكون مثل المنبرة التى ظاهرها حسن وباطنها صديد ونتن وميز بعقلك أن الذى يريد أن يعمل الخير على قاعدة مستقيمة يجب عليه أن يترك الشر أولا فيكون ذلك مبدأ لعمل الخير كما أن الذى يقصد الصعود الى العلو وهو يجعل رجله فى أول درجة من السلم فيفارق الارض فتكون مفارقته للارض مبدأ الصعود الى العلو وهكذا يجب علينا اذا أردنا أن نكون من أهل الخيران نحيد عن الشر أولا وحينئذ نستطيع أن نعمل الخير * احذر بكل حذرك أن تعاشر الاشرار وابتعد منهم بطاقتك غاية البعد فتكون قد أنقذت من فخاخ العدو لان عشرة الاشرار تعدى الاخيار وتسوقهم قهرا الى الحبائل المنصوبة من قبل الشيطان * اذا كان الداء فى انسان ما يجب للذى يقصد السلامة أن يدنو منه لئلا يعديه ويصير بعد الصحة يعدى كل من يتقرب اليه * لا تخل قلبك من ذكر الموت وخروجك من الدنيا ويداك مبسوطتان فارغتان من جميع ما قد أقتنيته فيها وكونك تصير الى التراب ويبتعد منك الحبيب والقريب فلو عقلنا على نفوسنا بالتمييز الصادق لما كانت الغفلة تستولى على عقولنا بنسيان الموت وشدة الكرب الذى يأتى من قبله علينا ويسيرنا كالغنم التى ترعى والذئب يختطف منها واحدا بعد آخر فترفع برؤسها من الرعى وتنظر اليه وهو فى فم الذئب ثم تعود الى الرعى على حالها الاول ومن العجب انا نحن فى كل يوم نشيع الموتى ونشاهد أحوالهم ورموسهم التى فى الظلمة وتعفرهم فى التراب وانصراف أهلهم وأقاربهم عنهم بسرعة لارث ما يخلفونه ولا نعتبر من ذلك وعلى هذا فأى عذر لنا اذا لم نعتبر ونستعد ونكون متيقظين لهذا الامر الوارد على كافة الخلق وكيف يمكننا الجرأة على الله فى اهمال أمره ونهيه وطرح ما قد أتانا من التحذير وما قد جاءت به كتب الانبياء والمرسلين ونترك ما فيه سلامة نفوسنا وصلاح ايماننا وما به نتقرب اليه بالقول والفعل

وتحطمت وهلك كلما حكان فيها فان أنت غفلت عن نفسك الى أن توهقك موبقات الكسل والاهمال صدمتك الاعداء الذين لم ترهم وأضاعوا اتعابك وما قد اقتنيته في عمرك من الخير وصيروك غريقا في لجج الخطايا والذنوب وعاريا من غناك فانهض اذا بعزمك وتميز عقلك واحذر الغلبة واضبط نظرك عن كل شئ مذموم من شهوات الجسد وقيد لسانك عن كل كلام لا منفعة فيه والجم غضبك بحرص لئلا يحركك الى الاسباب المهلكة فان كان اعتمادك بحسب هذا القول نجوت من جميع الاهوال وأوصلت سفينتك بالسلامة الى الميناء الهادى بسكون لا خوف فيه ولا جزع مسرورا بربح تجارتك والغنى الذى لا يزول * لا تسقط مع من سقط لانه ينبغى للذى يريد أن يقيم الساقط أن يكون أشد قوة منه لكى يستطيع أن يقيمه والا فيسقط معه فتكون الضرورة داعية الى من يقيمه ويقيم الساقط قبله * اجتنب البكاء مع الباكين على فقد الاولاد وغرامة الاموال لئلا تزيدهم حزنا على ما هم عليه بل أسعفهم بالوعظ اللين وادعهم الى الصبر والشكر لله على ما نالهم من المساواة بغيرهم من أمثالهم وجد فى عزاهم بما أعده الله فى ذخائره من الخير للصابرين فاما الذين سقطوا من درجات الفضائل وتابوا بالبكاء والنوح على ما آل به أمرهم اليه من المعصية فجدير بكل مؤمن أن يبكى لبكاهم وينوح لنوحهم بفؤاد مجروح وقلب مقروح فابك اذا مع أخيك على خطاياه وارحمه وأرفق بقلبك عليه لان الذى تسيل دموعه على خطايا صاحبه يخلصه الله من الفعل بمثلها ويضاعف له الثواب والنعمة من أجل التحنن والرحمة * أيها الانسان لا تغتر بمحبة الدنيا فتهلك نفسك وأد لله حقوقه فانه قد وفاك جميع ما قد شرطه لك وأندرك انذارا مؤكدا بانه يطالبك بما قد اشترطه عليك فاصح من سكرك لكى تدرك ما أنت الآن عليه وفق من نومك وافهم ما قد قيل لك واعلم انه رحوم لا يريد أن تكون فى سبى أعدائك وتخرج عن ملكة سيدك ومولاك فتعد من جملة المارقين وتصير الى زمرة الهالكين فتيقظ لنفسك وارفض العدو الذى قد دعاك فاجبته وناداك فسمعته وأشار اليك فلحقته وأطاعك فأطعته ورجعت الى رأيه وسمعته وعملته واعتصم بالذى له القدرة الدائمة والقوة الملائمة فى الخلاص من

سفينته فهو على الدوام مستمر السير فى الطرق المستقيمة يتيقظ متحرزا من كل أمر خطر الى النهاية التى توصله الى المينا المعروف بالسلامة والأمن من الخوف والندم واحذر كل الحذر من وصمة التوانى والاهمال فيما قد أمر الله به ونهى عنه بل كن على غاية التيقظ والنشاط فى العمل الذى أمرت به ثم على غاية النهاية فى التحرز والبعد مما قد نهيت عنه باخلاص فى العقيدة والنية والاستمرار على التوبة المرضية قالوا الملتأخيرا الى النفس الاخير وذلك ان أقواما كثيرين اجتهدوا فى بدايتهم اجتهادا كثيرا تاما مرضيا وجدوا فى أعمال الفضائل وبذلوا حرصهم فى اجتناب الرذائل وأخذوا نفوسهم بالعبادة الحسنة التى لا يشوبها غش بصلوات مبرورة ودموع غزيرة ممطورة وصيام موجع ويؤلم ونسك يضعف ويهرم وسهر يقل قوة البصر وبكل حدة النظر ولزموا العفة وبعدوا عن الفجور واقتنوا المحبة ورفضوا البغض والحسد المحذور وتمسكوا بالصبر فى اوقات الشدائد المجحفة وتأنوا عند نزول الحوادث المرجفة وأخصبوا اماهم عليه بالزيادة فى الفضائل المشروحة والمحاسن المستحسنة الممدوحة وساروا هذه السيرة مدة مديدة وسلكوا هذه الطريقة سنين عديدة فلما جاء أوانهم وقرب وقتهم وزمانهم تلصصت الاعداء عليهم وتوصلوا بالنهوض اليهم وسرقوا ما كان حاصلا فى أيديهم وعوضوهم عن الصبر والاحتمال بكثرة التوانى والاهمال فلكت الظلمة على عقولهم المضيئة وأعمت قلوبهم النيرة البهية فمالوا الى اللذات الوقتية وأوغلوا فى الشهوات الجسدية فصاروا للخطايا وارثين وانصرفوا بعد جهادهم خائبين ومن غنائهم عارين فكان هؤلاء بما قد اقتنوه من كثرة الفضائل وما قد رفضوه من شؤون الرذائل بمنزلة التاجر الذى ركب سفينته وترك أهله وعشيرته وسافر فى طلب الغنى الزائد وكثرة الربح والفوائد فصار يخاطر بنفسه فى العبور الى الاماكن المستصعبة والمدن البعيدة المستغربة التى لا يقدر على الوصول اليها الا قليل من كثير بعد المشقات الشاقة المخبورة والاهوال الهائلة المحذورة فاكتسب الاموال الجزيلة وعاد بالامتعة الجليلة فلما قرب من ميناء مدينته استرقه النوم فنعس ونام وصارت الرياح تهب بسفينته يمنة ويسرة بغير مدبر فصدمت بعض الجنادل القائمة فى البحر فعطبت

حكمك بالغلبة للتعاظم على التواضع فتكون مضادا لله فيما هو له وحده وان حكمت بين المحبة والبغض فلا تجعل الغلبة للبغض على المحبة فتسوقك الى مشاقة الاعداء ومحاربتهم فتكون مخالفا للذى قال أحبوا أعداءكم واحسنوا الى مبغضيكم وان حكمت بين القناعة والشره فلا يغلبك ذكر التمتع بطيبات المأكل ولذيذ المشارب فتحكم للشره بالغلبة على القناعة فتكون قد شابهت البهائم فى شهواتها وماثلتها فى عاداتها واستعمل التمييز الذى هو فى ملكتك فى جميع ما تحكم به حسب طاقتك فان أنواع الفضائل كثيرة جدا ولكل نوع منها ضد من أنواع الرذائل فاذا صيرونا وملنا بالهوى الفاسد الذى يعمى عقولنا من جهة الشهوة والغضب وحكمنا للشر بالغلبة على الخير كما تقدم القول أو نكون قد هيأنا لنفوسنا فى الحالة الحاضرة تحصيل اللعنة التى جاءت من الله على لسان أشعيا النبى القائل الويل للذين يقولون أن المر حلوا والحلو مر ويجعلون النور ظلمة والظلمة ضوأ ثم رضينا أيضا بان نصلى نار جهنم مع الشياطين ولا نتنعم بخيرات السما مع الملائكة المقربين فاما ان حكمت أيها الانسان بتمييز العقل والتحرز والتحفظ على مقتضى الحق والعدل وجعلت الغلبة للخير على الشر كما قد جاءت الوصية كنت للطوبانية أهلا وتمت فيك أقوال النبى القائل طوبى للرجل الخائف من الرب المتمسك بوصاياه وقوله طوبى للرجل الذى يرجو اسم الرب ولم يمل الى الباطل وقوله طوبى للذين يحفظون أحكام الرب ويعملون بالعدل فى كل حين وصرت فى نفسك كالحاكم العدل الذى يقضى بالاستقامة دائما ولا تأخذه لومة لائم فى حكمه لا من الله ولا من الناس فاحسن فى سياسة نفسك ما اقتدرت دائما بالتدبير الصالح الذى اقتنيته بالتمييز واكتسبته بالتجربة واستعن فى تتميمه بعمل الوصايا فتكون شبيها بمدبر حكيم اذا كانت سفينته مقلعة فى وسط البحر فانه يتأمل الطرق المسلوكة فيكون سيره فيها دائما ويكون أبدا مبتعدا من أماكن المياه المنقلبة التى تبتلع السفن وتوصلهن الى قعر العمق ومحيدا عن مواضع الجنادل التى تكسرها بملامستها وتحطمها ثم يكون نظره مصروفا على الدوام الى كل جهة من جهات الرياح الاربع لكى يعرف من هبوبها ما هو الطيب منها وما هو الشعث لئلا يغفل فيأتيه العاصف بغتة فيقلب

ما استطعت لئلا تماثل العذارى الجاهلات اللواتى لم يأخذن زيتا مع مصابيحهن ولما جئن أخيرا قائلات يارب يارب افتح لنا أجاب وقال الحق الحق أقول انى لا أعرفكن فابعدن اذا من السرور والفرح الدائم وأبذل جهدك فى تحصيل الزاد لانك لا تدرى وقت الرحيل * تنبه واقض على نفسك بقضاء الحق ولا تمل الى الهوى الكاذب فان الاستطاعة مذخورة فيك تميز بها الخير من الشر وليس يخاف عنك ان القاضى الذى يحكم بين الناس اذا كان أخذا بالوجوه أو قابلا للشفاعات فى حكمه فانه ليس بصالح وحكمه غير مستقيم قدام الله ويكون معدودا فى الدنيا والآخرة من قضاة الظلم فأما ان كان مقسطا عادلا ممتسكا بالحق والحق ثابت فى نفسه ولا يحيد عنه بمنة ولا ينخدع فى قضائه برشوة المال ولا بعلو الدرجة وسمو المرتبة ولا يغرى صدره تأكيد العداوة ولا يرفق قلبه حرمات الصداقة والمودة فهذا من الابرار الصالحين ويعد فى قضاة العدل فاقض اذا على نفسك بعملها فانه يكون أول الخلاص لك ويحسبك الله من الابرار لان الله جل وعلا خلقنا بفضله أخيارا لا أشرارا وأوعز الينا بان نعمل الخير ونجتنب الشر وجعلنا أحرارا مستطيعين ان أردنا فعل الخير فلا يكون لنا منه مانع وان أردنا فعل الشر فلا نجد شيأ يصدنا عنه وغرس فينا التمييز والبصيرة لكى نفرق بهما بين الخير والشر فاذا عرفنا الخير وسلكنا فيه الواجب وفعلناه كنا أخيارا صالحين وللوصية طائعين وان عرفنا الشر وجنحنا اليه بهوانا الردى وعملناه فنكون أشرارا طالحين ولما أمرنا به عاصين فالخير من عند الله والشر من هوى نفوسنا الردى فالواجب علينا والحالة هذه أن نكون اذا قضينا على نفوسنا بالحكم العدل أن نجعل الغلبة للخير الذى جاءت به الوصية من الله ونعمل به ونبتعد عن الشر الذى أمرنا باجتنابه واياك أيها الانسان من غلبة الهوى المرذول عليك فانه غالب على أكثر الناس ولا يفلت منه الا القليل منهم بتمييز العقل وكثرة التحرز فاذا أنت حكمت بين العفة والزنا فلا تمكن الشهوة منك لئلا يكون حكمك للزنا بالغلبة على العفة فتكون زانيا وان حكمت بين الصفح والانتقام فلا يقوى عليك الغضب فتحكم بالانتقام بالغلبة على الصفح فتكون قتولا وان حكمت بين التواضع والعظمة فلا تطمح الى طلب المرتبة العليا فيكون

على السذاجة فى أمر خطابك لئلا يستحكم فيك المرض وأنت لا تعلم لان أقواما كثيرة بجهلهم الامور مرضوا أمراضا قاتلة ولم يعلموا بنفوسهم بما هم فيه من المرض حتى هلكوا وذلك أن الساذج يشبه من ليس له معرفة بالشر وهذا هو الذى يحتاج الحيلة الممدوحة ليتخذ مع سذاجته عقلا للتجربة فيكون محصنا بالحيلة الصالحة كالسلاح فينجو بذلك مما تهم به الاعداء له لانه ينبغى لكل صالح أن يجعل نفسه حكيما فى الخير وابلها فى الشر لان الحيلة تقال على وجهين أحدهما همة الانسان بمضرة صاحبه وهذا هو الخبيث وأما الآخر فهى الهمة بحفظ أعمال الخير بجدة نظر وحكمة والهرب مما يحتال به له عدوه من المضرة وهذا هو الممدوح فان كنت تريد أن تخلص نفسك من الذنوب والخطايا فلازم التفتيش عن هفواتك وزلاتك ودن نفسك بدينونة العدل على ما قد جنيته ولا تترك عقلك أن يميل الى التفتيش عن خطية غيرك فتصير مثل من ينظر القذى فى عين أخيه ولا يفطن للخشبة التى فى عينه بل ألزم التفتيش والاستقصاء عن أعمالك بلا ملل فتكون بذلك قادرا على احراز الفضيلة وأحذر كل الحذر من استعمال العظمة فانها داء سوء والخلاص منها عسر جدا وتجنب الافتخار وشرف الجنس وكرامة المنزل وجمال الخلقة وسعة القدرة فان هذه جميعها ومايطابقها زائلة فمن الارض أتيت والى الارض تعود * واعلم انك ميت ومحاسب على الكبيرة والصغيرة حتى على الافكار الدنسة والضمير الخبيث واستعمل الادب فانه سيرة فاضلة نافعة ومتى انتجعت به النفس تنقت من الذنوب السوء لانه فى العاجل يحزن ولا يسر وأما فى الآجل فانه يعطى الصابرين خير الجزاء ويقوم سيرتهم فى الطرق المستقيمة لان من الناس أقواما كثيرة يهربون من الآلام اذا حدثت بحيث انهم لا ينظرون فى عاقبة ما تأتى به تلك الآلام من المنفعة مستأنفا وتعمى بصائرهم عن الصواب ويشبهون مريضا جاهلا قد عاف شرب الدواء لاجل مرارته فاستحكم بذلك مرضه وآيس من صحته فاستيقظ اذا ولا تغفل عما ينبغى وهى الزاد للسفر قبل حينه لئلا يدركك الرحيل وأنت عديم وتشبه بالعذارى الحكيمات اللواتى أعددن مصابيحهن للقاء العريس وأخذن زيتا فى أوانيه ولما أقبل العريس دخلن معه الى الفرح وأغلق الباب وأحذر التوانى والتسويف وأبعد عنك الاهمال

خير الامور بفهمك وانظر فيها بنور عقلك الذى شرفك الله به على الخليقة الارضيين
ومائلات بالجنود السمائيين وافرز الاعمال الصالحة التى أمرت بها من الاعمال
الطالحة التى نهيت عنها تلك التى تفرق المرء من شرف العدالة وتسيره رغما فى طرق
الضلالة فالتصق بالصالحات وفر من الطالحات وانظر الى البهائم المسلوبة من النطق
والعقل العارية من التمييز والفضل وكونها تستعمل من العلف ما يكون لها منه
المنفعة الصالحة وتجتنب كل ما يحصل لها منه المضرة القادحة واعتصم بشكر الله
تعالى دائما وسبح اسمه قاعدا وقائما والزم الصبر فيما يأتى عليك من الشدائد المؤلمة
بالعزيمة الثابتة المقومة لان الصبر فى الشدائد من قوة الدين والشجاعة فيما يرضى
الله من صحة اليقين وذلك ان الانسان الذى يجهد نفسه فى عبادة ربه تشتعل نعمة
روح القدس فى قلبه ولبه فتنزع منه كل خوف وفزع وتطرد عنه كل رعب
وجزع فان حلت به التجارب زادته قوة على قوته وأكسبته شجاعة على شجاعته
ودليل ذلك ان الجرة اذا كونها الفاخورى من الطين فاذا لم تستو بالنار فى القمين
متى لامسها الماء انحلت وانفسدت فأما الجرة التى تنزل القمين وتستوى بالنار
وتأخذ الحد المعروف تكون قابلة الملامسة للماء وكلما تردد الماء فيها ازادت
منه قوة وهكذا الانسان المبارك الذى يجهد فى رضى ربه الى أن تشتعل نعمة روح
القدس فى قلبه ولبه تزيده التجارب قوة على قوته وشجاعة على شجاعته فتيقظ
لنفسك من السقطات الردية وتحفظ بجهدك من الوصمات الدنية واحرص ذاتك
من كل عيب ودنس وطهر قلبك من كل غش ودنس واحذر من حبائل العدو
فانها كثيرة الانواع وأرصدها بعقلك لان الاله الرحوم لم يجعل لنا عذرا نحتج به بما
منحنا به من الفهم والتمييز والبصيرة مع الوصية بالامر والنهى وجد فى التيقظ بغاية
الحرص من موبقات الغفلة والتوانى لئلا تورطك فى الحبائل المنصوبة فتصير صيدا
للشياطين وتخرج عن عبادة باريك وتحرم من نعيم الآخرة وحياة الابد وان وقعت
فثب كوثبة الاسد وسارع بالتوبة لوقتك من غير تسويف ولتكن توبتك على
قدر خطيئتك ان كانت صغيرة أم كانت كبيرة فيفرح بك السمائيون وترضى
خالقك وتمحى خطاياك وبرحمة الله تعود الى درجتك ثم احذر أيضا أن تحمل أمرك

مختلفة الانواع وليست على نظام واحد فلو تساوينا فى العمل بالوصايا على رتبة
واحدة كان ظهورها فينا جميعا بنوع واحد ومثال ذلك أنه لا توجد نار كبيرة ونار
صغيرة بل طبيعتها فى الاشتعال والضوء والاحراق شيأ واحدا فالتى يكون لها مادة
زائدة يزيد اشتعالها ونورها ويتكثر احراقها وبهذا القياس نوجب الامر على
نفوسنا لانا متى كنا ملازمين العبادة لله بعمل الوصايا اعتقت أنفسنا من التعبد
للخطايا وصرنا من عبيد الله الاحرار فى الفرح الدائم على الاستمرار فاما ان جنحنا
الى الاقبال على المعاصى المنهى عنها فنكون قد أخرجنا نفوسنا من الفرح الى
الحزن ومن العز الى الذل ومن عبادة رب العالمين الى طاعة الشياطين ومن النعيم
الدائم المؤبد الى العذاب الاليم المخلد فاعتمد أيها الانسان الذى يريد أن يقتنى
لنفسه الصلاح ويسعى لها فى طلب الرشد والفلاح على حفظ ما أتانا فى الكتب
المقبولة الجليلة وما أمرنا به من الافعال الحسنة الجميلة فان القراءة فى كتب الشريعة
لمن يعمل بها وبقولها نافعة فاما الذى يقرأ ولا يعمل بها وبقولها فقرآته كطنين
الذئاب فى الفلوات الواسعة فاجتهد فى القراءة فانها تقرب عليك ما بعد وتصلح منك
ما قد فسد وبها تكتسب الفضائل وتكف سامعها عن الرذائل وتحوج المرتاض بها
الى معاشرة العلماء وتقوده الى التشبه بالادباء والفهماء والالتصاق بالرهبان العابدين
والخضوع للنساك الزاهدين والتودد الى أهل الخير والورع والتباعد من أرباب
أهل الشر والبدع وبهذا تشرق نفسه ويضئ حسه وتعظم همته وتقوى عزيمته
وتستقيم أفكاره وتبتهج أسراره ويطيب فى الناس شكره وتذكاره ثم يتهذب
بالاخلاق الرضية وتلين فيه الطباع الخشنة القوية وتسهل طرقه الى سبيل المعروف
ويصير معدنا لكل خير موصوف واعلم أيها الانسان الصالح أن العلم لا يدركه
من لا يكد نفسه ويطيل فى العلوم درسه لان ملازمة القرآءة بجودة القريحة تعلم
الانسان كيف ينجو من الافعال القبيحة وتمنع العقل أن يضل ومن التهذيب لا يمل
وتعطى المعرفة بعلام الغيوب وغافر الخطايا والذنوب لانه مكتوب لازموا واعرفوا
انى أنا الله ربكم فأما الذى يروم أن يكون عالما ولا يكون بقراءة العلوم قائما فانه
بمنزلة من يريد أن يقدم ظله بسرعة جريه ويروم أن يسبق وميض البرق بخفة سعيه

والاجتهاد فى طلب الكسب والاحتشاد فان أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه ولم تغير الشبهة يقينه ولا يشغله عن عبادة باريه نعمة ضخمة ولا يختار على محبته مرتبة عليا *له المجد والسجود والتسبيح المتصل الممدود من الآن وكل أوان والى دهر الداهرين آمين

(القول الثانى عشر من أجل الارتياض بالسنن العادلة والسيرة الحسنة الفاضلة)

يحق علينا أن نشكر الله على آلائه ونحمده على جزيل نعمائه الذى خلقنا بلا مثال وصورنا من غير انفعال وهدانا بفضله الى معرفة توحيده وألهمنا بطول الدوام الى شكره وتمجيده تبارك اسمه كما تبارك نفوس الشهداء والقديسين ونعظم ذكره كما تعظمه أرواح الانبياء والصديقين على ما منحنا به من العقل الذى هو ناظر النفس العاقلة الناطقة وله السلطان على الحواس الباطنة والظاهرة الصادقة يستخدم كل واحدة منها فى موضع الانتفاع بها كما يريد على حسب ما يريده الله من الرأى السديد وجعل قواه وخاصياته لديه طائعة ومنقادة لما يراه تابعه لكى يصعدنا الى الدرجة الشريفة ويوصلنا الى الرتبة العالية المنيفة فاذا كان عقل الانسان ثابتا على ما رتبه الله الخالق وما فوضه اليه من العزم الصادق تمكن من فعل مشيئاته الصالحة واستعمال أرآئه الصائبة الراجحة فى كل حين وآوان وكل عصر وزمان وماثل الملائكة فى أفعالهم وتساوى بهم فى خاصياتهم وأحوالهم فان غلبت عليه رذائل الشهوات والغضب وامالته الى مسالك الشين والعطب وحجبت نور عقله اللامع بقتام الظلام المدلهم الساطع فهو يخبط الى التوانى والاهمال ويميل الى طريق الافك والضلال ويفارق الرتبة التى خلق لاجلها والخدمة التى أمر بفعلها ويسلك فى طريق ممقوتة قبيحة ويصير الى سيرة مذمومة جريحة ويسقط من مرتبته العالية السنية الى مماثلة البهائم الحقيرة الدنية ويشاركها فى شهواتها ويشابهها فى خاصياتها فحينئذ تبتعد النفس من التمتع بالانوار البهية والمناظر المضيئة وتصير الى أقصى غاية الظلمات عادمة النطق فى تصور المعقولات وذلك أن الفضائل كلها موجودة فينا بالسواء فأما عدم مساواتها فى الشرف فهو ان أعمالنا

اجعله مني بعيدا وغني وفقرا لا تعطني بل رتب لي ما أحتاجه وأكتفي به لئلا أستغني فأصير كذوبا وأقول من ينصرني أو أفتقر فأسرق وأحلف باسم الله باطلا * وقال من توكل على الله سيفرح * وقال بولس الرسول ان تجارتنا نحن عظيمة وهي خوف الله وتقواه في الاكتفاء بالقوت والكسوة لانا لم ندخل الدنيا بشيء وقد عرف أنا لا نقدر أن نخرج منها أيضا بشيء ولذلك ينبغي أن نقنع منها بالقوت والكسوة لان الذين يحبون الغنى والثروة يقعون في البلايا والفخاخ وفي شهوات كثيرة سفيهة ضارة تغرق النفس في الفساد والهلكة لان أصل الشرور كلها حب المال وقد اشتهى ذلك أناس فضلوا عن الايمان وأدخلوا نفوسهم في شقاء طويل كثير * قال وأوص أغنياء هذه الدنيا أن لا يستكبروا في همومهم ولا يتكلوا على الغنى الذي لا يصح الاتكال عليه بل على الله الحي الذي أعطانا كل شيء بوفور غناه لراحتنا وان يعملوا أعمالا صالحة ليستغنوا بالافعال الحسنة * وقال يعقوب الرسول أيها الفجار الفواجر أما تعلمون أن محبة هذا العالم عداوة لله وكل من أحب أن يكون خليلا لهذا العالم فانه يكون لله عدوا * وقال يوحنا الرسول لا تحبوا العالم ولا شيئا مما فيه فان الذي يحب العالم ليس فيه ود الله لان كل ما في العالم انما هو شهوة الجسد وشهوة العين وفخر العالم وهؤلاء ليسوا من الاب بل من العالم والعالم يزول فتزول الشهوة معه فاما الذي يعمل مسرة الله فانه يدوم الى الابد وقال الانجيل المجيد طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات * وقال لا تكنزوا لكم كنوزا في الارض حيث الاكلة والسوس يفسدوا والسارقون يتحيلون فيسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا أكلة ولا سوس يفسد ولا ينقب السارقون فيسرقون لانه حيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم * وقال لا يستطيع انسان أن يعبد ربين الا أن يبغض الواحد ويحب الآخر ويجل الواحد ويحتقر الآخر لا تقدروا أن تعبدوا الله والمال فاذا كان صاحب الشريعة الشريفة الهادية العالية المنيفة الذي يجب علينا أن نكون لقوله تابعين خاضعين ولاوامره سامعين طائعين قد حتم على الاطلاق بان محبة المال تبعد من عبادة الله الواحد الخلاق فقد لزمنا بالحقيقة أن نزهد بما في أيدي الخليقة ونرفض الحرص

تقصد غيربابه فتنجح أمورك طوبى لمن ألقى همه على خالقه واعتمد على تدبير محييه ورازقه ولم يعز نفسه بعزاء يخرج عن عزاه ولم ينتصر فى شدائده بأحد سواه السكر من الشراب يفضى الى العذاب ويبعد المرء من النعيم ويسقطه فى قرار الجحيم فيجب علينا أن نتحفظ منه بما تسعه قدرتنا وطاقتنا ونبتعد عنه بما تصل اليه قوتنا واستطاعتنا لانه يطرد مخافة الله من القلوب ويجلب اليها أفكار المعاصى والذنوب ويبعد منها فعل الخير والصلاح ويزرع فيها جميع العوائد القباح ويحسن لها كل لذة ميتة ويحرك فيها كل شهوة خبيثة ثم يجعل أعمالنا خالية من الاجر والثواب ودينونتنا بلا رحمة فى يوم الحساب قال داود النبى * الرب يرعانى فلا شئ يعوزنى وعلى المرج الخصيب أحلنى * وقال البسير للصديق خير من كثرة غنى الخاطى وقال * الق همك على الله وهو يعولك لا يترك الصديق يزول الى الابد * وقال طوبى لمن انتخبته وقبلته ليسكن فى ديارك ويشبع من نعيم بيتك وقال انظروا أيها المساكين وافرحوا اطلبوا الله تحيا قلوبكم فقد أجاب الرب الفقراء ولم يهن أسراه وقال أنا فقير بائس اللهم أنت ناصرى وأنت معينى ومنقذى وقال فلنشكر الرب لان رحمته وعجائبه فى بنى البشر ولانه أشبع أنفسا خاوية وملأ قلوبا جائعة من الخيرات * وقال أنقذ المساكين من فقرهم جعل قبائلهم مثل الخراف لترى الابرار ويفرحون * وقال حافظ العدل الى الابد يحكم للمظلومين يعطى الجياع طعاما الرب يطلق الاسرى الرب يبرئ الاكمة الرب يقيم المنكسرين الرب يحب الصديقين الرب يحفظ الغرباء يرزق الارامل والايتام * وقال سليمان الحكيم كنوز الاموال لا تنفع الاثمة والعدل ينجى من الموت * وقال من يكون متلذذا بالخمور يوقع فى خطوانه هوانا * وقال من ثمرات العدل يأكل الابن الصالح ونفوس العادلين عن الشريعة تهلك فى غير أوقاتها وقال من يأخذ الهدايا يهلك نفسه ومن يمقت أخذ الرشوة يخلص * وقال خبز ببراحة فى سلامة وأمن أفضل من منزل مملوء خيرات كثيرة وضحايا ظالمة بخصومة * وقال السكن تحت الهواء فى زاوية أفضل من السكن بظلم فى منزل مبيضة فى مجلس جديد * وقال الاسم المحمود أرفع قدرا من الغنى الجزيل والنعمة الصالحة أفضل من الفضة والذهب وقال الكلام الكاذب والباطل

من حاجة الجسد لئلا يفرط منه الصمت والسكون وقوة الجلد لان ضرورات الاكثار من الاهتمام تحوج الى الحركة والقلق وكثرة الكلام ولا يستقيم أن يكون للانسان معها صمتا ولا سكونا ولا يكون في أفكاره محترسا ولا مصونا لانها تضطره الى ما يريد ونسوقه الى اعتقاده بالعصب الشديد فابتعد من العالم والشهوات ومن الاهتمام بما لا يضطر اليه من الحاجات فعلى قدر تعلق النفس بهذا العالم السفلي يكون ابتعادها من العالم العلوي وبحسب نزوحها عن ملابسته تعرف استحالته ونتن رائحته فنعيم هذه الدنيا يجلب الذل والشقاء والشقاء للآخرة يورث العز والبقاء وقد قيل * ان الذي يستعد لجسمه بالنعيم فانه يلقى نفسه في القتال الاليم فالاختصار من الطعام يميت الشهوة من الاجسام والاكثار منه يثير حركات الاعضاء ويجلب الاحلام الخبيثة للاصحاء والمرضى واحذر من الامعان في النبيذ فان شره دائم لا يبيد وهو الرسول الاحمق المخالف المعاند المنافق الموافق تبعثه الى أسفل القلب الحزين فيصعده الى فوق الدماغ الراجح الرزين وحينئذ يتمكن من الحواس الرئيسة فيظلم العقل ويعمي نور البصيرة النفيسة ويفسد الرأي الصائب ويقال العزم الثاقب ويحسن ما لا يحسن ويهون ما لا يتمكن * مجالسة العلماء تثمر عبادة الله الخالق وترشد العقل الى سلوك الواجب المطابق * ان الذي قصد الوحدة بالاجتهاد والعزلة من الناس بالانفراد لا يتمكن من الوصول الى بلوغ أربه في مقصوده وطلبه ما لم يتعر من العالم وشهواته ويصرف فكرته عن نعيمه ولذاته والا فما يقدر على مقام الزهاد ولا يصبر على الوحدة والانفراد وذلك لان الذي زهد الدنيا ورفضها وكرهها وبغضها لا يخرج أمره عن أحد نوعين ولا بد له من أحد فصلين اما ان يكون مشتاقا الى نيل الحيوة المؤبدة والخيرات الخالدة العتيدة واما أن تكون نفسه قد هالت من ذكر العذاب الاليم والشقاء المؤبد بالعقاب المقيم أيها الصالح الذي قد قصد السلامة من العطب والراحة من الاهتمام والتعب ألزم الوحدة فانها داء شاف وغذاء نافع معاف لانها تكسب فضيلة السكوت والتباعد من السماع المقوت فالوحدة والسكوت مع الراحة والبطالة أفضل من المقام في العالم بالاعمال الصالحة بالبرهان والدلالة * الق همك على الله فهو يعولك ولا

الحقيقة لا ينظر الى ما هو فى أيدى الخليقة ويقنع بادنى الطعام لسد جوعته وبأحقر اللباس لستر عورته وذلك لانه نظر الدنيا ببصيرته مصدقة ورأى انصرام نعيمها بعين محققة وان المفاخر التى تكون بين الناس غير مصروفة الى لذة الطعام ونعومة اللباس ولا الى كثرة الذخائر والاموال ولا الى عظمة الغنى واتساع الاحوال بل انها مصروفة الى التفاوت الذى بين الاخيار والاشرار وبين الصالحين وبين الطالحين لان الشرير وان عظم نعيمه وغناه لا يصل الى درجة الخير وان كثرة فقره وعناه ولهذا يجب علينا أن نكون من أهل الطاعة وأن يكون عيشنا اثم القناعة ثم نجتنب الاسراف والافراط فيما تدعونا الحاجة اليه ونمسك له فانونا يكون اعتمادنا عليه ونبتعد من الحرص والاستكثار ونرفض الاحتشاد والكسب على الاستمرار ونهرب من السكر جهدنا وقدرتنا وما تصل اليه استطاعتنا وقوتنا لانه رأس الفتن والخطايا وقايد الى العيوب والشرور والرزايا فالبعد منه غنيمة والتزوح عنه فائدة ونعمة جسيمة فكم من عزيز أذله جهله وكم من ذليل أعزه عقله احترز من الامور الصغائر فتنجو من السقطات الكبائر * من أبغض غنى الدنيا وكثرة سعته قد أصرف الهم عن عقله وذهنه وفكرته * لا تنعتق النفس من سجن الافكار مادام لها قنية على الاستمرار لان القنية مقرونة بالتعب وقائدة الى الشقاء والنصب فان أنت عزمت على ان تقطع من ذاتك الآلام المحذورة وتستقيم فى السيرة الحسنة المشكورة فابتدئ بقطع الاسباب التى يتولد منها مكائد الآلام وتخرج المرء من النور الى الظلام مثل الشبع والسكر والنظر والدلال والمجاهرة والضحك واللهو والسماع والمسامرة لانك ان أبغضت الخطايا واحببت أسبابها فهى تسوقك الى الرذائل قهرا وتستعبدك للمعاصى قسرا من حيث لا تشتهى ولا تريد ولا تستحسن مالا يفيد فاقطع عللها من الاصول تنقطع عنك من الوصول فتستريح منها ومن أسبابها الثلاثة الى بنارها وعذابها وذلك ان الذى قد زهد فى الدنيا زهدا قاطعا ورغب أن يكون فى الوحدة عفيفا متواضعا فانه يقنع بما يسهل من القوت لسد جوعته وما يجده من الاطمار الدنية لستر عورته لكى يكون منتصبا امام الله قائما وعقله ممتدا نحو العلو دائما لا يكثر الاهتمام فيما يحتاجه

على فقدنا ما هو للدنيا الحاضرة لان حرص الدنيا يلد الظلم والغفلة عن عمل الصالحات وشهوة المال تفقد من النفس أعمال الفضائل المستحسنات فالرشيد من أخلص الطاعة والغنى من آثر القناعة * ان أنت أقطعت عنك الاكثار من الطعام والشراب فانك ستطرد بذلك شهوات الشر والمعاب وابتعد من الشهوات قبل أن تقربك وارفض المحسوسات قبل أن تعذبك * من تحصن من الشهوات العاليات فقد زهد الدنيا وما فيها من المرئيات * الراغب فى كثرة المال لا يرى ان له شيئا سنيا فأما الذى قد اكتفى وقنع بما رزق فهو يرى أنه كان غنيا * لا يقدر الانسان ان يقتنى الحسنات الا بالكد والجهد وطول الزمان ولا يمكن ان يتصل عقله ببارئه قبل الزهد فى جميع ما يكون تحت العيان لان الذى قد رفض دنياه العاجلة وهو مغرى باللذة الفارغة والتسبحة الباطلة لا ينتفع من رفضه بفائدة ولا اسعفه زهده بعائدة لان الذى يفعله بالاتفاق قد صار له فاعلا بفكرة لذيذة المذاق ولهذا أمرنا بان لا نحب العالم ولا ما فيه ليس انا نبغض خليقة الله بجهلنا ورأينا السفيه بل نقطع الاسباب التى تأتى الينا بالاضرار ونخرجنا عن حدود الطريق العالية المنار فالقناعة عز المعسر والصدقة كنز الميسر لا تظن ان الشقاء من أجل نعيم الجسم محمود لان انتفاع النفس منه غير موجود انما الشقاء المحمود آثاره المشرقة أنواره أن يكون القصد به ضعف الابدان وقطع الاوجاع المؤلمة من حواس الانسان لانه لا يجب لمن قد زهد فى الدنيا وقصد نعيم الآخرة أن يجول بفكرته فى شئ من المحسوسات الظاهرة لان الفائدة فى ترك القنيات والابتعاد من المرئيات هى حراسة العقل من الارتباط بشئ من الامور العالمية وصيانة الذهن عن الاغتباط بالشهوات الدنياوية والانقطاع فى محبة الله الى العبادة بالكلية وذلك ان الانسان العابد الناسك المقتنع الزاهد يكون دائم الاقتصار على ما يسنح له من العيش وحائدا عن الطريق المؤدية للقنوط والطيش ويرتضى بما سهل مما تدعو حاجته اليه ويشكر الله على ما أنعم به عليه ويكون تاركا للحرص والاجتهاد فى اقتناء الكسب والاحتشاد ويقنع بالنزر اليسير ويزهد فى الغنى الواسع الكثير لان أصل الزهد هو احتقار الدنيا وحياتها والاستخفاف بنعيمها ولذاتها فالذى قد زهدها على

الى ماصار واليه قهرا فاذا كنا عالمين بهذه الامور التى لا خلاف فيها من الجمهور فبأى وجه نحرص ونجهد فيما لا ينقذنا من الموت وليس له منفعة عند الفوت ولا ينجينا فى يوم الحساب ولا يعتقنا من شدة العذاب ثم نترك عمل الوصايا التى أمرنا بفعلها وندوم فى الرذائل التى نهينا عن القرب من ذراها ونجنح الى التخلص من القوانين المفروضة وطرح السنن المرورة المحفوظة التى بها نقدر على مقاومة الاعداء والصعود الى ملكوت السماء وارثا ما قد أعده الله لاوليائه وسبق به الوعد لاصفيائه من الخيرات الابدية واللذات السرمدية والعيش الذى لا يفنى والنعيم الذى لا يبلى فى الفرح الدائم والسرور الملائم فى جوار الله الوجود والرب الرؤف المعبود ثم نسوف الوقت بالتوانى والاهمال والاتساع فى الامال وكثرة الطمع بطول الاجال حتى اذا أدركتنا الامراض الشديدة وآلمتنا الاوجاع المدنفة المزيدة حينئذ نذكر الموت ونخشى من الفوت ونفزع من القضية النازلة ونرهب من المصيبة الفاصلة فاذا نحن برئنا من أوجاعنا وشفينا من علتنا وأسقامنا رجعنا عائدين راغبين الى ما كنا فيه طالبين من الانهماك فى الشهوات العالية واللذات الردية البهيمية ثم الواجب علينا أولا أن نتجرد لابعاد النقايص المستقبحة والتنصل من الرذايل المستفضحة ثم نصرف عزمنا الى ما فيه الطاعة والرضا والابتهاج عند نزول القضاء لكى نماثل الذين أرضوا ربهم وخالقهم وتجاوزوا الحد فى طاعة بارئهم وراز قهم وأبغضوا حياة هذه الدنيا الدنية التى هى عندهم كالعوق والقيد الضيق الوثيق لكثرة اشتياقهم الى الملكوت السمائية ومعاينة الانوار الالهية والاتصال ببارئهم ومجاورة مبديهم ومنشيهم فمنهم من قال كما يتوق الايل الى ينابيع المياه هكذا تشتاق نفسى اليك يارب ومنهم من قال أيها السيد اطلق عبدك بسلام لان عينى قد أبصرتا خلاصك ومنهم من قال ويحى ان حياتى قد طالت وعيل صبرى من هذه الحياة الوسخة الممتلئة أوجاعا ومنهم من قال من يعطينى أجنحة أطير بها مثل حمامة فأستريح ومنهم من قال ليس بقى معى صبر على ان أرى الشر الذى فى هذا العالم ومنهم من قال متى تعيشين يا نفسى فى سجن هذا العالم المظلم فليس لهذا خلقت بدايا نفس شقية بل لتكونى مع الملائكة بلا موت ولا بلا ولا نك لهذا صنعت فاذا كان أمرنا محمولا على الاشتياق الى الآخرة فيجب علينا ان لا نتأسف

نفاذ الامر اذ جعل لك السلطان على جميع ما هو على الارض من المخلوقات من
الحيوان والنبات والجمادات ومكنك بتمييز العقل من التصرف فيها كما تشتهي
وتريد وتستعمل فيها ما يوافق ويلائم ويفيد وجعل الشمس والقمر والكواكب
المضيئة الانوار تشرق عليك في الليل والنهار وشرفك بالنفس الناطقة العاقلة
المضيئة بالحواس الكاملة التي اذا استعملتها في حدها اشابهت الملائكة المقربين
وماثلت الجنود السمائية المقدسين ثم أسعفك بحلول الروح القدوس الذي يشرق
في الاجسام والنفوس وخولك الرجاء بالقيامة والوصول الى مواطن الامن والسلامة
وعوضك عن شقاء الدنيا بالنعيم المخلد والعيش الرغد الهني المؤبد فابسط يديك
وارفع الى السماء عينيك بنفس خاشعة وسريرة متواضعة وشكر دائم على الاستمرار
وتسبيح يفوق حد الاستطاعة والاقتدار على ما منحت به من هذه النعمة الجزيلة وما
فوض اليك من المواهب العميمة الجليلة وما أحسنه البارئ في خلقتك وما حسنه في
تكوين هيئتك وصورتك اذ خلقك منتصب القامة متهيئا الى نظر الملو باستقامة
قاصدا الارتقاء الى الملكوت والاتصال بصاحب الامر والجبروت لكي تكون
مفترقا من مشابهة البهائم بكل الجهات ومبتعدا من شهواتها في كل الازمنة
والاوقات فان نهضت اليك الجيوش الشيطانية وقاتلتك الشهوات الدنياوية
مثل الحرص على جمع الاموال الذي يسوق المرء الى طريق الضلال والسعي في طلب
الرياسات والتقدم على القبائل والجماعات والاشتياق الى بلوغ المآرب
بطيبات المآكل والمشارب التي سقطنا بها في القديم ونفينا بسببها من فردوس
النعيم فاطردهم عنك بذكر الموت واغربهم عنك بسرعة الفوت الذي فرق الملوك
من الممالك العظيمة والرؤساء من الرئاسات الجسيمة والاغنياء من غناهم الوافر
والعلماء من علمهم الزائد الظاهر والحكماء من حكمتهم الباهرة والاعزاء من
عزتهم القاهرة وأخرجهم من الدنيا ولم يصحبهم شيء مما اقتنوه ولا أتبعهم الى القبر
شيء مما احتووه سوى الاعمال المحفوظة بعلم باريهم التي بها يميتهم وبها يحييهم
بخيرها وشرها وشرها وجهرها وسار كل واحد منهم الى ظلمة قبره مستصحبا ما كان
من أمره بحسرة ما كان اقتناه وما قد ملكته يداه ونحن أيضا نساق اليهم قسرا ونصير

العالية ونحض جميع اللذات الحاضرة الوقتية ونقتصر فيما لابد منه من حاجة
الجسد وماتدعونا اليه الضرورة لقيام الاود لكى يكون غذاءنا بالنزر اليسير ولباسنا
من الصنف الدون الحقير قاصدين بذلك سد الجوع وستر العورة لان كثرة الاهتمام
بأمور الجسد داعية الى الابتعاد من الله مع الامد ولهذا قيل لا تهتموا لانفسكم
بماذا تأكلون ولا لاجسادكم بماذا تلبسون أى انكم اذا سمعتم وأطعتم وعملتم
بما أمرتم لم تعدموا شيأ مما تدعوا اليه حاجتكم ولا يعوزكم شئ مما تدفعون به
ضروراتكم كما كان لكم قبل خلاف الوصية والخروج عن الاوامر النافذة
الزكية من غير اهتمام ولا تعب ولا شقاء ولا عناء ولا نصب * ومن البين المعلوم الظاهر
المفهوم ان التعب لم يأت علينا ولا كان له سبيل الينا الا من أجل خلاف الوصية
وجنوحنا الى الخديعة المهلكة الردية وأكلنا مما نهينا عن الاكل منه وأمرنا بالهرب
والابتعاد عنه فلذلك استحقينا البعد من النعيم والهبوط الى قرار الجحيم و بواجب
الحق عرينا من الانوار المضيئة وكشفت لنا العورات المستورة الخفية لانا كنا بالنور
محللين كمثل الملائكة المقربين لا كمثل الحيوان الفاقد العقل والنطق الذى
ينتهى به تصرفه الى أوعر الطرق لان الله خلق لباسه متحدا بجسمه كمثل الشعر
والقشر والريش النابت فى لحمه الذى به يستطيع أن يقبل برد الشتاء وحر الصيف
آمنا من حرارة الشمس وهبوب الرياح وبرودة الثلج بالحيف وجعل له المساواة فى
الغذاء بمشيئته وكل نوع بمقتضى طبيعته فاذا نحن قبلنا الوصية بالطاعة وكنا
راضين بالكفاف والقناعة كانت عناية الله بنا حاضرة نصب أعيننا بينة ظاهرة
كما كانت لبنى اسرائيل فى البرية المقترة والصحارى الخاوية المقفرة مع طول المدة
المديدة والسنين الكثيرة العديدة وكما شملت السواح الذين سكنوا فى شقوق الجبال
والذين توطنوا فى حجور الارض الى آخر المآل ولم يعوزهم شئ مما يحتاجون
اليه ولم يعدموا شئ مما اصطلحوا مع نفوسهم عليه ففق أيها الانسان على نفسك ولا
تغتر بما كان لك فى أمسك اما من الخير الواسع واما من الشر المتتابع فان الدنيا
لا تدوم على حالة مستمرة ولا تثبت على قاعدة مستقرة والثقة بها غرور والسكون فيها
خطر واحذر ان تتضجر من الاقلال والفقر والزم التفكر بما أنعم الله عليك من

شهواتها المؤذية الردية مع اتساع القدرة على تحصيلها والوصول الى جملتها وتفصيلها لان الذى يزهد مما لا تكون له حوطة عليه ولا يقتدر على الدنو منه ولا من الوصول اليه فليس زهده ذلك نافعا فى يوم الحساب ولا منقذا لذاته من أليم العذاب لان الزهد على الحقيقة المشهورة والقضية المعروفة المأثورة هو العفاف عما يملكه الانسان بلا دافع مع جواز التصرف فيه بغير حائل ولا مانع مع كثرة الانتفاع بقنيته والاشتياق الى محبته وزؤيته ثم يسعى فى تحصيل الفضائل التى تنتقل معه بعد الموت ولا تفارقه بحاجة من حوائج الفوت التى شرفت نفوس الاولياء وارتفعت بها عقول الانبياء والاصفياء فواجب علينا أن نرفض الاهتمام بالجسدانيات ونصرف غاية اجتهادنا فى تحصيل الروحانيات وحينئذ نقدر على معرفة مكائد الشياطين بالتمييز المتأكد بالبراهين لان الذى يدعى انه عارف بالحيل الشيطانية وهو مرتبط بالشهوات الدنياوية فان دعواه غير صادقة ومعرفته كاذبة ماذقة لان أفعال الخطيئة معروفة مشهورة فأما أسبابها فانها مخفية مستورة لا يعرفها غير أهل الزهد والقناعة وأرباب النسك والوداعة والسالكين فى طرق التواضع والطاعة والذين قد اقتنوا فضيلة الصبر والشجاعة والمتمسكين مع ايمانهم بالصيانة والعفة والوداعة لان الانسان مادام يشتهى أمور الدنيا فهو عبد لم يعتق وخير له أن يكون عبد الكافر ولا يكون عبد الشهوات التى تفنى وتمحق فاما الذى يترجى نعيم الآخرة فانه يتباعد من اللذات الحاضرة وتكون عنده بمنزلة السموم القاتلة والجيف الذائبة السائلة لان التصديق بما وعد الله به للصالحين يغنى الانسان وهو لا يعلم والشك والتكذيب يفقد انه من حيث لا يدرى ولا يفهم * لاجل اعتنائه بالمرئيات واعراضه عن الاشتياق الى المكتومات المخفيات فمن أراد ان يقف على الصواب ويعفى من السؤال والجواب يرفع نفسه عن المرئيات فى كل حين ويشتاق الى ما أعده الله للصالحين فان الجسد الذى يحب النعيم سرمدا لا تأوى معرفة الله فيه أبدا * قال يوحنا فم الذهب اقتن يا أخى هذا الذى هو أحلى من العسل والشهد * ان الخبز والملح مع سكون وراحة افضل من الاطعمة الشريفة مع اضطهاد وتعب فينبغى لنا أن نجد فى الزهد والقناعة ونصغى الى قول القديس بالسمع والطاعة ونرفض ما يتعلق بالشهوات

ذنوبنا وزلاتنا ويقينا من شدة العذاب ويرحمنا بجزيل الاجر والثواب برحمته الجزيلة السابغة ورأفته الواسعة البالغة له العظمة والاكرام والمجد والتبجيل والاحترام من الآن والى دهر الداهرين آمين

(القول الحادى عشر فى الزهد والقناعة التى تغنى الفقير وقليلها كثير)

اعلم أيدك الله أيها الانسان الصالح المبارك المجاهد المناصح ان الذى يروم ان يزهد فى هذه الدنيا ولذاتها ويقصد الفرار من نعيمها وشهواتها قبل ان يثبت فى عقله بضمير صادق ويقين ثابت غير مأذق ما قد أعده الله فى الآخرة للصديقين الابرار وما أدخره للقديسين الاطهار من النعيم الابدى والسرور الخالد السرمدى والغبطة الدائمة الشريفة والمنزلة العالية المنيفة والصعود الى سماء الملكوت والاتصال بصاحب الامر والجبروت مع معرفته بأن خير الدنيا يسير وخطرها كثير وعيشها قصير ونعيمها متلاشى حقير وان الراحة فيها تبعد من حب الاله ومن العمل بارادته ومقصوده هواه فهو يكون بمنزلة انسان يروم ان يكسف نور الشمس بضوء جبهته ويعادل القمر فى منزلته ورتبته فأما اذا كان مصدقا بالخيرات العتيدة وبالحيوة السرمدية المديدة كان زهده فى الدنيا من غزارة المروءة والدين واشتياقه الى نعيم الآخرة على الضمير الثابت والعلم اليقين وحينئذ تنقاد اليه أسباب القناعة بالتواضع والرغبة والطاعة فيتجنب الاحتشاد والطمع ويقصد الامساك والكفاح والورع لان الرضى بالكفاف يؤدى الى العفاف ثم يكون مقتصرا فيما يحتاجه لحفظ قوة البدن من الطعام والشراب واللباس والسكن على أدنى الاشياء اليسيرة من الاصناف المنقوصة الحقيرة هاربا من ألم البذخ المحظور متذكرا مقام الحساب والنشور وانه قد دخل الى الدنيا بلا شئ وسيكون خروجه منها بغير شئ ولا ينفعه شئ مما اقتناه عند حلول الموت ولا يصحبه مما ملكت يداه قنية تنقذه من مرارة الفوت ولا يسوقه الطمع الى محبة الغنى بارتجاء الشيخوخة وطول المدى بل يكون متيقظا بالتمييز الصالح والرأى الثاقب الراجح فربما ادركه الموت فى عاجل الوقت الحاضر وأفرقه من الاغتباط باليسار والمآثر وأخرجه من الدنيا الزائلة السرور وأسكنه فى ظلمة الاجداث والقبور ثم تجد فى الحرص على زهد هذه الدنيا الدنية والخلاص من

والذين يؤثرون السلامة يفرحون الصديق لا يرضيه شئ من الظلم * وأما المنافقون
يمتلؤن من الاسوآء * وقال الشفة الكذوبة رذلة عند الرب * وقال الكلام المجزع
يقلق قلب الانسان والبشارة الصالحة تسره وقال الانسان الطويل الروح جزيل
الحظ فى فطنة العقل والصغير النفس جاهل قوى * وقال القلب الصالح تستقر
الحكمة فيه ولن تعرف فى قلب الجاهل * وقال الانسان الجاهل يحتقر لنفسه الاشواء
وفى شقتيه يكنز النار * وقال العبد اللبيب يمسك السادة الجهال وبين الاخوة يقسم
الحظوظ وقال كل شرير يبغض المقاومة والمجاوبة والرب يرسل اليه ملاكا غير رحوم *
وقال ان سقط عدوك فلا تشمت فيه ولا توقع ذهنك فى عرقلة فان الرب يبصر ذلك
فلا يرضيه ويرد عنه غضبه * قال بولس الرسول باركوا من طردكم وأضر بكم باركوا
ولا تلعنوا افرحوا مع الفرحين وأبكوا مع الباكين ولا تجازوا أحدا من الناس
سيئة بسيئة بل احرسوا أن تأتوا الخيرات الى الناس جميعا فافعلوا ولا تتبعن أنفسكم
المعائب ولا تكونوا منتقمين لانفسكم يا أحبائى بل ادفعوا الغضب حتى يجوز عنكم
كما هو مكتوب انك أنت لم تنتصر لنفسك أنا انتصر لك يقول الله ان جاع عدوك فاطعمه
وان عطش فاسقه فاذا فعلت ذلك به انما تلبس جمرنار على هامته ولا يغلبنكم
الشر يا أخوة بل اغلبوا الشر بفعل الخير والتمسك به * وقال الانجيل المجيد طوبى
لفاعلى السلامة فانهم بنو الله يدعون * وقال ان أنت قدمت قربانك على المذبح
وذكرت هناك ان أخاك واجد عليك فدع قربانك هناك قدام المذبح وامض
أولا وصالح أخاك وحينئذ فأت وقدم قربانك وقال * سمعتم ما قيل العين بالعين
والسن بالسن وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر البتة ولكن من لطمك على خدك
الايمن فحول له الآخر ومن أراد خصومتك وأخذ ثوبك فدع له ردائك ومن سخرك
ميلا فامض معه اثنين وقال وان غفرتم للناس ترك لكم أبوكم السماوى خطاياكم
وان لم تغفروا للناس سيئاتهم فلا أبوكم يغفر لكم خطاياكم فالان قد عذرنى أن أنذر
وأنصف من حذر وأحسن من قد أكد فى وصيته وأراد أن تسير الناس بحسن
طويته وسيرته فمن الفرض اللازم والحق الواجب الجازم ان نغفر للناس جنايا تهم
علينا وما قد أوصلوه من اضرارهم الينا لكى يغفر الله خطايانا وسيئاتنا ويصفح عن

فى محبة الله وفى رضاه لكيلا يوجع قلب أخيه بكلام الاشرار يرفعه الله الى مواطن الابرار لكونه فى محبته تشبه بالاولياء وسار سيرة المختارين والاصفياء * واعلم أيدك الله ان الانسان اذا كان حليما يجب عليه أن يكون مع حلمه حكيما يخلص فى الايمان ويفعل الجميل والاحسان ويداوم على الصلاة والصيام والسهر والسجود والقيام ويؤدى ماهو لازم من الفرائض الشرعية ويقوم بما هو معروف من السنن الرسولية يخاف الله فى جميع أعماله * ويقصد بابه فى حركاته وآماله راغبا للخشوع والاتضاع وعاملا بأمر الله المطاع يقطع أسباب الخطايا من أصولها ويصون فكره فى النظر فى حلها وفى فصولها يقنع فى طعامه بالنزر اليسير لسد جوعته وفى لباسه بالدون الحقير لستر عورته * يلازم القراءة على الاستمرار ويكثر الوعظ لنفسه فى الليل والنهار متفكرا فيما يكون من الخطاة فى يوم الحساب وماهو معدلهم من المؤلمات والعذاب * قال داود النبى اللهم ربى ان كنت فعلت هذا أو ألبست يدى اثما أو جازيت الذين فعلوا بى شرا أسقط اذن من أعدائى خاويا ويطلب العدو نفسى فيدركها ويطأ فى الارض حياتى ويحل فى التراب مجدى وقال طوبى للذين تركت لهم سيآتهم والذين سترت خطاياهم * طوبى للرجل الذى لم يحسب الرب له خطيئة وليس فى فيه غش * وقال الذى استوى على المغارب الرب اسمه ابتهجوا بين يديه واخشوا قدامه لانه أب الايتام وقاضى الارامل * وقال الرجل الجاهل لا يعلم * والسفيه لهذا لا يفهم وعند ما تزهر الخطاة مثل العشب ويعلو عاملى الاثم هناك يستأصلون الى الابد * وقال أحباء الرب يبغضون الاشرار لان الرب يحب أنفس أصفياءه من يدى الظالمين ينجيهم * وقال لم يلصق بى قلب غاش عند ميل الاشرار على لم أعلم وقال سليمان الحكيم الافكار الملتوية تفصل من الله * وقال اشفقوا على لسانكم من الوقيعة فان النعمة الخفية لا تخرج باطلا والفم الكذوب يقتل النفس * وقال الفبيلة الظالمة نهايتها رديئة وقال النعم والاموال لا تنفع فى يوم الغضب * والعدل ينجى من الموت * وقال القليل التميز يهزأ بأهل مدينته والانسان المهذب العقل يستصحب السكوت * وقال كل نفس مباركة بسيطة * والرجل الغضوب ليس شكله حسنا * وقال الغش فى القلب ينشئ الطالحات

الصلح والسلامة والسبيل فى البعد من المقاطعة والمصادمة * الغيرة الخبيثة تشوش العقل وتبعده من السلامة وتحمل المرء على الحقد والبطش والغشم والظلامة * وذلك ان الانسان اذا كانت غيرته فى غير الله شديدة فهو خليف بجميع الامراض الشيطانية برغبة مزيدة * وغريب من الفرح والسرور ودائم الحزن والشغب المحذور * وأما اذا كان محتملا حليما كان عند الله عز وكرما لان الحلم أساس جميع الفضائل والصفح يشيء الصلح بين القبائل * فن الصفح والحلم يتولد السذاجة والطاعة وبهما يكتسب البساطة والوداعة فالذى قد تزين بهذه الخصال يكون كاملا فى جميع الفعال ويصير بمنزلة الطفل الصغير صابرا على الهوان والجور الكثير * ان أكرم لا يتكبر وان ساد لا يتجبر وان أغيظ فلا يغضب وان أوذى فلا يشغب يحتمل الشتم والعار والظلم والاضرار والهزء والاحتقار والمنقصة والاستصغار لا يشح بالثناء الباطل ولا يلم به العجب بالحسن الكامل ولا يحرص على جمع المال ولا يكترث بشهوات الضلال ولا يهم بالموافقة ولا يتهيأ للشافقة والمكاشفة ولا يحسد ولا يدين ولا يحقد ولا يهين فالحسد يكسب المقاومة والحقد يورث المصارمة وذلك ان الانسان الذى يشتهى مضرة أبناء جنسه يكون مظلما فى جسمه ونفسه ولا يستحق من الله مواهب الرحمة ويدان بأشد العذاب والنقمة * واذا كان عادلا ويدين بالقصاص فقد أبعد نفسه من الرحمة وترجى الخلاص فكما ان الشقاء ينافى النعمة كذلك القصاص يضاد الرحمة وكما ان النار والماء لا يتفقان فى الاشتعال والوقود * كذلك الانتقام والرحمة لا يجتمعان فى قلب الانسان الحقود ثم اذا كان الانسان أيضا نائيا عن العصيان معترفا بالذنوب والطغيان وهو مجتهد فى طلب الصفح والغفران من الاله الرحوم المنان * وهو يروم القصاص من الذى ظلمه أو يحقد على من ازدرى به وشتمه فان توبته توبة كاذبة وطلباته منكوسة خائبة وتعبه تعبا غير شافع وسعيه سعيا غير نافع وان ظن انه فى توبة مقبولة وطلباته مستجابة غير معطولة فان ظنه ظن فاسد وأمله أمل متباعد * لان الذى قد تاب على الحقيقة قد اشتغل بهموم نفسه عن ذكر الخليقة وصار فكره مصروفا الى الحزن الكئيب والعويل والنواح والنحيب على ما أحبطه من الذنوب وما اجترمه من النقائص والعيوب فاقطع هواك ولا تبغض أخاك لان الذى يقطع شره وهواه

والصواب * لايمكن أن يكون الانسان مرتاضا حكيما قبل أن يتعلم و يصير عليما *
و يحتمل الجور ممن يهجوه و يقرفه * و يثلبه و يشتمه و يغضبه وهو يمدحه
بالفضائل التى ليست فيه و يصفه بمحاسن العدالة و يزكيه * و يستعظم يسير
مناقبه ويشهرها و يستصغر عظائم رذائله و يحقرها متيقنا بذلك الوصول الى
الطوبى المنصوصة فى الانجيل وراجيا للظفر بسابق الوعد الجميل الذى قد أعد
للمشتومين والمعيرين والمحزونين والمتضعين والذين يقال فيهم كل كلام ردىء
و يقذفون بكل كذب سيئ فكن حكيما وسالم الصدر * وساذجا وجميل الصبر
ولا تضمر الشر لاعدائك ولا تستعمل الحقد لاحد من غرمائك واجتنب المكر
والوقيعة ورياء الخبث والخديعة ولا تكن بمنزلة من يتظاهر بالخير والصلاح وهو
مجد على الرذائل القباح واهرب من ضغينة الحسد فانها مهلكة النفس والجسد
وابتعد منها ما اقتدرت وحد عن طريقها ما استطعت فانها من أعظم الخطايا وأرذل
الشؤن والرزايا فمن أوهقته فى حبائلها وأوقعته فى شباك رذائلها كان سره متعوبا
وعقله مسلوبا وقلبه ملتهبا مكروبا ان رأى انسانا فى صلاح اشتهى زواله وان رآه
مجدا فى العمل قصر آماله يحسد الغريب والقريب والعدو والحبيب يود للناس
ما يهينهم و يفرح بما يضرهم و يشينهم * قال الكتاب أحبوا أعداءكم واحسنوا
اليهم * وهذا يبغض أحباءه و يسىء اليهم * لاتقاوم الشر بالشر فتخالف الكتاب
ولا تتضجر لظلمك فيخطيك الصواب فمن صبر على الظلم بالفرح والسرور وكان قادرا
على الانتقام المحذور دامت سلامته وقلت ندامته ووصل الى درجة الابرار وحلت
عليه نعمة الملك القهار وانتظم فى سلك القديسين وصار عجبا عند الملائكة المقربين
فما أسعد من عرف بضعف بشريته اذا ما أجمل وأحسن فى طويته وكان حليما عند
الغضب غير عجول فى بلوغ الارب يحفظ عقله من ظلمة المقابحة و يصون قلبه من
الميل الى الانتقام والمكافحة * فمن سالم الناس سلم ومن آثر الصفح غنم فان دوام الحقد
فى قلب الانسان يبعده من عبادة الاله الديان * ان عاتبت أخاك سرا كنت له
طبيبا حكيما وان و بخته جهرا كنت له مرضا أليما * لان السياسة جامعة للحلم
والوقار والادب * ومبعدة من الحقد والحدة والجور والغضب وهى الطريق الى

الانوار والطلبات الدائمة فى الليل والنهار لكى نكون مسرعين الى المائدة الروحانية بالبهجة والدلال ونتناول ماينقذنا من الزيغ والضلال لانا قد أمرنا بالصلح والسلامة والسعى فى طريق الصفح والاستقامة لنفوسنا واخواننا ولعاندينا ولاعدائنا لكى ترتبط نفوس بعضنا ببعض برباط المحبة الدائمة ونتمسك بالمودة الاكيدة اللازمة ونشترك مع السيد المسيح فى اسم البنوة الذاتية التى أهلنا لها بالنعمة بالولادة الثانية لانا قبلنا وصيته وصنعنا الصلح بارادته ومشيئته لان جميع الوصايا مزاج واحد لتعليم الصواب وقائدة الى الصلاح عند ذوى الالباب فاستعد أيها الصالح لافعال السلامة لكى يكون سيرك دائم الاستقامة فالصلح هو سيد الاحكام والصفح مزيل الضغائن والالام وتذكر امهال الله لك مع أفعالك الذميمة وما اجترمته لديه من الجرائم العميمة واغفر ذنوب المسيئين اليك وأصفح عن كاثر المخطئين عليك لئلا تعامل بالعبد الذى سومح بما كان عليه من الوزنات الكثيرة ولم يسمح هو لرفيقه بالصيابة اليسيرة فتجازى كجازاته وتكافا باشد من مكافاته فكما ان السحاب يمنع ضوء الشمس كذلك الغضب يذهب نور النفس فان كنت سقيما بالخطايا المميتة ومدنفا بالاوجاع المؤلمة الخبيثة وقد نهضت الى الله فى طلب المغفرة والشفاء من أمراض نفسك المظلمة المقفرة فاصفح أنت عن ذنوب مبغضيك وسارع الى الصلح مع أخيك واهدر ما قد ظلمت به من الاشرار واسمح بما قد قذفت به من الحسدة والفجار فيرفعك الله من مقر المذنبين ويخرجك من جملة المجرمين العاصين ويحلك فى محل الوقار ويتوجك باكاليل الافتخار لانه قد قال بالكيل الذى تكيلون يكال لكم * وذلك انه يعرف فكرة كل انسان وما يأخذ به نفسه فى السر والاعلان * فان كانت نيته تبكته عند طلب الاستغفار من الاله الواحد القهار بانه اذا لم يغفر لظالميه ويصفح عن ذنوب مضطهديه لا يمنح برأفة ولا رحمة ويصير مستحقا لكل عذاب ونقمة * فبهذا الضمير يغفر الله سيآته ويجزل ثوابه وحسناته * وان كان ضميره مضادا لهذه النية ينزل الله به كل بلية ويضاعف عليه أسباب العذاب ويجعله دائما فى الرجز والعقاب وكما ان النار تفنى الحطب هكذا الحقد يبيد الصوم والصلاة والتعب وكما ان شدة الريح تفرق السحاب فالغضب يدحض الخير

تعذب بكل عذاب أليم فينبغي للذي قد قصد نحو الفضيلة والارتقاء الى المرتبة الجليلة أن يجول بفكرته الصالحة وآرائه الصائبة الراجحة فيما قد منحنا به من فضل الاله لكيما نكون طائعين لامره وهواه وذلك انه جعل جسده النقي ودمه الذكي قربانا يعد في جملة الضحايا وفوض لنا تناوله لمغفرة الخطايا فبأي وجه يجوز لنا ان نتناوله وقلوبنا خالية من الرحمة وممتلئة بالحقد والغضب والحدة المقرونة بالنقمة لان الذي قد ملكت عليه حدة الغضب لا يصنع بر الله كما هو مكتوب فقد قيل ان الغضوب قتول لنفسه فالذي لا يتعظ بهذه الامور التي تلين صلابة الاصلاد والصخور فقد صير ذاته في جملة المخالفين ونظم نفسه في سلك المعطلين ويكون اذا تناول من السرائر المعدة لمغفرة الخطايا يأخذ دينونة كاملة الرزايا ويكون مماثلا ليهوذا الاسخريوطي الجاحد المناصب المقاوم المعاند الذي قبل تناول القربان خامرت قلبه التجارب الشيطانية بالطغيان فلو كانت نفسه مستعدة للقربان لما قويت عليه تجارب الشيطان ولا كان لها سبيل الى الوصول اليه ولا قوة تنهضها الى الاقدام عليه بعد تناوله من العهد الجديد والقربان المقدس المجيد لكن من الغش الكامن في قلبه الذي صار به عدوا لربه دخلت عليه أسباب المخامرة وأخرجته الى التظاهر بالمجاهرة ودليل ذلك ان من جملة المأكول والغذاء أطعمة كثيرة الاذى فاذا حصلت في الامعاء الصحيحة النقية والاجسام المستقيمة المستوية لا يكون لمضرتها تأثير يقدح ولا لاذيتها ألم يجرح ثم من المأكل أطعمة كثيرة المنفعة في الابدان ظاهرة الفعل بالعيان اذا حصلت في الاجسام السقيمة والامعاء المغشوشة الذميمة لا يكون لها منها منفعة ولا تجلب اليها قوة منعة فالمنفعة والمضرة من صحة الابدان وأسقامها لا من الاطعمة المختلفة في منفعتها وآلامها فكهذا تجري أمورنا في القربان الروحانية والضحايا المقبولة الزكية ان نكون مستعدين لقبولها ومتهيئين بالنقاوة لحلولها فانها اذا حصلت في النفوس الزكية والاجسام الطاهرة النقية أبهجت أنوارها ورفعت أقدارها وسرت ظواهرها وأسرارها واما اذا حصلت في النفوس الشقية ادلهمت ظلمتها وانخفضت زينتها واستقامت هلكتها فمن الواجب علينا ان نداوي أسقامنا ونستفرغ الآلام من قلوبنا ونياتنا بالتوبة المشرقة

الامر وماذا يكون جوابك وحجتك للذى يعرف ما قد كتمته فى الصدر وكونك قد
خالفت أمر الاله وتبعت رأى الشيطان وسعيت فى هواه وتركت الثواب والاجر
والاثرة الجليلة القدر وما قد أعده الله لاهل الصلح والمسالمة من الخيرات المستمرة
الدائمة مع مغفرة الذنوب والخطايا والصفح عن جميع الشؤون والرزايا واحرص على أن
يكون الروح القدس ساكنا فيك ليضئ حسك ويهديك لانه لا يحل حيث تكون
حمية الغضب ولا يسكن فى أناء قد شملته رذيلة الحقد والشغب فاذا لم يحل روح
القدس فينا ولا يشرق أنواره علينا فبأى وجه نرتجى من الله السعة فى الرحمة
والنزوح عن مواطن الذل والنقمة ونحن قد صرنا كالخربة التى ليس بها قاطن
ولا يأوى اليها مستظل ولا ساكن وقد صارت محلا لكل نجس ومعمورة بكل
رجس ودنس فاجتهد ان تبعد عنك حمية الغضب وموبقات الحقد والوصب لكى
تكون هيكلا مشرقا مزهرا وأناء مقدسا طاهرا فتحل فيك روح الله القدوس الذى
به تتقدس الاجسام والنفوس فيصعدك الى العلا وتكون وارثا فى ملكوت
السماء لان الذى قد ملكت عليه حدة الغضب يكون مضطهدا بالشقاء والتعب
ولا تصل نعمة الله اليه ولا تحل روح القدس عليه فيكون أبدا مهموما فى حركاته
مغموما فى جميع تصرفاته مبتعدا من مواطن الصلاح متحليا بالرذائل القباح يسرع
بالبطش والمصادمة ويتنزع من هبوب الريح اللذيذة النسمة لا يفوته قلق
ولا ضجر ولا تخلو منه عريسة الوجه وقلبه أبدا مكروب وجسمه دائما يذوب
نفسه بامور العالم حزينة وفكرته بهموم الدنيا رهينة ووجهه عادم الاستقرار ولونه
دائم الاصفرار خاطره مستذل ضعيف وعقله مشوش سخيف يقيم الشرور والشجب
ويثير الحرب من غير سبب يفتخر بكلام السفه القبيح ويشتم الناس من قلب قريح
يفرح بالظلم والجور وينشرح بالانتقام على الفور ويستغيب الناس الاخيار
ويثلب الصديقين الابرار فالذى قد انطبعت فيه الخلال الرديئة وتصورت فى
أخلاقه هذه الصفات الدنيئة يستدل بظاهر حاله على سوء ماله وان دينونته تكون
خالية من الرحمة ومتصلة بالعذاب الشديد والنقمة تحتوى عليه الظلمات فى يوم
الدين ويوقف فى صف الخائنين الغادرين ثم يكون مصيره الى قرار الجحيم وحينئذ

وجورهم ونحن لا نصفح عما قصدونا به من الاضرار من أجل طاعة الاله الرحوم الغفار ثم نقصد منه مغفرة خطايانا وذنوبنا والصفح عن مناقصنا وعيوبنا والمسامحة لزلاتنا والتجاوز عن هفواتنا وسيئاتنا وان نكون من الفائزين والملكوت السماء من الوارثين فحينئذ لا يقبل سؤالنا ولا ينجح فى طلباتنا وآمالنا ونعود من تعبنا خاسرين ونرجع على أعقابنا خائبين فينبغى للذى قصد باب الرحمة واكتساب الجزيل من الثواب والنعمة أن يكون فى بدء اعتماده وأول حركاته واجتهاده قد أقلع عن السيئات التى نهى الله عنها وحذر عن الاقتراب منها ثم يتبع ذلك بحفظ الوصايا المضيئة والاعمال الصالحة المرضية التى أمرنا بالاعتماد عليها والاجتهاد فى الوصول اليها فاذا يستقيم فى حركاته وينجح فى أموره وطلباته وينال ما قد جعل قصده اليه وما قد اجتمعت نيته وضميره عليه ثم يجب عليه أن يكون مع سمو حظه وقدره وانبساط يده ونفاذ أمره يحسن الى المسيئين اليه ويكرم الذين يجتنون عليه لان الذى يغفر لمن اضطهده وسعى فى مضرته من أجل طاعة الاله وفى محبته يغفر الله له سيئاته ويضاعف له بره وحسناته لانه قال من يحبنى فليحفظ وصاياى فقس أيها الانسان على نفسك ولا تتعاظم على أبناء جنسك فترى أن مصالحة أخيك عار عليك ومسالمته تجلب الاحتقار اليك وأعلم ان العار الواضح والخزى القبيح الفاضح هو خلاف وصية الاله الرؤف وطرح الرهبة بوعيده المخوف والدوام فى غضبك على أخيك وانتظار مجيئه ليرضيك ويحل حقدك الثابت الراسى ويلين قلبك الصلد الاصم القاسى فاصرف عنك هذا الفكر الردى واثنن عن هذا الرأى الدنى واعتمد على الفعل الجميل وما أتانا من كلام الانجيل ان أنت قدمت قربانك على المذبح وذكرت هناك ان أخاك واجد عليك فدع قربانك قدام المذبح وامض أولا وصالح أخاك وحينئذ قم وقدم قربانك فاتعظ بهذا الوعظ الفائق والقول العذب اللذيذ الرائق ثم أعلم ان الاله جل اسمه وتعالى أمره ورسمه رضى أن يكون قربانه قدام الهيكل مطروحا ولم يرد ذلك منقصة وعيبا وموضوحا لكى تكون انت من أهل الدين وتصير محسوبا فى جملة البنين وأنت ترى ذهابك الى أخيك من المشقة العظيمة وسعيك الى الصلح معه من العوائد الذميمة فليت شعرى ماذا يكون عذرك اذا سئلت عن هذا

وصنع البر والاحسان المألوف لانه يضيف الى صفحه عنه كثرة المنن والاحسان والاشفاق عليه من جميع الاوجاع والاحزان معتقدا فى حقه بالتقصير والعجز عن مكافأته بالجميل اليسير لكونه يدب له السلوك فى الطريق المستقيمة والعمل بالوصايا الجليلة الكريمة * فأما الذى يمسك كلامه عن أخيه بالغضب ويصد وجهه عنه بالتقطيب والشغب فيمسك الله عنه سعة رحمته ويغلق أبوابها فى وجهه وغرته لكونه قد خالف وصيته ولم يغفر لاخيه خطيته * فان كنت أيها الصالح تريد أن يغفر الله ذنوبك وسيئاتك ويصفح عن جناياتك وزلاتك ويتراءف عليك برحمته ويرفدك بجوده ونعمته وأنت ساخط على أخيك بالغضب والمكر ومكروب بالحقد والغل والغدر وممتلئ القلب بالغضاضة والجفاء وعادم الصلح والصفح والصفاء * فاعلم ان صوابك غائب عنك وتمييزك مبتعد منك وانك قد نسيت ذاتك الى غاية الجهل القادح وخرجت بعقلك الى نهاية السخف الفاضح لكونك خالفت تأكيد وصيته وعدلت عن طريق ارادته ومشيئته ورضيت لنفسك بالعصيان وجرعتها مرارة الخلف والطغيان وذلك انه قال اغفروا يغفر لكم واذا أنتم لم تغفروا * لا يغفر لكم فالذى يجهد نفسه فى أعمال الصالحات من حيث لا يغفر لاخيه جناياته القادحات * ثم يقصد من الله غفران ذنوبه والصفح عن مناقصه وعيوبه وهو مستمر على حقده وطالب القصاص بعزمه وجهده فهو بمنزلة انسان قد وقع فى بر ية مقفرة حامية الوهج مقهرة فأعياه التعب وكثرة الظماء والاضطرار الى شربه من الماء فنظر الى لامع السراب فظن ان به بلغة من الشراب فقصد نحوه بالسعى الخفيف وأجهد نفسه بالتعب العنيف حتى أعيته مشقة التعب وأوقفته معطلات النصب فغاب عن نفسه وأظلم ذهنه ونور حسه وسقط على الارض مغشيا عليه فأدركه الموت وأخذه اليه ومات ولم ير وغلته ولم يدرك مقصوده وبغيته وضاع سعيه وكثرة اجتهاده ولم يبلغ الى شئ من مراده فهكذا تجرى قضايا أحوالنا وما يكون لنا فى آمالنا وماآلنا اذا ما كنا لا نشقى نفوسنا بالصلوة والصيام وكثرة السهر بالسجود والقيام وكانت قلوبنا ثائرة بالغضب وممتلئة بالحقد والشغب باغضة للذين قد جنوا علينا وأوصلوا اضرارهم الينا ورشقونا بسهام ظلمهم وجرحونا بسيوف حيفهم

لم تفعل السلامة والصلح مع أخيك الذى هو مثلك فماذا يكون جوابك للمسيح وماذا يكون عذرك وقد علمت حقيقة اتضاعه مع قدرته وعظم ارتفاعه وكونه لبس صوره العبد حتى مات بها على خشبة الصليب من أجل خلاصنا جميعنا وافتكاكنا من أسر عدونا ألعلك تقول هذا قد أخذ مالى وظلمنى وأساء الى وشتمنى ومد يده على وجرحنى فتيقظ ببصيرتك المضيئة وتفكر برؤيتك الصالحة الزكية انه لم يصلبك كما صلب عنك خالقك ولا قتلك كما مات محبك ورازقك وكونه لم يمتنع أن يبذل نفسه عن خلاص الانسان هذا مع ما احتمله من الذل والرذل والهوان واحذر أن تغيب الشمس وأنت حاقد على أخيك لئلا تغضب الذى يرزقك ويحييك وان كنت تعلم انك غير مذنب فلا تغفر للمسيئين اليك ولا تصفح عن الذين جنوا عليك وان كنت تعرف انك مذنب ومدان وصائر الى الدينونة والهوان فأسلف الرحمة للمذنبين وأوسع المغفرة للظالمين فان الله يضاعف الرحمة للرحومين ويفيض بنعمائه على المظلومين فينبغى لنا ان نعلم ان الذى يصفح عمن لا تصل قدرته اليه ولا يستطيع الاقدام عليه لارتفاع منزلته وقدره ونفاذ كلمته وأمره فليس صفحه محسوبا فى الفضائل المشكورة ولا عفوه معدودا من المحاسن المشهورة من أجل قصر يده عن المقاومة وضعفه عن أخذ حقه بالقوة والمصارمة وأما الفضيلة الممدوحة الكاملة والصنيعة البليغة الشاملة أن يكون المرء قادرا على أخذ حقه باليد القوية والسطوه السريعة الرئية ولا يخشى ممن يعانده ولا يرهب بالخوف من عدو يضاده ويصفح عن المذنبين اليه ويغفر ذنوب الظالمين عليه بنية خالصة من الحقد والخديعة ومودة سالمة من الغيبة والقطيعة ويستقل ما يفيضه عليهم من المواهب الجليلة القدر ويستزر الكثير مما يسديه اليهم من الخير الخالص من الغدر متيقنا بذلك الوصول الى الدرجة الشريفة والمنزلة العالية المنيفة فى الحيوة الابدية والغبطة الخالدة السرمدية فى جوار من له الحق وتمجد لعظمته الخلق فهذا هو الصفح الذى يرضى الله بجلالة قدرته وينفع المواظبين عليه بتفضيله وجلته لانه يقرب الى بارى البرايا عالم الاسرار والخفايا وبه يتم غفران الخطايا والانقلات من شباك الرزايا وذلك أن الذى قد صفح عن ذنوب ظالمه وأكد الصلح معه وسالمه قد رضى الرب الرؤوف

الآخرة وذلك ان أهل الصفح والفضل لهم الشرف على أهل الانصاف والعدل بدلائل ظاهرة وبراهين متكاثرة ولما كانت سنة موسى تأمر بالقصاص على قضية ما بالعدل أمرت سنة سيدنا المسيح بالحلم والصفح والفضل وذلك ان سنة التوراة كانت كالطفل المولود الذى لم ينته فى السن الى الحد المقصود ولهذا قال السيد المسيح فى انجيله المقدس الفصيح لم آت لاحل الناموس بل جئت لاكمل الناموس والمفهوم ان كل شئ يحتاج الى تمام يكون عاجزا وكل ما يحتاج الى كمال يكون ناقصا عاجزا فينبغى لكل انسان قد بلغ الى رشده وقصد الاعمال الصالحة بجده وجهده أن يختار فضائل الحلم والفضل على المقاصة بقضية العدل لان الذى يروم أخذ القصاص يكون مبتعدا من الغفران والخلاص ويكون قلقه شديدا وضجره دائما مزيدا وعقله مظلم البصيرة والفهم مشوش العقل والجسم بليد التمييز والخاطر ويغيب عنه ذهنه الحاضر متنزعا فى جميع أحواله وطائشا فى أفكاره وأعماله كمثل ورقة تهب بها الرياح من كل جانب وتسوقها العواصف من المشارق الى المغارب فلا يستقيم له حال فى الدنيا الحاضرة ولا له نجاة من عذاب الآخرة فأما الذى يروم الصلح والمسالمة ويبتعد من الاقتصاص والمصارمة متيقنا ان ذلك يقربه الى الله ويدنيه ويرفع عنه حكم الدينونة ويحميه فيكون فى دنياه مغتبطا بالسرور ومتصلا بالابتهاج والحبور لا يصيب صدره شئ من الوجد ولا يحل فى قلبه أمر من أمور الحقد يداوم العمل بالوصايا الانجيلية المخصوصة ويقوم بالفرائض المدونة المنصوصة فمن كانت هذه السيرة سيرته وهذه الفضائل مستمرة فى طويته فظاهر أمره أن يكون فى الآخرة من أبناء الملكوت ومتصلا بصاحب الامر والجبروت فاخلص نيتك أيها الصالح فى محبة مبغضيك وأبذل جهدك فى مسالمة من يؤذيك فانك اذا تركت لعدوك جنايته عليك وما قد أوصله من الشر اليك تأخذ أفضل مما تركته وتمنح بأشرف مما غفرته لانك تغفر ذنبا واحدا لحفظ الوصايا فيغفر الله لك ما اجترمته من جميع الخطايا فاسرع الى الصلح والسلامة والصفح عن ذنب أخيك بلا ندامة لكى تستحق أن تكون من أهل الطوبى وتدعى عند الله فى جملة الابناء المحبوبة لان الكتاب الكريم يقول طوبى لفاعلى السلام فانهم أبناء الله يدعون فاذا أنت

للدعوة التى دعيتم اليها بكل تواضع الهمة والسكون والاناة وان تكونوا حرصاء على حفظ الفة الروح برباط الصلح حتى تكونوا جسدا واحدا وروحا واحدا كما دعيتم بالرجاء الواحد رجاء دعوتكم فان الرب واحد والايمان واحد والمعمودية واحدة والله آب للكل واحد وهو على الكل والكل بيده * وقال أطيعوا مدبريكم واسمعوا لهم فانهم يسهرون دون أنفسكم بمنزلة أناس يرفعون حسابكم كى تفعلوا هذا بالسرور لا بالضجر وقال الانجيل المجيد طوبى للمتواضعين فانهم يرثون الارض * وقال تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى المحال وأنا أريحكم احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى فانى متواضع القلب فتجدون راحة لانفسكم لان نيرى هين وحملى خفيف * وقال أما علمتم ان رؤساء الامم يسودونهم وعظماءهم مسلطون عليهم وليس هكذا يكون فيكم لكن من أراد أن يكون فيكم كبيرا فليكن لكم خادما ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبدا كذلك ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم و يبذل نفسه عن كثيرين * وقال والكبير الذى فيكم فليكن لكم خادما ومن رفع نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع وقال * أنتم الذين تزكون أنفسكم قدام الناس والله عارف القلب لان المتعظم فى الناس مرذول قدام الله فواجب علينا أن نتوقى موبقات المديح ونلزم الاتضاع الصادق الصحيح ونضبط ألسنتنا عن تزكية ذواتنا ونبوح بما قد علمه الله من خطايانا وسيئاتنا لعل تشملنا رحمة الاله الكريم وترفعنا الى مقر الراحة والنعيم كما سبق به وعده للمتضعين الذين يلزمون الطاعة بالفعل واليقين فيجب له الشكر على كرمه وفضله والثناء على احسانه وطوله له المجد من الآن وكل أوان والى أبد الابدين آمين

*(القول العاشر فى الصفح وهو ترك مجازاة المذنبين ومقاصة المجرمين والانتقام من العصاة المارقين مع وجود القدرة والظفر والعزيمة الجليلة الخطر)

الذى جرت به العادة المفهومة وصار بين الناس من السنن المألوفة المعروفة المعلومة ان أخذ الحق من جملة الانصاف والعدل وان الذى يترك حقه له الاحسان والطول والفضل فترك أخذ الحق من مكارم الاخلاق ومن المناقب السائرة فى

وقال لولا درسى فى سننك هلكت فى تواضعى وقال يارب لم يتعاظم قلبى ولم تتعال عيناى ولم أمش مع المتعظمين * وقال الرب يرفع المتواضعين ويذل الخطاة فى الارض * وقال لان الرب يسر بشعبه شرف أهل الدعة بالخلاص وأصفياءه يفتخرون بالتسبيح * وقال سليمان الحكيم كن بجملة قلبك متوكلا على الله ولا ترفع بحكمتك ولا تكن عند نفسك عاقلا لتقوم طرقك ولا تعثر رجلك * وقال الرب يناصب المتكبرين ويعطى المتواضعين نعمة * وقال أعمال الصديقين تثمر الحيوة وثمرات المنافقين تعد خطية * وقال الموازين الغاشة مرذولة قدام الرب والمعيار المقسط مقبول عنده * حيث يدخل التعاظم فهناك لعمرى هو الهوان * وقال العدل يحفظ ذوى الدعة فى طريقهم * وقال قد يكون قوم يرفعون أنفسهم ولا شئ يكون لهم ويكون قوم يضعون أنفسهم فى ثروة جزيلة * وقال الادب ينزع الفقر والهوان والملك المتهجم يسقط فى الاسواء * وقال قلب الانسان الجساس نفسه خزينة واذا فرح لا يخالطه تعاظم * وقال الانسان الوديع الغضب طبيب القلوب ووسواس المتعظمين القلب الجساس وقال من يكون ملتويا يحمل هلاكه فى فمه وقال الانسان الملتوى يبعث الشرور ومشمل الغش يحرق الاشرار ويفرق بين الاصدقاء وقال الرجل الطويل الروح أفضل من الرجل الشديد القوة وقال من يمسك غيظه أفضل ممن ياخذ مدينة حصينة ويملكها * وقال من يحفظ وصيته يصون نفسه ومن يتهاون بطرقه يهلك وقال الابن المتخلف عن حفظ أدب ابيه يدرس ألفاظ ردية * وقال من يسئ خطابه لابيه ولامه ينطفى مصباحه وحدقتا عينيه تبصران ظلمة * وقال مثل مدينة أسوارها مهدومة وهى بلا سور كذلك الانسان الذى يعمل أعماله بلا مشاورة * وقال الانسان الغنى حكيم عند نفسه والفقير العاقل يلوم ذاته * وقال العبد الفظ لا يتأدب بالكلام لانه أن فهم لا يطيع * وقال بولس الرسول وكل شئ أردتموه وهممتم به لانفسكم فأريدوه لاخوتكم ولا تهتموا بشئ من العظمة بل الصقوا بالمتواضعين ولا تكونوا حكماء عند أنفسكم وقال * وقد تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح انه من أجلكم تمسكن وهو الغنى لتستغنوا بمسكنته * وقال من افتخر فليفتخر بالرب * وقال وليس من مدح نفسه هو الخير بل من مدحه الرب ومجده * وقال ثم انى أسألكم أنا الاسير بربنا أن تسيروا كما يحق

والقوة باتضاع وخضوع من الاله الذى خيره غير ممنوع والذى قلبه شديد قاسى
لا يكترث بما يفعله ولا يرجع عن أخلاقه الرديه ولا ينثنى عن أفعاله الذميمة الدنيئة
ولا يذعن لربه بالتوبة ولا يتقى الجزاء يوم الرجعة والاوبة فكما ان الغيم يظلم
ضوء الشمس المنيرة هكذا العظمة تعمى العقل والبصيرة فمن رفض التنعم بالاكل
واللباس وابتعد عن المديح من الناس فقد اعد ذاته للتمجيد من خالقه والاجلال
من محبيه ورازقه وأهل نفسه وجسده لحلول روح التقديس وقبول الفيض الالهى
النفيس اذا عرف الانسان بضعف نفسه ودام على الشكر والخضوع فيكون قد
تجاوز الحد فى الاتضاع والخشوع فالعظمة لله جل اسمه وأما صفاته فمن ادعاها فقد
جهل قدر نفسه وذاته وصار لله ندا ولجلالته معاندا وضد اراد تجرأ على التهور
والتحريف وسقط فى هوة الالحاد والتجديف فاحذر من العظمة بجلالة الجنس
والحسب والتمجد بمعرفة العلم والادب والافتخار بسمو المرتبة الرفيعة والاعجاب
الذى يخرج المرء عن الشريعة فتحيد عن طريق الحق الى الضلالة وتعد من سقط
المتاع والرذالة فينبغى لكل من له تمييز وبصيرة وفطنة راجحة مستنيرة ان يتأمل جملة
أمره ويعرف انخفاض قدره ويحقق فى نفسه ان عيوبه ظاهرة مكشوفة وذنوبه
مفهومة معروفه وان اجتهاده لا ينفعه فى اخفائها وحرصه لا يفيده فى كتمانها
واطفائها فيكتسب من هذا استنقاص فضائله وان كثرت واستعظام رذائله وان
قلت وصغرت وهذا هو الغاية فى التمييز الصادق والنهاية فى التواضع الموافق كما
ان الشمع يقبل النقوش للين طباعه كذلك الانسان لا يكون حكيما قبل اتضاعه
أهرب من العظمة فانها داء وبى ومرض مجحف قوى فالهرب منها من المروءة والدين
والجنوح اليها من العناد الظاهر المبين * قال داود النبى احكم لى يارب فانى بالتواضع
مشيت وعلى الرب توكلت فلا أجزع * وقال افرح واسر برحمتك لانك نظرت
الى تواضعى خلصت نفسى من الشدائد ولم تسلمنى فى أيدى الاعداء * وقال ذباح
الله أرواح متواضعة وقلب مكتئب متواضع لله لا يرذله وقال الساكن فى العلا
ايعاين المتواضعين فى السماء والارض يقيم المسكين من التراب و يرفع الفقير من
المزبلة يجلسه مع رؤساء شعبه * وقال الصلاح لى فى التواضع لكى أتعلم وصاياك *

لا كتساب السمج الباطل ولا تتجمل بالمديح الماذق العاطل وذلك ان الراغب فى
هذه المقاصد الدنية والسلوك فى طرائقها الردية لا يقدر ان يميل قلبه الى الاتضاع
ولا يقتنى طاعة شديدة الاوضاع فحقق فى نفسك انك مفتقر الى التعليم وحينئذ
تكون بمنزلة العالم الماهر الحكيم فان الذى يتواضع من أجل معرفة العلوم
والآداب يكون غنيا بالبعد من التعاظم والتراؤس والاعجاب فان علمت وصرت
من المعلمين فاخفض جناحك للمتعلمين وكلمهم بالتأنى والترتيب بعدان تبعد منك
المجاهرة بالامرة والتعنيف والتوبيخ وتتظاهر بالنقص والعجز والغلط الفاضح
والافتقار من الرشد والفهم والعلم الواضح لكى تظهر لسامعيك فضيلة الاتضاع
ويكون وعظك عندهم طيب الاستماع فيدنون الى أوامرك بالسمع والطاعة
ويذعنون لمراسمك بالرغبة والضراعة * واحذران تعلم تعليما لا تكون قد
سبقت اليه بالمواظبة لئلا تعد عند الله من الشهود المائنة الكاذبة واحرس ان
تكون قاسيا أو حريصا أو قنوطا مع السعة فى غناك ولا تكن متعظما عند فقرك
وفاقتك وعناك فالذى يقصد التعاظم يهرب منه والذى يفر منه يلحقه ولا يحيد عنه
لا تدع العلم وأنت لا تعلم لئلا تمتحن فتنفضح وتبكم فخطاب المربيان لفضله
وجوابه ترجمان لعقله لا تعير الذين سقطوا ولا تقرع على الذين من التوبة فرطوا لئلا
تغتر باعمالهم ويؤول أمرك الى ما آلهم وتصير أسيرا رهينا ولا تجد ناصرا ولا معينا
وافرح بما يقال عليك من الكذب القبيح فتكون كاملا بالاتضاع الصحيح
وكن عارفا بضعف بشريتك فتحسن فى سيرتك وطويتك فتكون كاملا بالاتضاع
ومبتعدا من الآلام والاوجاع لان الذى عرف من نفسه بالضعف قد استحق
المبالغة فى الوصف وصار للاتضاع معدنا وللخير مسكنا ومنزلا وموطنا فكل من
لا يعرف بضعفه ساقته أفكار العظمة الى حتفه ويكون عادما للفضائل ومائلا الى
طرق الرذائل فرقة القلب ولينه أصل الرحمة والاتضاع وقساوة القلب وغلظه أساس
العظمة والارتفاع فالذى قلبه رقيق يخاف الله ويتقيه والذى قلبه غليظ يعاند
الله ولا يخشاه فالذى قلبه منكسر بالذين يعرف ما فيه من الضعف المهين فتدعوه
الضرورة الى طبيب يشفى علله ويداوى سقمه وضعفه وكربته فيطلب المعونة

ما اقتدرت فانه داء سوء شديد البؤس وقبوله مهلك للاجسام والنفوس لا ينجو من محبته الا كل انسان صالح وكل ذى عقل نير راجح فقد أحسن لذاته بالابتعاد من شهواته ولذاته وصار هواه مصروفا الى الغبطة بالنعيم الابدى والسرور الخالد السرمدى لان الذى يرغب فى الرئاسات العالمية ويغتبط بالكرامات الوقتية فهو على الحقيقة عبد للاوجاع وخارج عن الطاعة والاتضاع فالهرب من العظمة هو من المروءة والدين * والايمان الثابت بصحة اليقين * لان الانسان اذا استعظم فضائل ذاته أفرط فى وصف حسناته وأدواته واستهان بارباب الفضيلة واستنقص أهل الافعال الجميلة وحسن فى عقله التظاهر بالاعجاب وقبح عنده السعى فى طلب العلوم والآداب فمن وطد نفسه على هذه القضية ساقه جهله الى كل بلية وابتعد الناس منه فى كل جانب وصار ممقوتا من الاهل والاقارب فان منحت من الله بالرياسة فتكون أحكامك بالاتضاع والسياسة وتعاليمك بالاناة والرفق ومشورتك بكلام الحق والصدق فاذا حفظت من العيب لفظ لسانك تسود أهل عصرك وزمانك وتطيعك أعوانك ورعيتك وتبتهج بك أخوانك وعشيرتك لان رئاسة الكهنوت محروسة بالوقار وحائزة للمجد والافتخار بعيدة من النقص والعيب خالية من الشك والريب فينبغى للذى قد أفضى أمر هذه الدرجة اليه وصار اعتماد شعبه بعد الله عليه ان يبالغ فى تحصيل المرتبة الشريفة ويجتهد فى الوصول الى الرتبة العالية المنيفة ويستهين بالدنيا وشهواتها ويحتقر بما يقتضيه نعيمها ولذاتها ويهجر فانى المال ويتفكر فى أمر الآخرة والمآل ثم يلازم القراءة فى الكتب المقدسة المقبوله ويمعن فى اكتساب المقاصد المشهورة والعلوم المعقولة فان الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل ويجب عليه ان يعوّد نفسه بالخير الجزيل والافراط فى محبة الناس بالود الجميل وان يبذل تحننه على الكبار والصغار والعبيد والاحرار ويجود بفضله واحسانه اليهم ويقبل بوجه العناية والاشفاق عليهم والفاضل منهم يكرمه لغزارة علمه وعمله وفضله والجاهل منهم يرحمه لنقص رأيه وعقله فهذا الذى يوافق الرؤساء والمقدمين ويطابق أخلاق العلماء والمعلمين فاذا كان اعتمادنا على هذه الصفات المذكورة ونفوسنا تائقة الى تحصيل المناقب المشهورة فيجب علينا ان لا نتضع

و يتجاوز الحد فى فعل الخطايا فاما الانسان الذى اقتنى التواضع والطاعة وتملك العفة والقناعة فانه يفرح اذا وصم بالقطيعة و يبتهج اذا قذف بالوقيعة ويسر اذا نبذ بالشتيمة الشنيعة ثم يهرب من السبح الباطل ومن التنعم اللذيذ العاجل لا يطربه افراط المديح ولا يحزن من التوبيخ القبيح متر جيا بذلك ماوعد الله به الصالحين وماهو مذخور لطائفة الصابرين المتعظم لا يصغى للتعليم ولا يرتدع بالوعظ المستقيم ولكونه عادم الوداعة لا يذعن الى الدخول تحت الطاعة التواضع صلاح وسكينة وخير دائم والتعاظم شحب وشر قائم العظمة تعمى القلب عن نظر السيئات وتمنع من الصلاح المفيد الحسنات كثيرون من الناس كانوا فى فقرهم محبين أخيارا فلما استغنوا صاروا معاندين أشرارا ان أنت مدحت نفسك أو رغبت فى المديحة تكون رهينا للضحك والفضيحة واذا ارتفعت بالمديح فانظر ما يأتيك بعده من الهجو القبيح وأحذر أن تعصى ضميرك الذى يلومك على هفواتك واطلع الفكر الذى يدينك على سقطاتك واسمع كلام المعلمين بالقبول والرضا باليقين الصادق الثابت القضاء ثم ابتعد من كل هوى يغضب باريك واتعظ بما يقربك الى الله ويدنيك باعتقاد غير متزعزع ويقين غير متضعضع فتكون مستحقا لارث الملكوت ومتصلا بصاحب الامر والجبروت وأهرب من السبح الباطل لئلا ترهق فى فخاخ الصياد القاتل وتسقط ذاتك من آل الشرف والفضيلة وتماثل بها أهل النقص والرذيلة لان الذى هو من جنس شريف وله أصل مرتفع منيف لا يستحسن لنفسه شيئا من المديح ولا تهزه المكارم للثناء الصريح لان قدره جليل وفعله جميل وذلك أن الذى يفرط فى شكر الانسان انما يكون على فعل الجميل والاحسان فالذى هو من أهل الفضيلة لا تستغرب منه الافعال الجميلة وأما الذى هو من أهل النقيصة فانه يرى ان له بالسبح الباطل أكمل الغريسة لاجل ان الفضائل مستغربة منه والمناقب الكريمة مبتعدة عنه فتحرز أيها الانسان الصالح من التعاظم الذى ابتدأ به العدو المكافح وتدرع بالاتضاع ولا تخرج عن أمر الله المطاع لان المريض اذا خالف الطبيب اشتدت حرقته وأوجاعه وتزايدت أمراضه وانحلت أوضاعه فاهرب من السبح الباطل ما استطعت وابتعد عنه

والمعرفة لئلا يطغيك الكبر عن التعاليم المطربة المطوفة بل تكون طاعتك لاوامر المعلمين الابرار مصروفة وعزيمتك الى مواعظهم مشكورة موصوفة واجتهد بسرعة الاعمال المرضية لان التواني يظلم العقول المضية فقد قيل اعرف الرب باستقامة واعبده بأعمال السلامة فتؤجر بثواب المحسنين وتثاب باجر الصالحين فاحذران تأنف التعليم وان كنت حكيما أو تكره ذوى الوعظ اذا كنت سليما فان أوامر الله نافعة للعاقل ورادعة شافية لمؤلمات الجاهل وكما ان الملك الذى يريد ان يفتح مدينة بالسيف يكون صابرا على برد الشتاء وحرارة الصيف بغير ملل ولا ضجر ولا قلق ولا حصر حتى يبلغ الى غاية مطلوبه ويصل الى نهاية مرغوبة وهكذا الذين يرغبون محو خطاياهم وذنوبهم يقبلون التوبيخ بفرحة من قلوبهم ويسعون فى طرق الفضائل ويحيدون عن محجات الرزائل صابرين على ما ورد عليهم من الاهوال مستغنين بصالحات الاعمال فكما ان انصباب الماء يطفى لهيب النار الحاميه الوقود هكذا التوبيخ يعتق من الاوجاع الدائمة الوجود فان رأيت انسانا يكره التوبيخ على خطيئته ويهرب من الوعظ على معصيته فاعلم انه بالسبح الباطل أسير مربوط وبالتعاظم والكبر موهوق مقموط لا يركن الى الاتضاع ولا يذعن الى قبول أمر الله النافذ المطاع فان أردت ان يمحو الله عنك جميع الخطايا والسيئات فاكتم عن الناس ما تعمله من الحسنات فان الله يفرح بهذا الكتمان ثم يظهره بعد ذلك باشهار واعلان ولا يتعظم قلبك ان كتمت حسناتك لئلا يظهر الله ذنوبك وسيئاتك لانك ان تعظمت بانك قد كملت البر بكتمان الفضائل فانتظر ما يأتيك ويفضحك من شؤون الرذائل لان الافتخار انما هو كتمان الحسنات والتظاهر بالعيوب والسيئات فالذى يفتخر بما يريد الله كتمانه فقد أضاع تعبه وبره واحسانه فان تكلمت فاحفظ لسانك من التفاخر والمنابذة وان تفكرت فقيد فكرك عن الشرور والظنون الفاسدة لان الاحتراس من الاشياء الصغائر يسبب خلاص المرء من الامور العظائم الكبائر ويجب ان تعلم ان الانسان اذا تعبد للشهوات الوقتية يصير أسيرا للامور العالمية ويخرج عما يرضى الخالق ويسلك فيما يسخط المحى الرازق ولا يصبر على التعب ويولى عن الوعظ بالهرب ينبذ الوصايا

الانسان وتمنعه من عمل الجميل والاحسان وتصده عن النظر الى سيئاته وتوقفه عن زيادة الخير في بره وحسناته * فاما التواضع فانه معين على تحصيل الفضائل وفعل المكرمات بالبراهين والدلائل ويمنع المرء من التعاظم عند خصمه ورئاسته وان لايحسن لذاته السقوط عند فقره وخساسته فانه يقبح بالانسان التكبر عند غناه والسقوط عند فقره وغناه فالذي يتواضع في شأن الله يرفع الله شأنه ويرتفع عند الناس قدره ومكانه ويملك الحكمة على جميع الحكماء ويقتني العلم الذي يفوت كل العلماء * ففق أيها الانسان على نفسك واستر الامور بضيائها حسك وتذكر السالفين الذين قد سبقوك من العظماء والقرون والملوك الذين ملكوا الارض ببعدها وقربها ونفذت أوامرهم في شرقها وغربها وانقادت اليهم الجيوش والعساكر وخضعت لديهم الاشراف والاكابر وما قد صار اليه مآلهم وما تلاشت به أمورهم وأحوالهم حين أدركتهم مصيبة الموت وحوت أجسادهم ظلمة القبور والفوت وصارت جثتهم بعد الطيب الى صور قذره مستحيلة الى جيف منتنة قذرة يهرب من قربها الصديق والحبيب ويبتعد من نتنها الغريب والقريب فأين العظمة وأين السلطان وأين التمكن وأين الامكان وأين المجد وأين النعيم وأين الامر النافذ الجسيم أتراهم استصحبوا شيأ من هذه الامور وأنزلوه معهم الى القبور فاجعل هذا ثابتا في قلبك وكرره في ذهنك وليك فتخلص من ألم الكبرياء التي دحضتها جماعة الاولياء وأخلص في أفعال الخير والصلاح بدوام الانضاع المباح لان الله جل ذكره وتعالى جده وشكره خلقنا أحرارا مستطيعين وأرادينا أن نكون عبيدا طائعين فاذا نحن أبينا ارادته وخرجنا عن أوامره وطاعته وملنا الى محجة الريب وسلكنا في طريق النقص والعيب لايجذبنا الى طاعته قهرا ولايكلفنا الارادته جبرا لان الخير اذا صنع كرها لايكون له ثمرة منجحة ولا لمن يعمله فائدة مربحة ولا يمكن أن يكون صالحا بالقهر والتكليف ولايكون خيرا بالجبر والتعنيف واعلم انك اذا تشاغلت بالسبح الباطل تكون مستعدا لما يأتي من الخزي العاجل * كما قد قيل في الكتاب الطاهر بالاعلان الصريح الظاهر من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع فاحذران تقنع نفسك بما احتويته من العلم

من غير عى ولا لكن ولا تحلف ولا مين يتأيد فى استماع الكلام ببصيرة واستفهام
ولا يسرع فى رد الجواب من غير شك ولا ارتياب ولا يأنس الى السبح الباطل ولا
يهتز بالمديح المنتخب الفاضل ان كان فى رئاسة عالية المنار ورتبة جليلة واسعة
الاقتدار كان ضميره مائلا الى الخمول والاتضاع متمسكا بوصية الله وأمره المطاع
ويكون حاويا العلوم المستحسنة الباهرة ومتمسكا بالحكمة المضيئة الزاهرة
وهو يدعى قله المعرفة والتظاهر بالبلاهة المسرفة راجيا بجميع هذه الاحوال
البلوغ الى حسن المآل ومتذكرا تواضع السيد المسيح وما احتمله من الهوان
والتقبيح وما قرف عليه به من الكلام الردى الصعب وما صار اليه من الشتم
والضرب وهو صابر على تلك الآلام على الاطلاق وفى الاخير شرب الكأس
الكريهة المذاق بعزيمة صادقة وارادة موافقة وأراه كانت فى علمه سابقة من
أجل خلاص البشر وافتكاكهم من الاسر والضرر فما أحسن التواضع للغنى
الكريم وما أقبح التعاظم للفقير اللئيم فينبغى لنا ان نعلم ان الانسان المخلوق
المستعبد المرزوق الذى هو داخل تحت حتم الموت قهرا ومساق فى الحساب الى
الدينونة جبرا اذا كان ملكا على الدنيا وما عليها ومحتويا على الارض وما هو
منسوب اليها ببعدها وقربها وشرقها وغربها فليس من العجب أن يكون طائعا
أو أن يكون سامعا متواضعا لان اتضاعه انما هو لانسان مثله متساوى معه فى هيئته
وشكله يماثله فى العبودية والرقة ويشابهه فى الصورة والخلقة وكل واحد منهما
يحد بالحيوة والنطق والموت وآخر أمره الى ظلمة القبر والفوت وذلك أن تواضعه
خشية من ألم التعاظم الذى به كانت رزية أبينا آدم فاما العجب العظيم المستغرب
الجسيم فهو اتضاع الخالق لمخلوقاته واحتمال الاذى من براياه ومصنوعاته فاذا
قايسنا ما بين اتضاع الخالق الى اتضاع المخلوق وما بين احتمال الرازق الى احتمال
العبد المرزوق كانت الغاية فيه غير مدركة والفكرة فيه لمعتقله ممسوكة
فيجب أن نجهد بغاية جهدنا ونصرف جميع همتنا وجدنا فى تحصيل ما نقتدر
عليه من التواضع والاحتمال من غير تسويف ولا اهمال لعلنا نصل الى اليسير
من الكثير ومن الصنف الكبير الى الصنف الدون الحقير فان العظمة تعمى قلب

ولا أمير ولا كبير ولا صغير ولا شريف ولا دنى ولا فقير ولا غنى لانه ساوى بيننا فى البنوة والايمان والمعمودية والقربان وجعلنا كلنا أعضاء للمسيح ومماثلين الملائكة فى التقديس والتسبيح فينبغى لنا ان لا نفضح نفوسنا بالافتخار بما هو للارضيين والانتساب الى الاباء الجسدانيين مع علمنا بان الاله الكريم الرؤوف الرحيم الذى تسجد له الملائكة المقربون بوقار ورغبة وتمجده الجنود المقدسون بخوف ورهبة نزل من سماء عزته بارادته ورغبته لبس شكلنا وصار انسانا مثلنا ورضى بموت الصليب عنا ونحن الرماد والتراب لا نستحى من التفاخر والاعجاب * فالزم أيها الانسان الصالح نفسك بالاتضاع ولا تخرج عن أمر الله المطاع وغر غيرة صالحة فى كل أمر شريف وتمسك بالحب الممدوح الرفيع المنيف واحذر المقاومة والملاججة والمواقفة والمحاججة والمماراة التى لا منفعة فيها والمماحكة التى لا فائدة لها لئلا تفوتك خيرات الاخرة المعدة للابرار وخيراتها الدائمة الاستمرار من اجل هذه الامور الارضية والمحسوسات الزائلة الدنيئة واقتن الطاعة على الحقيقة تمدح من الله والخليقة * لان الذى اقتنى الطاعة التى ليس فيها عيب ولم يدنسها غش ولا ريب يرضى الكبير والصغير والشريف والحقير ويرتفع بسرعة الى الخير والصلاح وتنتزع عنه علائق المساوى القباح ان امر بشئ اعتمده بلا مجاوبة ولا مخالفة وسارع فى انجازه بغير موافقة ولا مكاشفة وان انتهر لا يغضب وان شتم لا يتعرس ولا يشغب ويكون مستعدا لكل عمل صالح ويعترف بكل غلط فاضح ويشكر الله على ما يأتى اليه من الاوجاع الشديدة وما يصيبه من الاحزان المؤلمة المزيدة ويبتهج بالذى يعنفه بالتوبيخ والوعظ عالما بما له فيه من الخير والصلاح والحظ فيثبت فى المكان الذى دعى اليه مصطبرا على الآلام التى تدهمه فى الحين الذى يكون فيها انقضاء حياته والوقت الذى يدركه فيه منون الموت فى وفاته * فمن كانت هذه المحاسن من سيرته قد استفادها فى خلقه وشيمته كان بريئا من الصلف والاعجاب ومن التفاخر بالعلوم والآداب ويكون راغبا فى الانخفاض والخمول والابتعاد من السعاية والفضول لا ينتصر للهواء الفاسد ولا يرى قهر العدو والحاسد يضبط لسانه عن الكلام فيما لا يحتاج اليه ولا تدعو اليه الضرورة الواردة عليه

يسعى بسيرة التواضع يرفعه الله الى أشرف المواضع ويوفيه حقه من الذخائر
الخفية ويجلله بالانوار البهية المضية ويفيض عليه حلل الاكرام ويسعفه بالجلالة
والاحترام فأما الذى يرفع نفسه بالتعاظم الممقوت فانه يتعالى على صاحب العظمة
والجبروت حينئذ يسقط الى أسفل السافلين كما سقطت من قبله زمرة الشياطين *
فاعلم أيها الانسان الذى قد غمره بالبر والاحسان ان فضيلة التواضع شريفة ودرجتها
عالية منيفة تجلب المرء الى الطاعة وتجذبه الى الزهد والقناعة وبها شرفت نفوس
الصديقين الابرار وارتفعت عقول القديسين الاطهار فاحرص أن تكون لها
طالبا ومتمسكا بأسبابها راغبا فانها عمدة الاولياء وعدة جماعة الاصفياء وينبغى ان
تعرف ان الذى يتواضع لمن يكون أشرف منه فى المنزلة والقدر وله الطول عليه
بالنهى والامر راغبا فى جوده وحسانه وما يستفيده من تطوله وامتنانه فتواضعه
غير محسوب من جملة الفضائل المعروفة ولا هو معدود من المناقب الجليلة الموصوفة
* وذلك ان تواضعه انما هو لاجتذاب الفضائل الدنيوية والتمكن من التصرفات
العالمية * فاما الذى يكون تواضعه مبذولا للكبار والصغار وللعبيد والاحرار من غير
حاجة داعية اليهم ولا ضرورة توجب التعويل عليهم فهذا هو التواضع بالحقيقة
الذى يحسن عند الله والخليقة * لان الذى يتخلق بهذه السيرة الفاضلة وينطوى
على هذه الفضيلة الكاملة من شأنه أن يكون مبتعدا من طلب الرياسات العالمية
ومن المفاخرة بالزخارف الدنيوية كارها للتظاهر بالعلم والحكمة ومعترفا بنقص
المعرفة والرأى والهمة راجيا بذلك ما قد أعده الله للصالحين وما قد وعد به
المتواضعين الصابرين من الخيرات العتيدة والحيوة الخالدة المديدة فكن أيها
الانسان على حذر من التعاظم بجنسك الكريم وافتخارك بالعظم الرميم لان كثيرا
من الناس يتعاظمون على اخوانهم ويفتخرون على جيرانهم وأعوانهم بنسبة آبائهم
وأهليهم وكثرة قناياهم وأموالهم وما قد حظوا به من الرئاسات العالمية والمراتب
العالية السنية وهم لا يعلمون بخروجهم من الواجب وانقلابهم عن الرأى الصائب
وان الذى يفتخر بالنسبة الارضية قد نفى نفسه من النسبة السماوية وذلك ان
نسبتنا جميعا الى واحد فى سموات العلا مجد فى جميع الملأ * ليس عنده فينا مأمور

جسدا واحدا * فقد قيل انهما جميعا يكونان جسدا واحدا فمن اعتصم بربنا فانه يكون معه روحا واحدا أهربوا من الزنا فان كل خطيئة يرتكبها الانسان فهي خارجة عن جسده فاما من يزني فانه يخطئ بجسده أوما تعلمون ان أجسادكم هيكل لروح القدس الحال فيكم الذي قبلتموه من الله ولستم لانفسكم لانكم قد اشتريتم بالثمن الكريم فكونوا الآن مسبحين لله باجسادكم وأرواحكم التي انما هي لله وقال ومن أجل ان لنا هذه المواعيد يا احبائي فلنطهر أنفسنا من جميع نجاسة الروح والجسد ونعمل الطهارة بتقوى الله وقال الانجيل المجيد طوبى للأنقياء القلب فانهم يعاينون الله وقال سمعتم ما قيل للاولين لاتزن وانا أقول لكم من نظر الى امرأة واشتهاها فقد زنى بها في قلبه فاذا نحن حملنا أمورنا على هذا القول الشريف وقبلناه قبولا لايغادر شيئ من التكليف وجب ان تكون أبصارنا مغضوضة واجفاننا مطروفة مغموضة عن النظر الى ما يحركنا الى شهوات ذميمة ويسلك بنا في طرائق غير مستقيمة لعلنا نخلص من موبقات الزنا في القلوب الذي اتانا في الكتاب المكتوب ونلزم العفاف بالسيرة الحسنة الجميلة والصيانة النقية الطاهرة الجليلة راجين مغفرة الذنوب والصفح عن النقائص والعيوب والاعفاء من الدينونة والحساب والاسعاف بالنعيم والثواب بجوده ونعمته وطوله وفضله ومنته له القدرة والسجود والاكرام والتبجيل والاحترام من الآن وكل أوان والى أبد الابدين آمين

(القول التاسع من أجل التواضع والطاعة والهرب من الكبرياء والتعاظم بما يفوق القدرة والاستطاعة)

العظمة لله الذي ليس له مثيل ولا نظير ولا عديل الذي عظمته تفوق جميع الاقدار ويحق له التمجيد على الدوام والاستمرار لانه سبق بالفضل والجود وأخرج الانسان من العدم الى الوجود وأمره بالتواضع والطاعة المشكورة ونهاه عن الخلاف والعظمة المحذورة فلما عصى أمر ربه وخامره الكبر والعظمة في قلبه أسقط من درجته وعرى من نعمته والعظمة من الاسماء المختصة بالخالق فمن تسمى بها أسقط في هوة المآثم المارق وصار الى الشقاء بعد النعيم والظلمة بعد النور المستديم فواجب علينا أن نهرب من التعاظم الذي أسقط الاقوياء ونلزم التواضع الذي أيد الانبياء لان الذي

ذاك الذى يمشى بلا عيب و يعمل البر و يتكلم فى قلبه بالحق ولا يغش بلسانه أحدا ولا يصنع بقريبه سوءا ولا يلتمس لجيرانه عارا * وقال لا تغبط الاشرار ولا تتأس بفاعلى الاثم لانهم مثل العشب يجفون ومثل البقل الاخضر عاجلا يذبلون * وقال سليمان الحكيم كرامة الشيخوخة ليست بكثرة السنين لان الشيخوخة سيرة بغير دنس * وقال طموح الشهوة تغلب العقل المستقيم * وقال احذر الذين سبلهم معوجة وطرقهم معرجة لئلا يجعلوك من طريق الحق المستوية بعيدا ومن العزم المقسط غريبا * وقال المرأة تقتنص نفوس الرجال الكريمة * هل يربط أحد فى حجره نارا ولا تحترق ثيابه أو يمشى أحد على جمر النار ولا تحترق رجلاه هكذا من يدخل على امرأة فلا يكون بريئا من عذاب الاشرار * فليس يستجب ان صيد من قد سرق فان قبض عليه يؤدى سبعة أضعاف ما سرق ويعطى جميع ما يملكه حتى ينجى نفسه وقال ابتعد من الماء الغريب ولا تشرب من عين ليست لك لتحيا زمانا طويلا وتزداد سنين حيوة * وقال من يحفظ طرقه يصون نفسه ومن يشفق على حياته يتحرز على فمه * وقال الشيخوخة اكليل الفخر وانما توجد فى طرق العدل * وقال فم المنافق يبتلع الانصاف والسياط معدة للفسقة المسرفين وقال النجاسة للرجل هى ان يتدنس بالفساد * وقال الكلب الذى يعود الى قيئه يكون ممقوتا كذلك الجاهل برذيلته يعود الى خطيئته * وقال بولس الرسول وكذلك أنتم أيضا عدوا أنفسكم انكم أموات عن الخطيئة وانكم أحياء لله بربنا يسوع المسيح ولا تملكن الخطيئة أجسادكم البتة حتى تبتغوا شهواتها ولا تعدوا أيضا أعضاءكم عدة وسلاحا لاثم الخطيئة بل عدوا أنفسكم كاناس حيوا من الموت ولتكن أعضاؤكم عدة وسلاحا لبر الله وتقوا فان الخطيئة حينئذ لا تتسلط عليكم ولستم تحت سنة الناموس بل تحت النعمة * وقال أما تعلمون انكم هيا كل لله وروح الله حال فيكم ومن يفسد هيكل الله يفسده الله وهيكل الله طاهر وهو أنتم فلا يضلن أحد نفسه ومن ظن فيكم انه حكيم فى هذه الدنيا فليكن عند نفسه جاهلا ليصير حكيما فان حكمة هذه الدنيا جهل عند الله * وقال اوما تعلمون ان اجسادكم أعضاء للمسيح افتعمدون الى عضو المسيح فتجعلوه عضو الزانية معاذ الله أوما تعلمون ان من اقترن بالزانية فقد صار معها

القاطعة وتمتنع منها امتناع المقاطعة فان أنت وصلت الى هذا الحد المحدود بلغت الى الارب والغرض المقصود وحقق الله لك كل آمالك وقبل منك جميع أعمالك كتقدمة القربان الزكى وارتفاع البخور الطيب الزكى * ثم تفهم أيضا انه يصعب على المرء الامساك عن الكبائر اذا لم يكن قد غلب جميع الصغائر وان كل نفس دنسة بالذنوب لا تتمكن من الاقتراب الى علام الغيوب ولا تجاور طوائف الملائكة المقربين ولا تجتمع من نفوس الابرار المقدسين * واعلم ان الابتعاد من نظر النساء من المروة الغزيرة ومقت حديثهن وكلامهن من النخوة الكثيرة فلا تمل بقلبك اليهن ولا تقبل بوجهك عليهن لئلا تسقط فى شباكهن وتصاد باشراكهن وتعيش فيك شهوات قد ماتت وتلهب بنير ان قد انطفأت وفاتت ثم أحذر من النبيذ فانه عار على أهل الصيانه ويخرج المرء من الامانه الى الخيانه ويهيئ له مخالطة الارذال وعشرة السفهاء والانذال ويقوده الى مؤامرة المارقين ويجلسه فى مجالس المنافقين وتحفظ بطاقتك من الادلال فانه يوجب كثرة الاملال والاطراح باهل الفضل والوقار ومقابلة أهل السيادة بالاستصغار ويحسن لفظ الهزل والمزاح والمحادثه بالامثال القباح والمفاوضه فى حديث الفحش والخنا والتظاهر بالفسق والزنا اذا اجتمع العفيف مع النساء للحديث ساقه الحديث الى الفكر الخبيث فتصير بمنزلة الخروف والذئب اذا اجتمعا فى الموضع الرحب * عفة الاجسام الطاهرة النقية أفضل عند الله من الضحايا والقرابين الزكية لان المعونه بالتحفظ والصيانه المقيمه أفضل من الاعمال الجيدة المستقيمه فالذى قد اشتاق بحرارة المحبة أن يكون محبا لعالم الغيب يجب له أن يتحفظ من النقص والعيب ويسير فى عبادته سيرا سليما ويسعى فى رضاه سعيا مستقيما راجيا فى الصعود الى المنازل العالية الشريفة والارتقاء الى المراتب السنية المنيفة والمجاورة بالملائكه الابرار والمماثلة بالصديقين الاطهار لان مجالسة السفهاء تظلم نور العقل وتحيد المرء عن طريق أهل العلم والفضل قال داود النبى جربنى يارب وابلنى وامتحن قلبى وكليتاى فان رحمتك قبالة عينى وقال البار يعلو مثل النخلة وينشو ويطلع مثل أرز لبنان المغروس فى بيت الرب وقال يارب من يسكن فى مسكنك ومن يحل فى طور قدسك

بالنعيم الدائم المقيم ورضى بالهبوط الى قرار الجحيم فان كان ممن يرعوى الى الحق والصلاح و يستدرك فارطه فى الطرائق القباح فهو يرجع الى الله بالتوبة والاستغفار والاعتراف بالذنوب والاوزار مستصرخا مكتئبا خزينا متندما متخضعا رهينا يبذل مجهوده فى الصلاة والصيام والابتهال الى الله فى السجود والقيام يستعين فى أموره بصلوات الكهنة الابرار و يعتمد على أمرهم فى العلانية والاسرار و يجتهد فى عمل الوصايا بما يفوق قدرته معترفا بعجزه واهماله وونيته يحرص فى تطهير ذاته من الدنس وتنظيفها من الاوساخ والنجس و يصرف همته فى حفظها من الاثام واجتناب العوائد الرديئة والاسقام ويلزم الصيانة والعفاف والقناعة والكفاف فالعفة زينة الاولياء والصيانة شرف الانبياء والقناعة غنى الفقراء والمساكين والكفاف نجاة من قتال الشياطين فتقنية العفاف تعطل الخطية وتميت من المرء الشهوات الرديئة وتسهل له الطريق الى التوبة وتعصمه من الجزع فى يوم الاوبة فاحتفظ بما قد اقتنيته من العفة النقية وما قد ادخرته من الصيانة المضية بالتباعد من موبقات الفجور ومن الالتصاق برجس النجس المحذور لئلا تسقط فى هوة الفسوق والزنا وتوثق بحبائل الشقوة والعنا وتصير الى طاعة الشيطان كالعبد المكتوف وممتثلا أوامره كالاسير المرجوف وحينئذ لا يقبل منك ما تسدى من الخير والنعمة ولا ما تؤتى من البر والرحمة مادمت مقيما على شأنك ومستمرا فى رذيلتك وطغيانك لان الطهارة عند الله أساس يبنى عليه وأصل ثابت يرجع اليه فان أفضى بك التميز الصادق والرأى الثاقب الموافق الى الرجوع فى طلب الاستغفار والتمسك بالتوبة على الدوام والاستمرار فاجعل بينك وبين الخطايا مصارمة دائمة وعداوة شديدة الحرب قائمة وحينئذ يأتيك الله بعنايته و يعضدك بمعونته ورعايته و ينقذك من ورطتك وسقطتك و يعيدك الى طقسك ورتبتك و يصفح عن ذنوبك السالفة ثم يسامحك بالخطايا المتكاثفة و يمنحك بعطاياه البالغة و يسعفك بنعمائه السابغة وتكون تعلم ان الانتقال عن العوائد الرديئة من جملة المستصعب العسير لا يقدر عليه الا القليل من الكثير فلا تظن انك تقدر ان تنال الغرض فى أربك وتنجح فى قصدك وطلبك قبل ان ترفض الخطايا بالبغضة

واشتهروا بعمل البراهين والمعجزات فمن لا يقطع من نفسه علائق الخطايا بحسن تدبيره قادته الخطايا من حيث لا يريد الى نكاله وتعزيره فاحرص لقطع الخطية عند نباتها وقلع أصولها قبل تفريعها ونباتها الكى تقوى عليها ما دامت صغيرة لئلا تفرع وتصير شجرة كبيرة فتزهر الرذائل والعيوب وتثمر المعاصى والذنوب فيصعب عندك قطع آثارها ويعسر عليك اقتلاعها ودثارها فقد قيل ان الحقائر تجر الجرائر وان الصغائر تقيم الكبائر فلا تهمل الامر فى خطية صغيرة من حيث هى يسيرة حقيرة قبل ان تكبر وتستطيل عليك وتبعث أوجاعها اليك وتوقعك فى شبكتها وتصيرك ملكتها وحينئذ تكون متعبدا فى أسرها طائعا لنهيها وأمرها ومنقادا الى الاسترخاء فى العمل بالفرائض المفروضة ويوقفك الاهمال عن القيام بالسنن المحفوظة وحينئذ تظهر مناقصك وكثرة عيوبك ولا تكترث بالسابق من ذنوبك فاحذر كل الحذر من الحركات الصغار التى تدب فى قلبك وتظلم النور الذى فى ذهنك ولبك وصن حواسك من النظر والحديث وسماع الكلام المطغى الخبيث فقد قيل ان الكلام الردى يفسد القلوب الصالحة وذلك ان النبات المورق الخضر المزهر المنيع النضر اذا مانزل عليه قطر الجليد أحرقه بقوة برده الشديد وهكذا الذى يتبدل فى المعاشرة الردية ويصغى الى المسامرة الدنية يبيد من ذاته محاسن العفة او الصيانة وينشئ فيها رذائل الرجس والخيانة وينتزح عنها التحفظ من الامور الدنسة ويستقر فيها جميع المعائب السمجة الطفسة فاحفظ ذاتك من الحوادث القبيحة واقلع عن العوائد الردية بالعزيمة الصادقة الصريحة فيحسبك الله فى جماعة الاولياء الاتقياء الابرار وتكون معدودا من جملة الاصفياء الاطهار لان الذى يتوغل فى بحر الفجور يعد ذاته للغرق فى ظلمة العذاب المحذور ولا يستحى بافعاله السيئة ولا يأنف من الرذائل النجسة الردية ولا يخشى على جنسه من الهجو والعار ولا يبالى بما يحصل لذاته من قلة الوقار ولا يمتعض من سقوط منزلته ودرجته ولا ينقرض لهبوط مرتبته ورتبته من أجل ان عقله انطمس بالعمى وقلبه انغمس فى الصدأ فالذى قد انتهى به جهله الى ماهذا حده يجب له البكاء بدموع تجرح خده لانه أخرج ذاته من مماثلة الملائكة المقربين واستعبدها لمردة الشياطين واطرح

مجالس السفهاء المتبهرجين و يضبط لسانه عن ذكر الهزل والهزء والمحادثة بالمزح واللهو لكي يصونه الله من جميع العذاب ويسعفه بجزيل الاجر والثواب و ينبغي له أيضا أن يكون مع ذلك متحليا بالآداب والحكمة مثابرا على فعل الجميل والرحمة يسير بسيرة العلماء و يسلك طرائق الفهماء والحكما لا يطمع نفسه بشئ من الشهوات النجسه و يصرف من قلبه جميع الافكار الدنسة لان الطمع قائد الى الضلال و يخرج العفيف عن طريق الاعتدال فالذي يطلق لنفسه محبة الشهوات فانه يجلب عليها كثرة الاذيات فالحذر من الانصباب الى الهوى الفاضح فانه سلاح للعدو المكافح يريد به اضرارك وأذيتك و يقصد منه سقطاتك ورزيتك فشهوة المرء تعرف من أعماله وتفهم سريرته من قرائن أحواله فغض طرفك عن جميع المستحسنات الارضية وصم اذنك عن سماع المطربات الحسية لكي تقف بين يدى ربك بوجه مسفر الانوار وتطلب منه بدالة دائمة الوقار واحرص بجهدك ان لا تسقط فى مويقات الفجور واحذر منها كما تحذر من نهشة الذئب العقور فانها تحمل المرء على الشهوات السيئة وتحسن عنده فعل القبائح الدنية وتسلب منه الجاه والحرمة وتصرف من وجهه الحياء والحشمة فافقر نفسك منها واصد بوجهك عنها لكي تستغني بالعفاف والوقار والصيانة العالية المنار فأفضل الناس من اعترف بذنوبه ووقف عن مناقصه وعيوبه لان الذي يعف عما لا يقدر عليه و يده قصيرة عن الوصول اليه فليس له فى ذلك مكرمة ولا فضيلة ولا يحسب له فيه محمدة ولا جميلة * وانما العفة الممدوحة المذكورة والصيانة الشريفة العالية المشكورة تصونان المرء عن الشهوات الارضيه وتمسكانه عن جميع اللذات الوقتية مع انبساط يده وقدرته وتمكنه منها باتساع حوطته وتكون عنده بمنزلة الزبل المكروه المحقور والمماثلة بنتن الموتى الذين فى القبور فاحرص ان تحل نفسك برباطات الخطيه فتكون أفضل من الذي يفك الاسارى من رق العبودية وان كانت مواهب الله التي غرسها فيك باقيه على حالها فاخصبها بسيرة جميلة تمنع من زوالها وان كانت قد تغيرت بأجاف الجارب والاهوال فانشئ ما سقط منها بغير توانى واهمال فتكون أفضل من الذين أقاموا جثث الاموات

المثل المكتوب كالب رجع الى قيئه فأكله وخنزيرة تمرغت فى مراغة الحمأة لان الذين قد تنقوا من وسخ العالم بمعرفة ربنا يسوع المسيح اذا رجعوا الى العالم وتخلوا عن واحدة من الفضائل التى اقتنوها يشتبكون فيه أيضا ويغلبون وتصير آخرتهم شرا من أولاهم وكان خيرا لهم ان لم يسعوا فى طريق الحق ويعرفوها ثم يرجعوا الى ورائهم ويتركوها لان الذى قد أدبه الله من أجل خطاياه القديمة وصفح عن ذنوبه وأفعاله الذميمة وجعله أهلا للمغفرة والمسامحة وافرح ملائكة السماء بتوبته الصالحة اذا رجع الى عاداته الردية وسلك فى طرائقه الدنية فقد سبب لنفسه كل عذاب أليم والهبوط الى قرار الجحيم فواجب علينا أن نعلم ان الذى يخطى بالخطا الواضح ويتبهرج بما يفعله بالبيان الفاضح ولا يتوب عن أعماله الردية ولا ينتهى عن أفعاله السيئة ويطلب الرحمة والاستغفار فى أوقات الليل والنهار ولا تصيبه فى الدنيا شدائد مؤلمة قادحة ومصائب محزنة فاضحة ثم تحيطه البلايا المستصعبة ولا تحيد عنه الرزايا المستغربة قبل ان يشرب كأس الموت ويتجرع مرارة الفوت فيمكن أن تكون دينونته شديدة العذاب ومجازاته مستشنعة العقاب فان تذكرت أيها الصالح فعل خطاياك القديمة من غير حزن وندامة مقيمة فاصرفه عنك ما استطعت واغربه عنك ما اقتدرت لئلا يسبب لك أوجاعا قد نسيتها ويجدد فيك ما آثما قد قلتها وشنيتها وتمسك بما قد اقتنيته من الرجاء بعد توبتك وما قد وعدت به من النعيم عند أوبتك لكى تهرب منك صور السيئات القديمة وتنصرف عنك خيالات المعاصى الاليمة فالخطايا تسبى رزانة العقول لان الشر عند فاعله محبوب بكثرة القبول وذلك ان الخطيئة فى بدايتها تعطى حلاوة ولذة للفاعل فاذا تمت أظهرت المرارة بالسم القاتل الخطيئة تستحسن فى بدايتها كطراوة الزهر فاذا تمت أظهرت اليبس بالحزن والقهر فينبغى لنا أن نتبصر ونعلم ونتيقظ ونفهم ان الذى قد قصد نحو العفة والصيانة وأخذ نفسه بشروط العدالة والامانة يجب عليه أن يكون عفيفا عن الغريب كمثل عفته عن القريب وأن يكون كلاهما عنده بمنزلة واحدة وحرمة أكيدة مؤكدة وان تكون الاعداء والحسدة والاندادوالظلمة والمعاندين والاضداد بسيرة أخوته واخواته ومماثلين بحماته وخالاته ويتحفظ من عشرة الانذال المقبحين ويبتعد من

مجلس

نعيمها ولذاتها فيخرج عن حدود الوصية وينقلب سعيك الى الخطيئة لان الذى قد ألف الطلاح وخالف النجاح والفلاح اذا تذكر ما أعده الله للمتقين ووعد به جملة المصطفين من المكافأة والجزاء والنعيم المذخور فى السماء يجهد نفسه فى الاعمال الصالحة بغير كسل وينهك جسمه بالتعب الدائم بلا ملل لعلمه بأنه ماثت وتراب لان التراب يعود الى التراب ويعرض فى الدينونة للحساب اما راحة واما عذاب فاحذر من اهمال التوبة قبل ورود الموت والغفلة عن ذنوبك قبل ادراك الفوت فان الموت كاس دائرة على الشريف والدنى والفقير والغنى لا يستطيع ردها ولا يخمد وقدها فما أشد حربها وأحمى كربها وأشنع قربها وأمر مذاقها وشر بها الموت هو الرسول الذى لا يؤخر قدومه والمرتهم الشديد لزومه والغريم الذى لا يندفع والقابض الذى لا يرتفع فطوبى للذين أحسنوا الى نفوسهم قبل وصوله وأرضوا ربهم قبل حلوله لكى تصعد نفوسهم باصوات التهليل وتماثل الملائكة فى الحان التمجيد والترتيل والويل ثم الويل للذين لم يستعدوا قبل وروده عليهم ولم يتقوا ربهم قبل وصوله اليهم ثم صرفوا أعمارهم فى مواصلة الذنوب وأنفقوا أيامهم فى الخطايا والعيوب بغير توبة مرضية ولا رجعة نيرة مضية وغفلوا عن نفوسهم حتى أدركتهم ساعة الموت القاتل وشملهم بغتة القضاء الفاصل فمن الممكن انهم يحرمون لذات النعيم وربما أهبطت نفوسهم الى قرار الجحيم لانهم ماثلوا الجانين وصاروا اخوانا للشياطين فيجب علينا أن نتحرز من أفعالهم ونلزم الهرب من الويل الذى اغتالهم لئلا نتشبه بهم وبمماثلهم ثم نصرف همتنا فيما ينبغى به تحصيل الطوبى والمساواة باهل الديانة والتقوى ونفكر فى الموت الذى نزل بمن كان قبلنا ونفيق من الغفلة قبل نزوله بنا ونتحقق انه لابد لنا من الوقوف امام الديان بالخوف والفزع والرهبة والرعدة والجزع وجميع أعمالنا ظاهرة لنا امامه ومكشوفة للعيان قدامه لانها عنده محفوظة مفهومة وبين يديه معروفة معلومة أولها وآخرها وباطنها وظاهرها لا تخفى عليه خافية من كثيرها ولا يتغطى عنه مكتومة من صغائرها ولا نكون بمنزلة الذين قد تابوا وانتهوا عن خطاياهم ثم انهم تغافلوا عن خلاص نفوسهم يعمى قلوبهم وقلة بصيرتهم ونسوا ما كانوا فيه من الذنوب وتم فيهم قول

عنه العجب والتعاظم وتكون آلاته محفوظة من الملامسة ومبتعدة من الالتصاق والملابسة فاذا انضبطت له هذه الحواس على حكم واقد وصفناه وملكها بمقتضى ماقررناه وجب عليه أن يجد فى ثباتها بالصلاة والصيام والسهر البليغ والقيام فاذا استقامت أموره فى هذا النظام وجرت أحواله على هذا المرام بالدوام صارت العفة ممسوكة فى قبضته والصيانة من أنصاره ونجدته * فينبغى لك أيها الانسان الذى قد غمره الاحسان وقصد نحو العفة والصيانة والانفلات من حبائل الرجس والخيانة أن تحفظ ذاتك من الشهوات الرديئة لان الشهوة اذا حبلت أنتجت أسباب الخطية فان حركت عليك الافكار خطية صغيرة غير مؤلمة فاحذرها وتيقظ لها واقتلعها من قلبك ولا تحتقرها من غير توانى ولا اهمال ولا مغالطة ولا اغفال لئلا تجذب اليك الرزايا الممزوجة بالسم القاتل وتبتليك بالخطايا التى تسرع بالموت الفاصل فان الخطايا الصغائر يدن الكبائر وقد قيل ان أول الشهوة حلاوة وآخرها مرارة فاحذر أن تطغيك شهوات العالم لئلا ترهق فى شباك العدو والظالم وذلك أن السلوك فى هذه الدنيا ينقسم الى طريقين كل واحدة منهما تضاد الاخرى مضادة ظاهرة لان احداهما بهجة فرجة كثيرة الرحب والسعة طيبة السعى والدعة والاخرى كربة ضيقة مظلمة خشنة وجه مؤلمة فالطريق الرحبة الفرجة هى التى تؤدى الى الشهوات العالمية واللذات البهيمية التى يتولد منها محبة الاكل والشرب والتمتع بالمباضعة والغلبة ونصرة الهوى والافتخار والعظمة والغضب والحسد والحقد والظلم ونظائر ذلك وهى الطريق التى تسخط الله وترضى الشياطين والراغبون الى السلوك فيها كثيرون * وأما الطريق الكربة الوعرة الضيقة المظلمة فهى التى تؤدى الى الشقاء والتعب فى هذه الدنيا من أجل نعيم الآخرة وحيوة الابد * وهى التى يتولد منها كثرة الصلوة والصيام والسجود والقيام والنسك والوداعة والعفة والقناعة والصيانة والعصمة والرأفة والرحمة والصفح والاحتمال والجلد فى القتال والصبر على الآلام والشكر لله على ذلك بالدوام وهى التى ترضى الله وتخزى الشياطين والراغبون الى السلوك فيها قليلون جدا فاحرص بجهدك أن لا يكون سعيك لما يختص بأمور هذه الدنيا وشهواتها وماهو منسوب الى

ما أتانا فى الكتب المقدسة المطهرة المبرورة وذلك أن المحبة تسوق الى العمل بجميع الوصايا وأسباب الرحمة تنقذ من جميع الذنوب والخطايا وتجعل المخلوق يتشبه باعمال خالقه ويقال له رحوم كاسم محييه ورازقه فنسأل الله ان يلهمنا الرشد الى طاعته ويعصمنا من الضلال برحمته ورأفته له المجد والعظمة من الآن وكل أوان والى الابد آمين

(القول الثامن فى العفة والصيانة والتباعد من الفجور والخيانة)

الذى يجب على طالب العفة الممدوحة المشكورة التى لا يشوبها شئ من الشوائب المكروهة المحذورة القيام بجميع شروطها الباهرة والاجتهاد فى تحصيل مناقبها النقية الطاهرة وقطع الاسباب التى تأتى بملائق الفجور والنجس وتجذب المرء الى طريق الرجس والدنس لان الذى يروم الصيانة الحميدة الطريقة قبل ان يقيد حواسه بالقيود الضيقة الوثيقة يكون بمنزلة انسان يروم أن يطير مع النسور فى جو السماء ويجاوز السباحات فى قرار الماء وذلك ان الذى يريد ان يضبط الحواس الخمس وهى البصر والسمع والشم والذوق واللمس يجب له ان يغض بصره عن نظر النسوان ومن التبحر فى وجوه الاحداث المردان لاسيما الذين يكون لهم سمعة قبيحة وأعراضهم مثلومة جريحة ويحذر من مخالطتهم لا بالكلام ولا باشارة فى السلام ثم يميل بسمعه عن استماع الالحان المطربة الشجية من أصوات الاغانى والملاهى الردية لئلا تتوطن أصواتهم فى سمعه وقلبه وتتكرر ألحانهم ونغماتهم بذهنه ولبه ثم يمتنع من شم الروائح الطيبة الذكية التى تقوى حركة المرء بالشهوات السيئة ثم يقتصر فى طعامه على البلغة اليسيرة من الاصناف الدنيئة الحقيرة فى أوقات معلومة بقوانين مفهومة لا خلاف ما تحلله طبيعته وما يمسك به رمقه وقوته ثم يفر من الذوق للشراب المسكر من غير علة فى المرض المخطر فيكون استعماله منه على حكم المنفعة والدواء لا على سبيل اللذة والتنعم لان الاكثار منه يكثر القبائح ويضاعف الفجور والفضائح ويثير على المرء حركات الشغب ويحكم عليه قوة الغضب ويحسن عنده ارتكاب الفواحش الشنيعة والتظاهر بالمعاصى الذميمة الفظيعة ويقلل بهجته وحرمته ويكثر رذيلته وصمته ثم يتجنب المفاخرة باللباس الناعم الذى يسبب

الرأفة والرحمة والسهولة وتواضع الهمة واللين والاناة وليحتمل بعضكم بعضا
ويغفر بعضكم لبعض وان كان لاحد على صاحبه غيظ فكما غفر لكم المسيح كذلك
فاغفروا أنتم أيضا والزموا مع هذه الاشياء كلها المحبة فانها وثاق الكمال وسلام
المسيح يزيد فى قلوبكم وقال وانما غاية وصية التوراة الحب الذى يكون من قلب نقى
ونية صالحة ومن ايمان صحيح وقال وليبق فيكم حب الاخوة ولا تنسوا محبة الغرباء
فان بهذه الاشياء استأهل أناس ان يضيفوا الملائكة وهم لا يشعرون اذكروا
الاسرى المحبوسين كانكم معهم مأسورين واذكروا المتضايقين كانكم أنتم للجسد
لابسين * وقال بطرس الرسول وقبل كل شئ فليكن لكم مودة صادقة بعضكم
لبعض فان المودة تغطى كثرة الخطايا أحبوا الغرباء بغير تبرم * وقال يوحنا الرسول من
زعم انه فى النور ويبغض أخاه فانه بعد فى الظلمة فأما الذى يحب أخاه فانه ثابت فى
النور لا شك فيه وأما الذى يبغض أخاه فانه ثابت فى الظلمة وفى الظلمة يسلك ولا
يدرى أين يسلك من أجل ان الظلمة قد أعمت عينيه وقال ينبغى لنا ان نسلم أنفسنا
عن اخوتنا ومن كان له فى هذا العالم مال ورأى أخاه محتاجا فحبس رحمته عنه فكيف
يمكن أن تكون محبة الله ثابتة فيه أيها الاخوة لا تكون محبتنا بعضنا لبعض كلاما
باللسان فقط بل بالعمل والصدق وبهذا نعلم انا من الحق وقال الانجيل المجيد طوبى
للرحماء فانهم يرحمون وقال سمعتم ما قيل حب قريبك وأبغض عدوك وأنا أقول
لكم أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلوا على
من يطردكم ويحزنكم لكيما تكونوا بنى أبيكم الذى فى السموات لانه المشرق
شمسه على الاخيار والاشرار والممطر على الصديقين والظالمين وقال انظروا
لا تصنعوا امراحكم قدام الناس لكى يروكم فليس لكم أجر عند أبيكم الذى
فى السموات واذا صنعت رحمة فلا تضرب قدامك بالبوق ولا تصنع كما تصنع المراؤن
فى المجامع وفى الاسواق لكى يمجدوا من الناس الحق أقول لكم لقد أخذوا أجرهم
وقال من أسقى أحد هؤلاء الصغار كاس ماء بارد فقط باسم تلميذ الحق أقول لكم
ان أجره لا يضيع فينبغى لنا ان نتيقظ على نفوسنا من الاهمال ونجد فى عمل
الفرائض من غير امهال فنقدم المحبة والرحمة على بقية السنن المشهورة بمقتضى

ولا الخليقة الاخرى تقدران تقطعنى من حب الله بربنا يسوع المسيح * وقال أرغب اليكم يا أخوة برحمة الله التى بها انتخبتم ان تقدموا أجسادكم لله ذبيحة حية مقدسة مقبولة لله بخدمة ناطقة ترضيه ولا تتشبهوا بأهل الدنيا بل خالفوهم بتجديد آرائكم وكونوا عارفين بمحبة الله محبة مقبولة كاملة * وقال وكما ان لنا فى الجسد الواحد أعضاء كثيرة وليس عمل تلك الاعضاء كلها واحدا كذلك نحن أيضا الكثير عددنا انما نحن جسد واحد بالمسيح وكل واحد منا عضو للآخر ولكن لنا مواهب مختلفة على قدر النعمة التى وهبت لنا فمنا من قسمت له النبوة بقدر ايمانه ومنا من أوتى جهادا فى خدمته ومنا عالم ينتفع بتعليمه ومنا معز ينتفع بتعزيته ومنا جواد يعطى بانبساط ومنا من يقوم فى الرياسة باجتهاد ومنا رحيم بسفارة روحه فلا يكون فى حبكم غدر ولا مكر بل كونوا للشر مبغضين وبالخيرات معتصمين كونوا الاخوتكم محبين وبعضكم لبعض وادين كونوا الى اكرام بعضكم بعض مبادرين كونوا مجتهدين لا متكاسلين * وقال لكن كما هو مكتوب انه لم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه وأما نحن فقد أعلن الله لنا ذلك بروحه والروح يعرف كل شئ * وقال فأنا أيضا أريكم أى السبيل أفضل لو انى أنطق بجميع ألسنة الناس والملائكة ثم لا يكون فى من المحبة شئ فانما أنا بمنزلة النحاس الذى يطن أو بمنزلة الصنج الذى يصوت فيسمع صوته وان حلت على النبوة حتى أعرف السرائر والعلم كله ولو صار فى جميع الايمان حتى أزيل الجبل من موضعه ولم تكن فى محبة فلست بشئ ولو انى أطعم المساكين كل شئ لى وأبذل جسدى لحريق النار ولم تكن فى مودة فلست أربح شيئا لان صاحب المودة سهل ذو أناة طيب الجانب صاحب المودة لا يحسد صاحب المودة لا يشاغب ولا يزهو ولا يتعاطى المجازى ولا يطلب ما ليس له ولا يهم بالشر ولا يفرح بالاثم ولكنه يفرح بالحق ويصبر على جميع الاشياء ويصدق بجميع ما يقال له المحب لا يسقط أبدا * وقال فأما أنتم للحرية دعيتم يا أخوتى وخاصة الا تكون حريتكم شهوة الجسد بل تكون محبتكم ان يخضع بعضكم لبعض بالمحبة لان جميع سنة التوراة تكمل بكلمة واحدة ان تحب قريبك مثل ما تريد لنفسك وقال البسوا كاصفياء الله أيها الاطهار الاحباء

ويعمره ويطيب فى الارض ذكره والى الاعداء لا يسلمه وقال الرجل الذى يترحم ويسعف ويميز كلامه بالحق لا يحول الى الابد وقال ظمئت اليك نفسى كالارض العطشانة * وقال سليمان الحكيم انصاف الله فى أبراره وتعهده يكون فى مختاريه وقال الامانات والصدقات لا تنقص من عندك تقلدها حول عينيك واكتبها على لوح صدرك فتجد نعمة امام الرب والناس وقال لا تمنع ان تعمل مع الفقير احسانا مادام فى يدك شئ تعين به ولا تقل عد الى راجعا فاعطيك غدا ويمكنك الآن تعمل معروفا فانك لا تدرى ماذا تكون نتيجة اليوم المقبل وقال الانسان الرحوم بنفسه لعمل الخير ومن لا رحمة فيه يقتل جسمه وقال من بعض الصديقين يشرق نوره وقال الصديق يترأف على أنفس بهائمه وجوانح أحشاء المنافق لا رحمة فيها * وقال أنفس الغواش تضل فى الخطايا والصديقون يترأفون ويرحمون وقال من يسب الفقير يخطى ومن يرحم المسكين يطوب * وقال من يقرف فقيرا يغيظ من خلقه ومن يكرم الخالق يرحم المسكين * وقال عطية الانسان توسع جاده وتجلسه مع المقتدرين وقال من يرحم مسكينا يقرض الله ويكافئه على قدر عطيته * وقال الصدقة ثمرة الانسان ومسكين مقسط أفضل من غنى كذوب وقال شيآن عند الله مرضيان ان يعمل الانسان أعمالا مقسطة وان تصدق وهما أفضل من دماء الذبائح * وقال من يسد أذنيه لئلا يسمع المسقومين فذاك يستغيث فلا يجد من يسمعه * الهدية الخفية تحل دواعى الغيظ ومن يشفق على الهدايا ينهض غيظا شديدا * وقال ضحايا المنافقين رذالة عند الرب لانهم يقربونها برأى حائد عن الشريعة * وقال من يرحم المسكين ذلك يغاث لانه أعطى المسكين من أعماله * وقال الرب يحب القلوب البارة وجميع الذين لا عيب فيهم مقبولون عنده * وقال من يعطى المساكين لا يحتاج الى أحد ومن يرد نظره عنهم سيكون فى ضيقة عظيمة * وقال بولس الرسول فمن الذى يقدر ان يصدنى من حب المسيح أضر أم حبس أم طرد أم جوع أم عرى أم مقاومة أم سيف كما هو مكتوب انا نقتل من أجلك كل يوم وحسبنا كالحملان للذبح وبهذه كلها نحن غالبون فائزون بالذى أحبنا وانى لواثق انه لا الموت ولا الحيوة ولا الملائكة ولا المسلطون ولا القوات ولا هذه الاشياء القائمة ولا المزمعة ولا العلو ولا العمق

وتمتحن برلاتهم لان الذى يجود على الخطاة برحمته لا يدين أحدا منهم لا بفعله ولا بقوله ولا بفكرته واعلم ان الرحوم بالحقيقة يكون صابرا على ما يأتى عليه من ظلم الخليقة فالمحبة رأس الوصايا وبدايتها والرحمة تمامها ونهايتها فعلامة الخير غفران ذنوب الظالمين وعلامة الشر الشماتة بالاعداء المناصبين لان الذى يشمت بعدوه يكون فقيرا من الرحمة والذى يصفح عن ظالمه يكون غنيا بالنعمة ان عزمت أن تمنح محتاجا يسترزق ربه فاسبق اليه بالاكرام الذى تجربه قلبه وأنعشه بعزاء يكسبه موهبة الصبر والقناعة والشكر لله على أوامره المطاعة وحينئذ تقبل عطيتك بالفرح والسرور لما أوليته من اللطافة والبشر والحبور * فالعابد الناسك الذى نفسه من الرحمة مقفرة يشبه شجرة قائمة غير مثمرة المحبة رتبتها شريفة ودرجتها عالية منيفة وذلك ان الذين أفرطوا فى محبة الله افراطا صادقا وعملوا الوصايا كلها عملا مؤكدا موافقا حملتهم تلك المحبة على احتمال العذاب الشديد والصبر على العقاب المؤلم المزيد حتى انهم بذلوا دماءهم للاهراق بالحيف وذاقوا صريعة الموت بحد السيف ولم يرجعوا عن محبته وما يرضيه ولا انثنوا عما يقربه اليهم ويدنيه مستبشرين بحيوة الابد والخلود فى النعيم الدائم الامد فالذى قد وفى الله حقه بحب متواتر ولم يشغله عن حبه شئ آخر يجب عليها كمال الوصية فى محبة الناس بالسوية ومساواتهم بنفسه فى المحبة المحكمة والمودة المؤكدة المبرمة فحينئذ يلتزم رحمة المساكين واسعاف الضعفاء والمنقطعين ثم يبتعد من محبة الدنيا وكراماتها ومن نعيمها ولذاتها ويصد نفسه عن الاشتياق الى طلب الرياسة ونيل المراتب الشريفة العالية النفاسة فاذا ما أكمل هذه الفضائل خلص من العظمة الجامعة للرذائل وطهرت نفسه من كل نجس ونقيت من كل عيب ودنس * قلة التحنن والرحمة تخبر بعدالمرء عن النعمة وانه لا يتمسك بمحبة ربه وان الخشوع لا يسكن فى قلبه * قال داود النبى أحبك يا رب قوتى * وقال حبوا الرب يا جميع أصفيائه فان الرب يبتغى الحق ويكافئ المتكبرين بفعلهم تشتد قلوبكم وتقوى أيها المتوكلون على الرب وقال الذين يتوكلون على الرب فالرحمة تحيطهم افرحوا أيها الصديقون وأنعموا بالرب وافتخروا يا جميع مستقيمى القلوب وقال طوبى لمن يتعطف على المسكين والفقير الرب ينجيه من اليوم السوء الرب يحفظه

بعظم همته وما قد وصلت اليه طاقته وقدرته يجب له ان يزرى بما قد بذله من المعروف ويحتقر ما يسمح به من الاحسان المألوف ولو كان فى أعلا الغاية وأشرف ما يكون من النهاية ويجود بما يمكنه من المال والجاه والرأفة وما يقتدر عليه من العزا والسلوان واللطافة من غير منة على الخالق والمخلوق أو تقليد جميله للرازق والمرزوق فان القلب القاسى تكثر أوجاعه ولقلة رحمته يفسد نظامه وأوضاعه فارحم ترحم وتواضع تعظم وابذل المحبة يجللك الله وتكرم واسعف الضعفاء والمحتاجين وعز قلوب الغرباء والمساكين لكى يسبغ الله عليك مواهب نعمته ويفتح لديك أبواب رأفته ورحمته وكن فى عطيتك على قدر استطاعتك وما تقتضيه قدرتك وطاقتك من غير سرف ولا تقتير ولا تقديم ولا تأخير بل على الاستواء المعروف والتقسيط المألوف وقد يجب علينا أن تكون محبة بعضنا لبعض بقانون مستقيم واخلاص ثابت دائم مقيم لا يشوبها شئ من الرياء والملق ولا يغادرها مماجة المين والمذق لان من المحبة ما يسوق الى الشهوات الرديئة والاشتياق الى اللذات السيئة والتظاهر بالفواحش القبيحة والاكثار من العار والخزى والفضيحة لان محبة الغرباء والمساكين ترفع العقل الى مواطن السماويين ورحمة الفقراء والمنقطعين تقرب المرء الى رب العالمين فازرع الخير واخصبه بالسعة لكيما تحصد الرحمة فى يوم الساعة المفزعة فكل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع من بسط يده اليك فلا تصد بوجهك عنه ومن طلب رفدك فلا تمسك عطيتك عنه ان كان مؤمنا أو كافرا أو نجسا أو طاهرا فاننا جميعنا متساوون فى الانسانية ومشتركون فى الاعمار والارزاق والحظوظ بالسوية لا تميز الاخيار من الاشرار ولا الابذال من الابرار لان أمور هذه الدنيا زائلة ولذاتها مضمحلة متلاشية فانية * ومن الاشرار من يضل عن الخير بغيرفهم فاذا استعلن الحق رجع على يقين وعلم ولهذا وجب أن يكون الرفد للصالحين والطالحين بالسواء على مقتضى التقسيط والعدل والاستواء * من جعل اهتمامه بالفقراء دائما قد اتخذ الله له مدبرا ومحسنا وراحما من تصدق فى محبة الله بماله لا يخيب الله حسن نيته وآماله من أفقر نفسه بالصدقات المبرورة كانت كنوزه فى السماء فائضة من الخيرات المعدة المشكورة أكثر المودة للخطاة وابتعد من جناياتهم لئلا تسقط سقطاتهم

وتمحن

الاناة وعظه باللطف وقصر العنان حينئذ يوقيك الله من شر ما وقع فيه من الذنوب
وينقذك من الغرق فى لجج المآثم والعيوب واحذر من العظمة عليه وايصال
تقبيحك اليه لانك ان عيرته ووبخته وفضحته وبخته ستسقط فى سقطته مماثلا
وتتورط بمثل ورطته معاجلا وذلك انك لم تذكر معائبك وسقطاتك وكثرة مناقصك
وزلاتك ولم تفتكر فى امهال الله عليك بما قد جنيته وما قد قدمت عليه من الذنوب
واحتويته ورأفته بك عند توبتك وصفحه عن معصيتك وعثرتك فقدم الشكر لله
بلافتور من غير نقص ولا قصور على خلاص نفسك من المناصب الردية وسلامة ذاتك
من الحبائل المصلية لان نفوسنا انما جبلت من أجل التقديس والتسبيح والتمجيد
الدائم المديح والنفس التى تحب بارئها ما تفتر من ذكره ولا تمل من حمده وشكره
بشهوة ثابتة قوية ورغبة دائمة مضية فقد وجب عليك ان ترحم الساقطين
وتتراءف على المنكسرين العاطلين لكى يرحمك الله برحمته الواسعة ويفيض عليك
ملابس المنن المتتابعة ويقيلك من عثراتك ويصفح عن ذنوبك وسيئاتك لان الذى
لا يرحم لا يرحم وفى أيام الخصب والرخاء يجوع ويحرم لان البارئ جل اسمه
وتعالى ذكره ورسمه لما عصينا أوامره المطاعة وخالفنا وصيته الذائعة المشاعة وصرنا فى
أسر الشياطين وحسبنا من المصابين تحنن علينا برحمته وخلصنا بعصمته وجاد علينا
بلطفه ورأفته ونعمته واشترانا بدم ابنه الوحيد وخولنا رجاء القيامة فى النعيم الدائم
المزيد وما من حب أعظم من هذه المحبة المحكمة وما من ود أفضل من هذه المودة
المبرمة فيحق له علينا بالعدل الواجب والانصاف المحقق الثاقب أن نبذل فى
محبته غاية جدنا ونصرف فى عمل وصاياه نهاية قدرتنا وجهدنا بصبر لا ينخرم وعزم
لا ينهزم راجين ما هو معد من الفرح الذى لا يزول ولا يفنى والنعيم الذى لا يحول
ولا يبلى وقد سبق فى ايضاحنا ان محبة الغرباء من الفرائض الواجبة والاحسان
اليهم من الاداب الموافقة المساقبة قد قصدنا نحو فضيلة المحبة الروحانية
والايثار بالمودة الطوبانية يجب له ان يتلقى من يجده بالفرح والسرور واظهار
ما يقتدر عليه من البشاشة والبشر والحبور فان بذلك تتألف القلوب بالوداد
المتأكد وتنشرح الصدور بالابتهاج المتجدد وأما الذى قد قصدنا نحو فضيلة الرحمة

الانفس وما يحتفى فى الصدور راضيا بتدبيره على اختلاف أنواعه وشاكرا له على ترتيب نظامه واوضاعه راجيا منه كثرة الخير والصلاح والوصول به الى رتبة الرشد والنجاح فاحسن أيها الصالح الى الغرباء بطاقتك واشملهم برفدك وعنايتك فيستجيب الله لك فى صلاتك ويزيد فى حسناتك فان الذى يرحم الناس يسبل الله رحمته عليه ويوآجره ويوصل ثوابه اليه وذلك انه ان رأى انسانا جاهلا ولكل فساد عاملا قد تعبد لكل خطية مرذولة ورفض كل وصية مقبولة لا يبكته ولا يؤنبه ولا يوبخه ولا يؤدبه بل يرحمه ويستره ويحزن من أجله ويعذره ثم يقربه اليه وبدنيه ولا يبغضه ولا يقصيه بل يبغض الخطية التى أسقطته والرزية التى استعبدته ويسأل الله فى اقباله وعودته وانهاضه الى رجعته وتوبته واعلموا ان المحبة الروحانية لها شروط معروفة وقوانين واضحة مكشوفة فالذى قد ملك المحبة بالحقيقة يرى انه عبد لجميع الخليقة فيكرم من يحزنه ويشتمه ويوادد من يضطهده ويظلمه ويحرص فى ايثار الاعداء والاضداد ويحتمل جور المعاندين والانداد معترفا بانه لم يصل الى بعض مكافأتهم وقصر قدرته عن مجازاتهم لكونهم أوصلوه الى بغيته وقربوه الى سروره وغبطته وصيروه من أهل الطوبى التى مدح بها المشتومون ووارثا للنعمة التى أعدت للمظلومين من أجل اسم الله الكريم وحبه المفرط الجسيم فالذى قد وصل الى هذه الدرجة فى المحبة المبذولة وصار الى فضيلة المودة الخالصة المقبولة التى لا يشوبها شئ من الشهوات الدنيه ولا يشينها عرض من الاهوية الرديئة يكون قد تجاوز الحد فيما أتى فى الناموس والانبياء وفاق بعزمه مقاصد المرسلين والاصفياء لان الذى قد اقتنى فضيلة صالحة وله من الله عطية راجحة يكون مع ذلك متوجعا على المفتقرين مما وصل اليه وحزينا على تأخيرهم عما حصل عليه يضاعف الله له مناقب فضيلته ويسعفه بالزيادة فى عطيته فيكون مغتبطا بالحبور ومبتهجا بالفرح والسرور فاما الذى لا يتوجع من أجل المحتاجين ولا يحزن على الفقراء المعوزين تستحيل فضيلته ويرفع الله منه عطيته لاجل قلة رحمته وقساوة قلبه على أخوته ويكون معدودا فى جملة الخطاة ومحسوبا فى طائفة الاثمة العصاة فان رأيت ان صاحبك قد سقط فى الخطايا وأحاطت به لجج الذنوب والرزايا فأيقظه بالرفق وطول

لكن أقلهم يفعل ذلك لرضى رب العالمين فمن قال انه يحب ربه بغير الجهد والعمل فان ودّه باطل ومذهوب الى الزال فاما الذى يحب ربه بعمل الوصايا الواجبة فقد صدق فى مودة باريه الصائبة فعلامة الحب المرتفع الصالح مغفرة الظلم والجور القادح واخلاص المرء فى العقيدة والدين والتمسك بصحة النية واليقين لان الامراض المؤلمة السيئة والمصائب القادحة الردية والاضطهاد الشديد العنيف والطرد المرعب المرجف المخيف لا يغير محبة الله من قلبه ولا يخرجها عن عقله وذهنه ولبه بالشكر المتصل الاستمرار فى ممر أوقات الليل والنهار والتسبيح الذى لا يشوبه التوانى والاهمال ولا ينتقصه التسويف والاملال فى حالتى الشدة والرخاء والنعيم والشقاء فيجب علينا أن نتحفظ من الاهتمام بالامور العالمية ونستزرى بنعيم اللذات الوقتية فى محبة الذى محبته واجبة علينا وافضاله متواصلة الينا ونتأمل قوله فى الانجيل المقدس المكرم الجليل جئت لالقى نارا على الارض وما أريد الا اضطرامها أى انه يلقى نار محبته فى قلوبنا ويريد اشتعالها فى نفوسنا ونحن نطفئها بماء التوانى والاهمال وانسياء العقل بالجهل والضلال والارتباط بالدنيا وخدائعها والانصباب الى لهوها وودائعها فاما الذى قد أجهد نفسه فى محبة خالقه وأوسع الامل فى نعيم رازقه فانه يزهد الدنيا زهدا كاملا ويرفض نعيمها رفضا متواصلا و يبذل نفسه عن الاخيار والاشرار على الدوام والاستمرار يبكى مع الباكين وينوح مع النائحين ان رأى فقيرا أسعفه بما تصل اليه قدرته و يظهر له محبته ورحمته ويتوجع له و يسليه و يصبره و يعزيه وان رأى مظلوما مستشطا مهزوما ولا يكون له قدرة على فكه من الظلم الذى يؤول الى اهلاكه وكان جاهه عن ذلك قصيرا ونفسه من الحزن تكاد ان تطير فهو يحرص فى تخفيف همومه و يجتهد فى تمحيص غمومه و يسليه بما أعده الله له من الخيرات والثواب وما يحوق بظالمه من الشر والعذاب فالذى قد انتهت به المحبة الى هذه المنزلة الشريفة وأوصلته الى درجة الرتبة العالية المنيفة لا تزعزعه عنها تراوف الاهوال الاضطرارية ولا تحيد عنها حوادث اللذات الاختيارية فيكون قابلا لجميع النوائب ومستعدا لقطيعات المكاره والمصائب متيقنا بان علم الله سابق بمكتومات الامور وخبأته

ما يساوى الكثير بالثمن النزر اليسير قاصدين السعة فى أحوالهم والغبطة ببلوغ آمالهم ومضاعفة الفائدة والربح فى تجارة أموالهم فان رغبت الى هذا الامر فانه بين يديك وسريع الانقياد اليك اشترالاصناف السمائية العالية باليسير من الارضيات الفانية اشترماهو دائم الوجود بما هو فان ومفقود اشترالمرتبة الشريفة العلياباالحقير من حطام هذه الدنيا الذى لاينفع فى ساعة الموت ولا يصون من خشية الفوت كن امينا على اليسير يجعلك الله امينا على الكثير كما وعدان الذى يسقى من أجله كاس ماء باردفان أجره لايضيع فما أسعدنا اذانحن سمعنا طائعين وأجبنا أعدائنا مجملين فان فضيلة الحب عالية عظيمة وعواقبها محمودة مشكورة سليمة واذا كنا عارفين بشرف المحبة وجلالة قدرها وحميد عاقبتها وارتفاع فخرها فواجب علينا ان لانقدم على محبة الله محبة شئ من المخلوقات ولانماثلها بمحبة شئ من المنظورات لماله علينا من النعم السابغة وما يسعفنا به من المنن البالغة ومانرجيه من رحمته فى مغفرة ذنوبنا ومن الاقالة من عثراتنا وعيوبنا وما نتيقنه من مجاورته فى الملكوت والتنعم فى العيش الدائم الثبوت واثقين بان محبته تحرق من قلوبنا زرع الاعداء المعاندين وتطهر نفوسنا من طغيان المردة المضادين وتشرق عقولنا بالانوار المضيئة وتثبت حياتنا فى الاعمال المرضية فاجهد نفسك أيها الطالب على اقتناء المودة الصادقة وانطوعليها بنية غير مازقة فى طاعة الذى يضاعف لك الخيرات الجزيلة ويمنحك بالرتبة العالية الجليلة ويخولك النعيم الذى لايبيد ويدخلك الى الفرح الدائم المديد من أجل اقبالك على طاعة أمره ومجازاة لاقرارك بحمده وشكره لان النار لايدوم وقودها فى وسط البحر والذى يحب الله لايثبت فى قلبه شرائد الدهر لاتعتق العبيد من ارادة أربابها ولاتقتن الفضائل قبل محبة أسبابها فالذى يحب الله يفرح بقوله دائما ويعمل وصاياه مماشيا وقاعدا وقائما ويثبت فى قلبه كلام حكمته ويجتهد فى طاعته بطاقته وقدرته فامازمرة المنافقين وطائفة المعاندين المارقين لايصغون الى كلام الحق الواضح ولايعملون بشئ من الفعل المفيد الصالح ولهذا انتزعت منهم الحكمة وأبعدوا من النعمة والرحمة فالذى يطلب منا حسن النية لاكثرة العطية فان كثيرين يتصدقون على المساكين

الاغنياء الذين القوا كثيرا ولم ينقصها قلة ما القته وان كان حقيرا الان قرابين الله قلوب خاشعة نقية ونيات مخلصة زكية فان كنت تعلم انك محتاج الى رحمة من الاهك الرحيم فاقبل ما امرت به فى أنجيله الكريم من مواساة الفقراء المقترين واسعاف المرضى والمتضايقين لتكون طلبتك الرحمة من الله بوجه مسفر اضياء وادلال بغير الحياء فتعطى أملك وسؤال قلبك وتكون وارثا مع المسيح ربك فى ملكوت السموات ونعيم الخيرات كما قد سبق به قوله الكريم ووعده الثابت المقيم تعالوا الى يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم لانى جعت فاطعمتمونى وعطشت فسقيتمونى وغريبا كنت فآويتمونى وعريانا فكسوتمونى ومريضا فعدتمونى ومحبوسا فاتيتم الى وكان يعنى بهذا القول الصريح اعلان الشكر والمديح للذين اتخذوا الرحمة سلاحا وجعلوها للمحتاجين رفدا مباحا فواجب علينا ان نجاهد بالاعمال الصالحة ونسير فى السيرة الالهية الناجحة باصطناع الرحمة والمعروف ونعهد الضعفاء بالاحسان المألوف لكى نكون فى جملة الممدوحين ونصير الى زمرة المشكورين ونشرف نفوسنا بالطوبى من الاله الخالق كما قال فى انجيله المجيد الصادق طوبا للرحماء فانهم يرحمون والمراد بهذا ان نحرق ما قد أحبطناه وان نمزق المكتوب بما قد اجترمناه بما نسلفه للضعفاء والمنكسرين وما نواسى به الفقراء والمعوزين اما بمالنا واما بجاهنا واما بقوة اجسادنا وان نكون لفعل الخير مستعدين ولصنع المعروف متعهدين فنحظى بالسمائيات عوض الارضيات ونفخ بالباقيات بدل الفانيات لان الاعمال الصالحة مغرقة أوضاعها وكثيرة أجناسها وانواعها والمحبة والرحمة يسودان عليها جميعها ولهما الشرف على عاليها ورفيعها فعجل أيها الصالح بسرعة سعيك وكدك وأظهر ما فى طاقتك وجهدك فى تحصيل الفضائل العالية المراتب والمحاسن الشريفة المناقب ببذلك ما يفنى ويموت والذى يبلى ويفوت لكيما تشارك الابرار فى النعيم الذى لا يفنى ولا يبيد والفرح الدائم المزيد هذا ان شئت ان تشارك الابرار وتخاصص القديسين الاطهار فى أرث ملكوت السموات والذخائر المكرمات ومجاورة النفس ببارئها واتصالها بمبدئها ومنشيها فتشبه بارباب الخبرة من التجار المترددين فى الاسفار وقد جالوا فى القرى والامصار وكونهم يرغبون فى شراء

حو يناه ولا يفيدنا ما اكتسبناه وذلك ان جسم الانسان فيه أعضاء كثيرة العدد ظاهرة وباطنة وقد سبق فى علمنا بالتجربة والمباشرة انها اذا كانت جميعها صحيحة برية من كل داء وسقم سوى عضو واحد اختص بالم فان ألمه يسرى الى الجسم جميعه وتتألم منه جميع الاعضاء هكذا نحن اذا مقتنا انسانا واحدا من الخليقة نكون عند الله بمنزلة من أبغض الناس كلهم فنحرم الطوبى والدعوة بالبنين من أجل قوله فى الانجيل طوبى لفاعلى السلام فانهم ابناء الله يدعون فاذا كان أهل المحبة والصلح والسلام يدعون أبناء الله فالذين هم أهل البغض والعداوة والعطب يدعون أبناء الشيطان فاعلم أيها الانسان الصالح ان الذى فيه حب الله يكون قادرا على كل شئ بقوة الله لانه لا يفرح بسقطة أحد ولا يعير عاصيا ولا يدين خاطيا ولا يتغافل عمن يراه فى شدة بل يتساوى معه فيما هو فيه حتى الموت ويكون القريب والغريب عنده فى ذلك بالسواء لان المحبة تطرد عنه كل الخوف والاذية وتقوى قلبه فى عمل الصالحات المضيه * وتكون طرقه جميعها نيرة المسالك بعيدة من المخاوف والمهالك وأما الذى قد رفض الحب والمسالمة وصار خليفة للبغض والمصارمة فان سعيه يكون أبدا فى الظلام وطرقه شديدة الخوف والقتام * فاحذر ان يلم بك الحسد فانه داء يمرض النفس والجسد وذلك ان الانسان الحسود المداخل الحقود نفسه ابدا حزينة منكظمة وقوة بدنه ناقصة متهزمة مما يحمله فى قلبه من العداوة الوافرة لاهل الدنيا وأهل الآخرة وذلك انه ان رأى انسانا ذا مال بغضه واشتهى فقره وان أبصر انسانا ذا جاه مقته وتمنى خوله وان رأى انسانا مستقيما فى عبادة باريه أشتهى سقوطه يحزنه سرور الفرحين ويفرحه حزن المضطهدين يكره الصلح والسلامة ويود للخلق الجور والظلامة ففر من الحسد ما استطعت وابتعد عنه ما اقتدرت وأحذر ان تمسك ما فى يدك عن المساكين وفرج كرب المتضايقين على ما تسعه همتك وما تصل اليه قدرتك فان كثير الاغنياء المؤسرين وقليل الفقراء المعسرين متساوى الصعود عند الاله المعبود لانه ربما فضل القليل الذى تأتى به الفقراء الاصاغر على الكبير الذى يرد من جهة الاغنياء الاكابر وتأمل ما مدحت به الارملة التى من جملة المساكين على الفلسين اللذين ألقتهما فى خزانة القربين وما نالها من الشرف على

عليهم بمقتضى الطبع الغريزى المركب فيهم وليس لهم فى هذا فضيلة ولا احسان
وانما المحبة الفاضلة والمودة الكاملة التى هى أم الفضائل كلها هى التى يكسبها
الانسان بالرياضة والاجتهاد فى عمل الوصايا الى ان تصير الناس كلهم عنده بمعنى
واحد ومنزلة واحدة فى المحبة بالسواء ويعود نفسه الاشفاق على كل أحد حتى على
الحيوان الفاقد النطق ولا يوصل الى شئ منها أذية لاجل محبة الله الذى هو خالقها
ومدبرها لان الذى يحب الله على الحقيقة يحب أعماله وصنعته ولا يقارن لمحبته
أحدا سواه ومتى وصل المرء الى هذه الدرجة فى محبة باريه انتهت به فى محبة خليقته
الى غاية ما يكون من الحب الذى لا يحول والافراط فى الوداد الذى لا يزول ويهون
عليه بذل نفسه فى شدائدهم الى حد الموت القاتل ونهاية القضاء الفاضل بشهوة
سالمة من العيب ورغبة لا يشوبها شئ من الريب من أجل ان محبة الله فينا أجل
وأعظم ورحمته لنا أعز وأكرم الذى فدانا بدم ابنه الوحيد وخلصنا من الاسر
العنيف الشديد واختصنا بدعوة الابناء وصيرنا وارثين معه فى ملكوت السماء
وجعل مع كل واحد منا ملكا يحفظه فى الليل والنهار ويشاهد أعماله فى العلانية
والاسرار فيعينه على أعمال الوصايا ويصده عن فعل الذنوب والخطايا فمن أجل
ما حظينا به من الفضل المتضاعف والاحسان المتعاطف والود المتصل المترادف
الذى به صرنا ندعى بدعوة البنين ونماثل الملائكة المقربين ونقول فى أوقات
صلواتنا وأحيان خضوعنا وطلباتنا من غير خجل ولا استحيا ولا توقف ولا ارتياء
ابانا الذى فى السموات حينئذ قد وجب علينا بموجب الحق المعروف وقضية العدل
المألوف ان نأخذ نفوسنا بما اشترطه علينا من محبة البشر بنيات خالصة من الغش
والكدر الصغير والكبير والصالح والطالح والعدو والحبيب والغريب
والقريب ونصفح عن ذنوبهم الينا ولا نذكر جورهم علينا طاعة للذى يسترعينا
ويغفر خطايانا وذنوبنا ثم نعلم علما يقينا بتمييز صادق ونظر غير مين ولا ماذق اننا اذا
ما أحببنا كافة البشر وصنعنا معهم ما يمكن من الخير المشتهر وعاملناهم بالصلح
والسلامة والمودة الدائمة الاقامة حتى لا يبقى منهم انسان واحد منافق مجدف معاند
وتكون نفوسنا تمقته وتبغضه وقلوبنا تشنأه وتدحضه وترفضه فلم ننتفع بما قد

ودعا كالحمام أحذروا من الناس فانهم يسلمونكم الى المحافل وفى مجامعهم يضربونكم ويقدمونكم الى الملوك والولاة من أجل شهادة لكم وللامم * وقال وتكونون مبغضين من الكل من أجل اسمى والذى يصبر الى المنتهى يخلص فمن أجل هذه الطوبى وهذا الانذار يجب ان نفترض الصبر بغير الاعذار ونحقق القول الذى قدمناه بالفعل الحسن الذى قررناه بنيات لا تشوبها الظنون الفاسدة ولا تحرفها الاوهام الباطلة المعاندة ونخاص فى الثبات والاحتمال ونرفض الكرامات المختصة بدار الضلال فان التمسك بها خطر والثقة بنعيمها غدر فلله الضراعة والسؤال ان يلهمنا الصبر والاحتمال ويوفقنا لما يقربه منا ويدنيه ويعصمنا مما يبعده عنا ويقصيه له المجد من الآن وكل أوان والى أبد الآبدين آمين

(القول السابع فى المحبة البليغة المؤكدة والرحمة المحكمة الثابتة المؤبدة)

المفهوم الذى لا يحتاج الى فكرة والمعلوم الذى يفوق كل روية وعبرة ان المحبة أعظم الوصايا وأساسا ثابتا فى غفران الخطايا وذلك ان الناموسى الذى سأل الرب بمكر ليجربه وقال له يا معلم أيما أعظم الوصايا فى الناموس فقال له السيد تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هى الوصية الاولى العظيمة * والثانية التى تشبهها ان تحب قريبك مثل نفسك فى هاتين الوصيتين سائر الناموس والانبياء معلقون فاراد بهذا القول ان يبين لنا ان الذى يحوى هاتين الوصيتين على الحقيقة قد حاز جميع الفضايل وذلك ان الذى يحب الله لا يتعبد لشئ آخر سواه وتلك المحبة المحكمة تضطره الى الاجتهاد فى اكمال الوصايا بعزم ثابت من أجل محبة الذى أمر بها فيرحم المساكين ويشبع الجياع ويكسوا العراة ويأوى الغرباء على قدر الامكان ثم يعزى المضطهدين ويشاركهم فى أحزانهم ويزور المعتقلين ويفتقد المرضى ويعين المتعبين ويتودد لجميع الناس بالمحبة الصالحة الخالصة من العيب ولا يسئ الى أحد منهم بشئ محسوب فى جملة الرذائل بل يصبر على ما يأتى عليه من اضرارهم بابتهاج ويبذل نفسه عنهم ابتغاء لاكمال الوصايا فى محبة الله لان الناس كلهم يحبون أولادهم وأخوتهم ويحنون

مجدا عظيما لا غاية له الى أبد الابد وقال فمن ثم أيها الاخوة اثبتوا واصبروا على الوصايا التى تعلمتم من كلامنا ومن رسائلنا * وقال فلا تضجروا ولا ترتابوا بل كونوا منقادين بأولئك الذين بايمانهم وأناتهم صاروا ورثة للموعد فان ابراهيم اذ وعده الله اذ لم يكن شئ أعظم منه يقسم به أقسم الله بنفسه * وقال انى مباركك تبريكا ومكثرك تكثيرا فصبر ابرهيم على رجائه وقبل موعد ربه * وقال أيها الابن لا تغفل عن أدب الرب ولا تضعف نفسك متى قومك فان من أحبه الرب أدبه ويعذر الابناء الذين يرتضيهم * فاصبروا الآن على التأديب فان الله انما يصنع بكم كما يصنع بالبنين أى ابن لا يؤدبه أبوه فان أنتم لم تكونوا مؤدبين بالادب الذى يؤدب به كل أحد صرتم غرباء لا أبناء وان كان آباؤنا الجسديون كانوا يؤدبوننا فنستحى منهم فكم بالحرى أيضا يحق علينا أن نخضع لابى الارواح ونحيا لان أولئك الآباء لزمن يسير كانوا يؤدبوننا كما يشاؤن وانما تأديب الله ايانا لصلاحنا حتى نشترك فى الطهارة * وقال يعقوب الرسول أيها الاخوة كونوا على غاية من السرور اذا ما وقعتم فى التجارب والبلوى فقد علمتم ان محبة الايمان تكسبكم الصبر وليكن للصبر عمل تام لتكونوا كاملين مهرة ولا تكونوا ناقصين فى أمر من الامور * وقال طوبى للرجل الذى يصبر للبلوى لانه اذا كان صبورا على البلوى أخذ تاج الحيوة الذى وعد به الرب محبيه فلا يقولن أحد اذا ابتلى ان الله أبلانى لان الله لا يمتحن أحدا بالسيئات ولا يبتليه بل كل انسان انما يبتلى بشهوته وينجذب اليها ويتجر واذا حبلت الشهوة ولدت الخطية والخطية اذا كملت نسلت الموت * وقال بطرس الرسول فان نعمة الله لمثل هؤلاء الذين من أجل هواهم الصالح يحتملون المشقات التى تصيبهم ظلما فان كان انما تصيبكم المشقة من أجل خطاياكم فتصبرون فاى حمد لكم لكن اذا صنعتم الحسنات وشقت عليكم فتصبرون حينئذ تتوفر عليكم النعمة من الله فانكم لهذا دعيتم * وقال الانجيل المجيد طوبى للمطرودين من أجل البر فان لهم ملكوت السموات طوباكم اذا طردوكم وعيروكم وقالوا فيكم كل كلمة شر كذبة من أجلى افرحوا وتهللوا فان أجركم عظيم فى السموات لان هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم وقال هوذا أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب كونوا حكما كالحيات

وانشرحت صدورهم بالبهجة والحبور عند ما وصلت المصائب المجحفة اليهم وتواردت النوائب المشرفة عليهم وذلك انهم تحققوا ان الله راض باعمالهم وان افتقاده بالتجارب صلاح لاحوالهم وانه لولم يهم فى أدبهم لكانوا عادمين البلوغ الى أربهم والوصول الى النعيم الفائق والورود من المنهل العذب الرائق وكان أمرهم يجرى عنده مجرى البهائم والدواب الذين لا يرجون نعيما ولا خشية من العذاب * قال داود النبي الفقير لا ينساه الرب صبر ذوى المسكنة لا يضيع الى الابد وقال بالصبر رجوت الرب نظر الى وسمع تضرعى وقال اللهم انك جربتنا وبلوتنا كما تختبر الفضة حين جعلتنا فى الضيقة تركت الشدائد على ظهورنا رفعت الناس على رؤوسنا أجزتنا فى الحرق والغرق وأخرجتنا الى الراحة * وقال مرارا أريتنى شدائدا وأحزانا كثيرة ثم تعطفت على وأحييتنى ومن قعر الارض أصعدتنى * وقال أنت الرحمان حافظ الاطفال أذللتنى ثم خلصتنى وعادت نفسى الى الراحة * وقال أدبا أدبنى الرب والى الموت لم يسلمنى يفتح لى أبواب البر لادخلها وأشكر الرب وقال أحزان وشدائد لحقتنى فكانت وصاياك قراءتى وقال اللهم اختبر واعرف قلبى وابلونى وأعرف سبلى وانظر ان كنت على سبيل الزور اهدنى الى سبيل الابد * وقال سليمان الحكيم لا تصغر نفسك من أدب الرب ولا تضجر اذا وبخك فان الرب يؤدب من يحبه * وقال المتوكل على الرب مغبوط والتفكر فى المعاد عين الحيوة لمن يقتنيه وقال الانسان الطويل الروح جزيل الحظ فى فطنة العقل والصغير النفس جاهل قوى وقال الرجل المتمهل حازم العقل * وقال العاجزون يصرعهم الخوف ونفوس البطالين جائعة * وقال الجبانة تمسك البطال المسترخى ونفس من لا يعمل شيئا تجوع * وقال الانسان الصبور يتكلم محفوظا والرجل المنافق ينتصب بوجه لا تجعل فيه * وقال اذا رأيت انسانا يتكلم فى أقواله عجولا فاعلم أن الجاهل له رجاء أكثر منه * وقال استماع انتهار الحكيم أفضل من استماع غناء الجاهل * وقال لا تسارع أن تغضب بروحك فان الغضب فى حضن الجاهل يستريح * وقال بولس الرسول من أجل هذا لا نمل ولا نضجر لانه وان كان بشرنا هذا الظاهر يفسد فان الباطن يتجدد يوما بعد يوم وضيق هذا العالم وان كان يسيرا قليلا فانه يعدلنا

فحينئذ تذعن نفسك الى حسن الانضاع وتقوى متنك على تكميل الامر المطاع
واعلم أن لايمكن أن تقتنى فضيلة من غير تعب ولا تنال موهبة بغير طلب لان البلايا
معادن للخيرات الجزيلة وكنوز فائضة بالمكرمات الجليلة فاستعدلها بقوتك
وطاقتك وتأهب لورودها فوق استطاعتك فينقذك الله من الغرور والندامة
ويوصلك الى مينا الامن والسلامة واعلم أن الذى يصبر على حوادث المكاره
والاحزان أفضل من الذى يرد أمما كثيرة الى الايمان فلاتدع الشجاعة
قبل الثبات فى الحرب ولاتظن بنفسك الصبر قبل احتمال الطعن والضرب فان
كنت ثابتا فى القتال وكثير الصبر والاحتمال فلاتتكل على صبرك وقوتك
لئلا يتخلى حافظك عن معونتك لكى تعرف ضعف بشريتك ووهن قوى
طبيعتك بل اقصد الله فى صلواتك وتضرع اليه فى طلباتك بأن يعينك فى جميع
حركاتك المرضية ويعضدك برحمته فى مقاصدك المضية وحينئذ يشملك بعنايته
ويرفدك بمعونته ورعايته فتصير حاملا بالوصايا من غير خيفة من الرزايا لان قوة
الله قد عضدتك وعنايته قد شملتك ورفدتك فانه لايمكن ان تقاوم الشدائد
باستطاعة من غير صبر وثبات وشجاعة فان الموت مع الحق ديانة والحيوة فى الباطل
خيانة وموت الانسان فى محبة الخالق أفضل من حيوة المعاند المنافق فاظهر
لعدوك صبرك فى الصغائر لئلا يبتليك بالامور الكبائر واعلم أن الذى يحتمل من
أجل الله حزنا يسيرا يكون افضل من الذى لايحزن ويعمل الخير كثيرا وذلك ان
الله يسر بالانسان الذى يفرح بحلول الشدائد مع الزمان لان الوصايا لاتعمل بغير
ضيق واضطهاد والفضائل لاتكمل بغير كد واجتهاد وبحسب مايكلفه الانسان
بنفسه من التعب والضيق يضاعف الله ثوابه فى كل نحو وطريق وذلك ان الانسان
لايصبر على الاحزان والهموم حتى يحقق انها تقربه الى الخالق الرحوم وان بها
تكون الحيوة الابدية والغبطة الدائمة السرمدية ويجب أن نعلم ان التجارب اذا لم
تقابل بالصبر الجميل فعذابها يتضاعف بالحزن الطويل لان الابرار الذين امتحنوا
بالتجارب المؤلمة المقمعة واضطهدوا بالمكاره المضرة الموجعة لكيما تخصب
حسناتهم وتزداد فضائلهم وأدواتهم استبشرت نفوسهم بالفرح والسرور

الشريفة العالية الفاضلة هى أن تعمل خيرا وتجازى على فعله شرا وتكون راضيا بهذا الامر ومستعينا بالاناة والصبر وحينئذ تكمل الفضيلة وتستحق الاكرام والمواهب الجليلة وان ضنكت من انسان بالمذلة المجحفة والهوان فاصبر كصبر الشهداء فيوقيك الله كيد الاعداء ويصير خلقك مثل خلق شاهد وعزمك كعزم مرابط مجاهد لان البار اذا امتحن بالتجارب ينبغى له الصبر على قتال المحارب متوكلا على رحمة الاله الرحوم على رجاء العيش الفاقد الهموم متمسكا بقول النبى أجزتنا فى الحرق والغرق وأنجوتنا الى الراحة اى أن الابرار الذين يحربون بقتال الشياطين يجوزون فى نار حروبهم الشديدة ويتوغلون فى بحار مناضلاتهم المزيدة فيستفيدون معرفة الثبات والاقدام والصبر الى حد الموت الزوآم بتمييز صادق وافراز غير ماذق لكى يبلغوا الى نعيم الخيرات العتيدة ومواطن الحيوة الدائمة المديدة * فمن الواجب ان تتعلم وتتبصر وتتفهم ان جميع المكاره والاحزان اذا ترادفت بالورود على الانسان من حيث أن لا يكون له فى حلولها سبب ولا كان له من أجلها علة ولا نسب وكان لها فى محبة الله قابلا وصابرا وعلى آلامه مجدا وحامدا وشاكرا سهلت له طريق الخيرات الى الفرح الدائم والاغتباط بالسرور والنعيم الملائم * فما أحسن الصبر للمرء اذا دعت الحاجة اليه وما أقبح القلق اذا وردت المضار عليه فالصبر يورث الثبات والشجاعة وبه يستطاع العمل بالاوامر المطاعة فاصبر اذا ما صدمتك التجارب واثبت اذا نازلك العدو والمواثب فالصبر على المكاره عند الحاجة من مكارم الاخلاق والثبات للشدائد فى وقت المضائقة من الفضائل النيرة الاشراق لان الصبر يحمل المرء لاجل الحق ان يقدم على الموت ولا يرهب ولا يخشى من مرارة الفوت ولهذا وعد الله الصابرين بأجزل الثواب والاعفاء من الدينونة فى يوم الحساب فاصبر بالثبات والشجاعة وأكثر الحلم والاناة والوداعة اذا ما أتت اليك التجارب والمصائب واذا ما وردت عليك المكاره والنوائب لان فضيلة الذى يقبل البلايا بالفرح والاصطبار أعلى من فضيلة الذى يجهد نفسه فى أعمال الحسنات على الاستمرار وتذكر صبر الشهداء الذين احتملوا شدة العذاب والحيف وذاقوا صريمة الموت بحد السيف فتجد أعمالك ناقصة وعيوبك بين يديك شاخصة

والحذر أن تنظر الى من هو أعلا منك فى الحظ والقدر ومن له الشرف عليك بالنهى والامر لان الذى يحيج قلبه الى الكبرياء والمباهاة تظفر به شياطين النفاق والمخاصرة ويشعلون فى قلبه نار التعاظم الممقوت ويوقفونه عن الشكر لاله العظمة والجبروت ويقلبون رأيه الى جهة التسخط والتذمر والمجاهرة بالقنوط والتكفر فيصير مماثلا للملحدين ومحدودا فى طائفة الجاحدين واعلم ان الاناة فى جميع الامور نافعة وفضيلتها ممدوحة ذائعة فالذى قد ملكها بسعة صدره لا يلتهب بالغضب ولا تقلقه موبقات التعب ولا يتزعزع من الكلام المحال ولا تحزنه مكائد الكذب البطال ولا يزعج من الوعظ القادح ولا تروعه سماجة التوبيخ الفاضح ان ظلم صبر وان شتم شكر لا يتعربس فيما يأتى عليه من الاضطرار ولا يستنشط فى مصاعبه بقلة الاصطبار بل يثبت فى قتال الشياطين بلا ضجر ولا قلق ولا هزيمة ولا فرق يشكر الله فى جميع الاحوال من غير توانى ولا اهمال * فاما الذى قد استولت عليه ضيقة الاخلاق فان القلق يستعبده باستحقاق ويبتعد منه الجميل وينصرف عنه الثبات والتأنى الجزيل فيكون سريع الغضب مبادرا بالشجب يتجمل الى الانقلاب والى السقطات والعطب لا يقبل عذرا ولا يكتم سرا ولا يصبر على كلمة من أخيه ولا يملك لسانه عن مشاجرة أبيه متهيئا لكل شر قادح لا يتأمل ما يقوله من الكلام الفاضح فيجب على كل انسان يروم التمسك بالصلاح والتزوح عن الطرائق القباح أن يجتهد غاية جهده بحزمه وعزمه وجده فى اقتبال التأنى والاحتمال والصبر البليغ الحائز لكمال الذى جميع الفضائل مفتقرة اليه ومحتاجة الى الورود عليه كما قد تقدم به كلامنا وسبق بمعناه ايضاحنا لان الذى ليس له صبر مستقر لا يكون له رجاء مستمر ولا ينجح فى أعماله ولا يبلغ مقصدا من مقاصده وآماله فينبغى لكل مؤمن أن يكون اهتمامه لما دعيت نفسه اليه وأن يكون قائما بجميع الوصايا المفروضة عليه متدرعا بالصبر فى كل أمر يصيبه وشاكرا لله على المكاره التى تنوبه ويحسن الى من ظلمه وهو قادر على الانتقام ويبذل له المحبة المفرطة الدائمة المقام مواصلا الطلبات عن ذنوب ظالمه والصفح عن معصياته وجرائمه قاصدا بذلك الاجر مع الصابرين والثواب المعد للصالحين * واعلم أيها الصالح ان الفضيلة الكاملة

الانسان الذى قد مازجه البر والاحسان ان الصالح الزاهد العابد المجاهد والطالح
المارد المنافق المعاند قد ابتليا بلاء واحد وتساويا فى الحزن بأمر نافذ فاعلم ان
المخاطى يؤدب على خطيته والصديق يزداد زيادة فى فضيلته فان حدثت لك
التجارب المجحفة وآلمتك شوائبها المسرفة اما على سبيل التأديب والتهذيب واما
على جهة الزيادة فى الاكرام والتقريب فانق أمورك الى الرب واثبت لها بشجاعة
القلب واصبر على أهوالها بالجلد والحزم واستعن على مرجفاتها بقوة الجاش
والعزم فقد سبق فى ذهنك وعلمك وانتهى الى فطنتك وفهمك ان أمور هذا العالم
لا تجرى على نظام مستقر وان جميع أحواله لا تدوم على سير مستمر لا فى شدة ولا فى
رخاء ولا فى نعيم ولا فى شقاء واذا اعتبرت لهذه الامور اعتبارا صحيحا وقست قياسا
صادقا صريحا وجدتها كالبحر الزاخر الجاج الهايج بهدير الامواج فتارة يكون
فى هدو بسكون ارتجاجه وتارة تهيجه العواصف باصطكاك أمواجه فما يكون
له ثبات على السكون والوقوف ولا يكون له ضبط عن ملاطمة الجروف وهكذا
تجرى أحوال الناس فى هذه الدار الشديدة الخطر المعروفة بالضلال والغرر فبينما
يكون المرء مغتبطا بالسرور ومشغوفا بالابتهاج والحبور وهو من كل خير يغترف
ويكتسب فتأتيه المكاره من حيث لا يحتسب فتوسع فى نفسه الخوف والجزع وتوقع فى
قلبه الرجيف والهلع وتجلب عليه الاوجاع المؤلمة وتقرب اليه التجارب المستحكمة فلا
نغتر اذا أقبلت الدنيا الينا ولا نثق اذا اتسعت خيراتها علينا ولا نغتبط ان جادت
بالنعيم وأسعفتنا بالسعى المستقيم لان خيرها يسير وعيشها قصير ولذاتها فانية
واتعابها باقية فيجب لنا ان لا نترجى دوام شئ من خيراتها ولا نتمسك بثبات
لذة من لذاتها بل نكون متوقعين سرعة الغيار وما يأتى من حوادث
الليل والنهار ونوطن هذا فى أفهامنا وقلوبنا ونجعله دائما مستمرا نصب عيوننا
بيقين صادق واخلاص غير مازق فينبغى لك أيها الانسان أن تكون محتملا صبورا
وفى كل الاحوال حامدا شكورا وتعتصم بعناية الله كالعدة والعمدة فى زمن
الرخاء وأوقات الشدة ثم انظر الى من هو دونك فى الدرجة والمرتبة والى من تفوقه فى
المنزلة والموهبة لكى يتضاعف لله حمدك وشكرك وتزداد فى احسانك وبرك

والحذر

ومجبرا ومخضعا فاما الذى يصبر على التجارب فى سبيل الله وطاعته فقد أفلح فى ايمانه وعبادته لان العبادة الخالصة لا يمكن أن تكون بغير كد ولا تصح لطالبها بغير جد لانها تمتحن بالشدائد وتجرب بالاضطهاد المتزايد * فيجب علينا ان نشكر الله على ما يأتى علينا من المصائب ونوفيه حق حمده على ما يحدث من التجارب والنوائب التى لا تكون باهو يتنا الردية ولا باغراض نفوسنا الاثيمة الشقية مثل القحط والغلا والفنا والوبا والتعطل والخسران والتصرف بالحرمان والامراض المختلفة أنواعها والاحزان المستبعد انقلاعها والشتات من الاوطان والديار ومجاورة الانذال والاشرار ومفارقة الاهل والاقارب واتساع الاضرار من كل جانب فان حذونا على هذا المثال فنحن نصل الى بلوغ الآمال وتكون نفوسنا مشرقة بالبهجة والجمال نازحة عن أهل الاثم والضلال لان الله اللطيف بعباده المحسن فى تدبيره ونفاذه انما يجلب هذه التجارب من أجل منفعتنا وتأديبنا والاهتمام باصلاحنا وتهذيبنا الان كلما يأتى منه منسوب الى الخير والصلاح وناهى عن الخصال الممقوتة القباح فتكون لنا كالدواء الشافى والشراب النافع المعافى فكما ان الطبيب الحكيم العارف المتدرب الملاطف متى رأى مرض المرء شديدا وألمه يتضاعف ويزيد جعل دواءه على الاطلاق بالعقاقير المرة المذاق لكى تدفع عنه العفونات الكامنة المستقرة ويستفرغ منه الاخلاط المستحكمة المضرة قاصدا بذلك التخلص من المرض المدنف والسلامة من السقم الجائر المسرف والمريض موافقه على استعمال تلك الادوية التى يستصعب شربها بتجرع غصصها ومرارتها وكربها ثم يواصله مع ذلك بالعطايا الراجحة ويمنحه بما يقتدر عليه من الهدايا الصالحة ويضاعف له الشكر الوافر والثناء الجزيل المتواتر من أجل الرجاء بالراحة من التعب والسلامة من علائق العطب وهكذا يجب أن يكون حذونا وفعلنا وما تجرى به عادتنا ورسمنا اذا ما جربنا بالحوادث المحظورة والآفات المستغربة المنكورة ان نقبلها بالابتهاج والسرور والاصطبار المحمود المشكور ونبتهل الى الله بالشكر الدائم والتسبيح الموافق الملائم على افتقاده لنا بالادوية التى تنقذنا من الخطايا والذنوب والشراب التى تبعدنا موبقات الرذائل والعيوب وتهدينا الى طريق الصواب وتصوننا عن مواطن العذاب فان رأيت أيها

ولا تجزع ولا تضطرب واذكر النعيم المعد فى الملكوت والاتصال بصاحب القدرة والجبروت واعتصم بكثرة الغنى المذخور فى الكنوز السمائية ولا تسترخ بامور هذه الدنيا الدنية واسمع ما قاله الاب باسيليوس القديس العالم الفاضل النفيس انما يسقط بالاحزان كل نفس ذليله وقليلة الثقة بالله فكما ان السوس لا يقوى الاعلى اللين من الخشب كذلك الاحزان لا تقوى الا على المسترخين من الناس فان تمسكت بهذا القول أضئت مصابيح نفسك واشتعلت أنوار الروح فى عقلك وحسك واستنار قلبك بما قد احتويته من التعليم الحسن الذى قد اقتنيته فلا يعدل بنا القلق والجزع والخوف الشديد والفزع عن طريق الاصطبار والثبات عند حلول البلايا والآفات لان الرب الرؤف برعيته المتحنن على عبيده وخليقته لا يقاصص الخطاة المجرمين ولا يبتلى أحدا من العصاة المارقين بما يضره فى الحالة الحاضرة لكن يؤدبه بما ينفعه فى أمور الآخرة ويشفيه من الامراض المخفية والظاهرة ويعفيه من الآلام المضرة القاهرة التى لم يعرفها أحد ما عداه ولا يشفيها طبيب سواه لكى يعيده الى حال الصحة والسلامة بالتوبة الدائمة الاقامة لانه لا يهوى موت الخاطئ بلا رجعة ولا أوبة ولا يسر بانقضاء أجله من غير اعتراف ولا توبة فاما الشدائد التى تصيب القديسين الابرار والاولياء المؤيدين الاطهار الذين لا يدنسهم نقص ولا عيب ولا يداخلهم شك ولا ريب فليست لهم على حكم المداواة ولا على سبيل القصاص والمجازاة لكن على حكم الزيادة فى حسناتهم واظهار مناقبهم وأدواتهم ويتضح للناس صبرهم وأناتهم وجلدهم واحتمالهم وثباتهم فى محبة بارئهم وخالقهم ومحبيهم ورازقهم ومواظبتهم على الشكر الجزيل على حدوث ما آتاهم من الحزن الطويل لكى نقتفى آثارهم الحميدة وننتفع بمقاصدهم النيرة السديدة حتى يكونوا أنموذجا بسيرتهم الفاضلة وقدوة بطرائقهم المضيئة الكاملة لسالكين فى طريق أيوب الصديق فى بلاه الشديد المضيق الذى انتفعت به نفسه وأفاد القوم الذين تبعوا بره وقدسه فالصديق يعتصم فى شدائده بقوة الله العالية وأما المنافق يزل بكثرة المال وزيادة الرجال المعروفين بالقتال والمحاربة ومن البين المعروف المفهوم المألوف ان الذى لا يصبر لامر الله طائعا فهو يصبره مضطهدا ومكرها

نجزع من الطرد والاضطهاد ولا نكره القتل بالظلم والعناد راضين بذلك من أجل
الطاعة والاخلاص وما فرضه الله على العامة والخواص معتقدين فى الذى يظلمنا
ويهيئنا ويجور علينا ويشيننا انه حبيب وصديق وطبيب محسن شفيق وهو يسقينا
الادوية النافعة ويشفينا من الامراض الدائمة المتتابعة أو معلم يهدينا الى الطريق
الحميدة ويرشدنا الى سبيل المقاصد الشديدة التى سلكتها جماعة الصالحين وأوصلتهم
الى الاتصال برب العالمين فالذى قد عرف الحق على الحقيقة ما يعاند تأديب الشدائد
المضيقة لعلمه بأنها تسوق النفس الى مخافة بارئها وتصعدها الى نعيم خالقها ومبدئها
فالذى يقبل الشدائد التى تصيبه والمكاره التى تنوبه على رجاء الخيرات العتيدة
والحياة الدائمة المديدة فيكون روح القدس مشرقا فيه وقد حفظ عقله من
الطيش والتيه فيعفى سريعا من مكائد العالم ويعتق من تجارب الغشوم الظالم لان
قلبه يكون فى وقت حزنه ومحنته وعند اضطهاده وشدته مستعدا للقبول بلا جزع
وثابتا للجهاد من غير فزع يشبه الصخر فى جلادته ويماثله فى قوته وصلابته فان
صدمته الامواج لا يتزعزع ومن هبوب الرياح العواصف لا يضطرب ولا يتقنع
فالصبر أساس الشجاعة وهو أصل العبادة والبراعة فكل الفضائل تستمد منه وما فى
الممكن أن تحيد عنه فالذى يحب مجاورة بارئه والاتصال بخالقه ومنشيه لا يمل من
الاعمال الصالحة ولا يفتر عن القيام بالفرائض الواضحة لا يوقفه سبب من وظائف
العلائق ولا يصده عنها حاجة من مرتبقات العوائق يفتخر باحتمال الطعن والضرب
والصبر الجميل عند الضيقة والكرب ولا يهوله اضطهاد ولا طرد ولا يتغير بالم الجوع
والبرد راجيا بذلك النعيم الذى لا يحول والفرح الدائم الذى لا يزول لان الصبر أصل
فيه موهبة الشجاعة وألبسه حلل الاتضاع والقناعة ونفى عنه ضغينة الحقد
والشجب والانتهاب بالشره والغضب وأبعد منه صغر النفس الذى هو أم للعذاب
ومغيب للصراب وقائد الى اقامة الحروب واهراق الدم المسكوب والثبات على
المقاومة وتجديد المحاربة والمصادمة فكن أيها الانسان متيقظا حذورا متحرزا
وثابتا صبورا ان جاءت اليك الشدائد المختلفة الانواع أو أحاطت بك التجارب
المتباينة الاوضاع فتقو بالمعونة الالهية وتدرع بالقوة الازلية ولا تفر ولا تنغلب

من المنن المأثورة فانه لا يمكن أن يكون مطر بغير سحاب ولا يحظى عند الله أحد بغير أوجاع وأتعاب * فان كنت تريد أن لا ينقطع ذكر الله من قلبك فاصبر على المكاره التى تأتى من ربك بحيث تضمران حدوثها من بعض الاستحقاق وان كانت مؤلمة مرة المذاق واحذر من الوهم بانها بالعسف جاءت عليك وتيقن انها بالعدل قد أتت اليك يتجدد ذكر الله فى قلبك كل حين وتداوم على شكره بالقول واليقين فالزم نفسك الصبر فانها للتأديب والتهذيب ويأتى الله بعده بالفرج القريب واعلم ان الصبر على الشقاء والنصب والاجتهاد والتعب فيما يحصل به اللذة لاجسامنا والزيادة فى أموالنا ليس هو محسوبا من التعب المخلوف ولا معدودا فى جملة البرا الملوف وانما الصبر النافع المفيد والاحتمال المربح المجيد هو قبول التجارب بالفرح والسرور واحتمال الاذى المؤلم المحظور فى محبة الله ورضاه والابتهاج بحكمه وقضاه مع الثبات فى عمل الوصايا بالشقاء والاجتهاد والتعب المؤلم والاضطهاد بمداومة لا يشينها اهمال وملازمة لا يشوبها اهمال حتى ينتهى فيها الى الغاية ويبلغ فى كمالها الى أرفى نهاية ويرتفع عنها بالزيادة التى ابتدعها الابرار وافترضتها القديسون الاطهار الذين ساحوا فى البرارى بالطول والعرض وسكنوا فى شقوق الجبال ومغائر الارض وابتعدوا من الاهل والاخوان وهجروا المنازل والاوطان وصبروا على برد الشتاء وحر الصيف وأنهكوا أجسامهم بالجور والحيف مستبشرين بما وعد الله به الصابرين وما أعده للمجاهدين لمثابرين من الخيرات العتيدة والحيوة السرمدية المديده لان الذى ينصب نفسه للقتال ولا يفكر فى المآل بنية صادقة وعزيمة غير مارقة وحرص قوى غالب ورأى صائب ثاقب لا ترده موجعات الضرب ولا تذله مؤلمات الطعن فى الحرب يقاتل أعداءه بلا جزع ويحارب معانديه من غير فزع ولا يرهب من القضاء النازل ولا يخشى من ورود الموت القاتل مترجيا بذلك الوصول الى المنزلة الشريفة والحلول فى المرتبة العالية المنيفة * فواجب علينا أن نلزم الصبر الجميل ونتمسك بعروة الاحتمال الجزيل ونقبل الشتم والوقيعة والسب والهزء والقطيعة وأن لا نحزن من الخزى والعار ولا نقلق من الاستنقاص والاستصغار ولا نتزعج من كثرة الظلم القادح ولا نغتم من جرائر الجور الفاضح ولا

النعيم المؤبد وتبتهج نفسك بالفرح الدائم الخالد فان آخرة الانسان الصبور تؤول
الى البهجة والسرور واعلم ان الصبر أم كل العزاء ومعطى المكافأة والجزاء يبعد
من المرء كل حزن وضجر وينفى عنه كل خسران وضرر وقد تقدم كلامنا وسبق
ايضاحنا بالبراهين البليغة الصادقة والمعانى المفيدة الرائقة ان جميع الحسنات
المستحسنة المشكورة وكل الفضائل الفائقة المشهورة مفتقرة فى كمالها وحسن
ما تؤلها الى عناية الصبر الجميل الممدوح بالنفع الجزيل وذلك ان المصلى الصائم
الساهر القائم الذى قد أخذ نفسه بالزهد والعبادة والعفة والطهارة والنسك
والقناعة والتواضع والمخافة والتحنن والرأفة والحب والرحمة والتباعد من الوصمة
والاجتناب من الردى والصفح عن الاضداد والاعداء اذا لم يعضده صبر عميم وجلد
مستقيم لا يقدر أن يكمل شيأ من هذه الفضائل وهو سالم من شؤون الرذائل فالزم
الصبر ما اقتدرت وأوسع طول أناتك ما استطعت وأقصد باب الله فى اعفائك من
الشدائد والنجاة من حبائل الفخاخ والمصائد فان جاءت اليك فاحتملها بصبر
متضاعف واقبلها بشكر مترادف وادنها وقربها منك ولا تجهد فى بعدها عنك
متزحيا بذلك رضى الله جل ذكره والرجاء فى نعيمه وبره لان أحكامه وتدبيره
فى خليقته مستورة بالحجاب الذى يفوق تمييز ذوى العقول والالباب فلا يجوز لنا
الفحص عن قضائه ولا التأويل فيما فيه رضاه لان أحكامه جازمة قاطعة وقضاياه
عادلة نافعة ودليل ذلك ما أتى الى الانبياء والمرسلين من الآلام والمصائب وما ورد
على الابرار والصالحين من الشدائد والنوائب فلولا معرفة الله سابقة بما لهم
فى ذلك من المنفعة الرائقة وما يجتنونه من ثمرات الصلاح ويقتنونه من النعيم الدائم
المباح لما زادهم ضيقا على اضطهادهم ولا امتحنهم بتجربة فوق جهادهم لان
الانسان اذا كان سالكا فى الطريق المستقيمة ومتباعدا من الطرائق الذميمة فهو
المكون صبورا على الشدائد ويكف ملامه بسببها عن الاقارب والاباعد لان
يلتاس لا يملكون من الامر شيأ ولا يزيدون ولا ينقصون فى قضاء الله اذا ما تهيأ فان
عرض لك من الناس ضيق واضطهاد وظلم قادح أو عناد وكنت على ذلك ثابتا صبورا
وراضيا وحامدا شكورا فابشر بما يوصله الله اليك من النعم المذخورة ومما يمحك به

المبرورة والقضايا المحمودة المشكورة ونعتمد فى أمرنا على الاخلاص الذى لا يشوبه عيب ولا يغادره شك ولا ريب لكى تكون نفوسنا معمورة بالايمان عاملة بالبر والاحسان مستعدة للرحيل والمجازاة متهيئة للدينونة بالعدل لا بالمحاباة فان عمرنا يسير سير الا ينقطع وحياتنا مدفوعة الى ما لا يندفع فلا نغتر بدار الغرور ونتنس من قد درج فى القبور من اخوتنا واولادنا وأقاربنا وأحبائنا ونستعين فى ذلك بكرم الله واحسانه وسعة فضله وجميل امتنانه مع التمسك بالنسك والصيام والصلاة بالسجود والقيام لان الصيام ركن الاقوياء وزين الاغنياء ومؤنس الغرباء فى غربتهم وغنى للساكين فى ضيقتهم فلعله يرشدنا الى سبيل النجاة ويقوم أرجلنا الى طريق الامن والحياة فانه ولى كل احسان ومنقذ من كل خطيئة وطغيان فلله الاكرام والسجود والتمجيد المشهود من الآن وكل أوان والى أبد الابدين آمين

(القول السادس من أجل الصبر الذى هو أساس لكل)

(الحسنات وقائد الى جميع الخلال المستحسنات)

الاخلاص فى العقيدة من الآراء السديدة * والصبر على الآلام الاليمة من الفضائل المستقيمة * لان الصبر حصن منيع تعتصم به كل الحسنات وركن رفيع تفتقر اليه جميع الفضائل المستحسنات * فما أحسنه عند انقطاع الحيلة وما أشرفه عند عدم الوسيلة * فيجب علينا أن نتحصن فيه بحصون لا تفنى ولا تنهدم ونتدرع به دروعا لا تبلى ولا تخرم ونقتفى آثار السادة السابقين من الاصفياء والاولياء السالفين الذين لما نزلت بهم الشدائد الشديدة واحاطت بهم المصائب المزيدة صبروا على ما جاءت به من الظلم الفادح واحتملوا ما أتت به من الجور بالكرب الفاضح * وشكروا الله على وصولها اليهم ورغبوا فى دوامها عليهم برغبة تبلغ غايتها الى القضاء الفاصل وينتهى حدها الى الموت القاتل قاصدين الارتقاء الى الرتب العالية السمائية المماثلة بالجنود العلوية فصبروا على شدة العذاب واحتملوا مؤلمات العقاب ولم يرجعوا عما قصدوه فى محبة الخالق مستبشرين بانجاز وعده الصادق ولما قبلوا جميع مستصعبات الحيف ذاقوا صريمة الموت بالسيف فاصبر أيها الصالح على الآلام الموجعات واحتمل مرارة التعنيف والمواعظ لتجنى ثمرات

طعامهم فى حينه تبسط يدك فتشبع جميع أنفس الاحياء * وقال سليمان الحكيم
ان يقتل الله بالجوع نفسا عادلة ويحطم حيوة المنافقين * وقال كل من يلهج بالنبيذ
للتهم والسكر الفاضح فذاك ليس حكيما * وقال اسمع يابنى وكن حكيما رقوم
أفكارك لاتكن تعرف شريبا للخمر فان كل سكير وملازم تعب الزنا يفتقر
وكل نوام يلبس أطمارا ممزقة خلقة وقال لمن يكون الويل على من يصير لمن
الخصومات لمن الحسرات لمن الهذيانات لمن التهشيمات الفجائيه لمن الاعين
المكمدة أليست للذين يدمنون على شرب الخمر أليست للذين يرتقبون أين تصير
دعوات الشراب لاتسكروا بالخمر بل خاطبوا رجالا صديقين وفاوضوهم فى أوقات
مشيهم لانك ان شخصت بعينيك لمعاينة الطاسات والاقداح ستمسى أخيرا عاريا تحت
الهواء ونهاية أمرك تميل كجريح قد لدغته حية وكن قد سكبت الافعاء سمها فيه
وقال لاتستاق منافقا الى مرعى الصديقين ولا يطغيك شبع الجوف فان الصديق
سبع مرات يسقط وينهض * وقال الكبراء والمقتدرون غضبوا فلا يشربون خمرا
لكيلا اذا شربوا ينسون الحكمة ومايحكمون للضعفاء أحكاما مستوية
وقال افتح فمك بكلام الله وأحكم حكما مقسطا وانتقم للضعيف والفقير * وقال بولس
الرسول فنحن الآن محقوقون أن لانسعى للجسد سعيا جسدانيا لانكم ان عشتم
بالجسدانيات فعاقبتكم ان تموتوا وان أنتم أمتم أجسادكم بالروح نلتم الحيوة الدائمة
* وقال ان السكارى لايرثون ملكوت الله * وقال لتيموثاوس اشرب يسيرا من الخمر
دواء لمعدتك الضعيفة وأسقامك الكثيرة * وقال الانجيل المقدس وكان لباس
يوحنا من وبر الابل ومنطقة من جلد على حقويه وكان طعامه الجراد وعسل البر * وقال
حينئذ أخرج الروح يسوع الى البرية ليجرب من ابليس فصام أربعين يوما
وأربعين ليلة وجاع أخيرا * وقال * طوبى للجياع والعطاش من أجل البر فانهم
يشبعون * وقال واذا صمتم فلا تكونوا كالمرائين لانهم يعبسون وجوههم ويغيرونها
ليظهروا للناس صيامهم الحق أقول لكم لقد أخذوا أجرهم فلهذا يلزمنا أن نواظب
المواظبة التى تفوق الاقتدار وننفى عنا موت التنصل والاعتذار فى قطع الاسباب
التى تسرق المرء الى المرايات والنفاق والتظاهر بما لاصحة له فى الاخلاق من الاعمال

والاتصال بصاحب الامر والجبروت فمن كان على هذا صائما كان لفرائض الله حافظا * كثرة الكلام تورث الملام والضحك مع المزاح يبعد من الصلاح لان الطهارة اذا عدمت من قلب الانسان فيجب له ان يقتنيها في الفم واللسان وذلك ان المرء اذا كان طاهر اللسان ابتعدت منه الشرور مع الزمان فان غلب من حفظ لسانه فتكون نفسه مقفرة من عوارفه واحسانه ويصير هدفا للشرور وتكون أعماله كالهباء المنثور فمن أراد أن يتحفظ من زلقات لسانه ويصون ذاته بالثبات في مكانه من قبل أن يقطع علائق الآلام التي تدعوه الى الحركة والكلام فقد خاب قصده وغاب عنه تميزه ورشده وقد قيل * اقتن القنوع تكن كريما والزم الصمت تعش سليما السكوت يعين على دفع الاحزان ويسكن مخافة الله في قلب الانسان * النوم مع السكوت أفضل من السهر في الكلام بالهزل الممقوت فان كنت تريدان تصوم صوما زكيا وتمسك امسا كا طاهرا نقيا فاجعل طعامك من صنف معروف وفطورك في وقت محدود مألوف وسكوتك عن الكلام دائما وفي سهرك خاضعا وساجدا وقائما لئلا تكون بمنزلة الحيوانات التي لا نطق لها ولا ترتبط بناموس يذلها وبغيتها شبع أجوافها من العلف المختار والرقاد المفرط في الليل والنهار لان الذي تعبد لشهوات جسمه قد خرج عن أوامر الله ورسمه ومن خرج عن أوامر الله يهوي قلبه يدان بغير رأفة من ربه وتغلق دونه أبواب الرحمة ويساق الى العذاب الشديد والنقمة * قال داود النبي * المتوكلون على الرب ينجي أنفسهم وفي أيام الغلاء يعولهم * وقال الاغنياء افتقروا وجاعوا والذين يطلبون الرب لا يعدمون الخيرات * وقال عند ما لحوا على ليست مسحاو بالصيام أذللت نفسي * وقال وبنو البشر بظلال كنفك يستترون ومن نعيم بيتك يشبعون ومن وادي نعمتك يشربون * وقال كنت صبيا ثم شخت ولم أر صديقا مرفوضا ولا ذريته طلبت خبزا * وقال عار معير يك سقط على أزلات نفسي بالصيام فصار لي تقريعا جعلت لباسي مسحا فكنت لهم مثلا * وقال ركبتاي ضعفتا من الصوم تغير جسدي لعدم الدهن * وقال الرب رؤف رحيم يعطي أتقياءه طعاما يذكر ميثاقه الى الابد * وقال الرب يشدد جميع الساقطين ويقيم جميع المنكسرين أعين الكل اليك شاخصة لتؤتيهم

طعامهم

الرتبة النيرة الالهية فلما اعترف بخطيته وتندم على جرآته وجريرته أذن الله بخلاصه من ورطته بفضله ورأفته ورحمته وحينئذ اقتضت الحال ان الكلمة تتحد بجسد من جسم آدم ليقبل فيه مايجب عليه من الحق اللازم وفعل جميع الافعال البشرية ماخلا الاثم والخطية فصام أربعين يوما وأربعين ليلة عن أكلة آدم مجاهدا التجربة الشيطان الاثيم فكان أول قتال الشيطان للناس بشهوة الاكل المضر وكان أول اجتهاد السيد للشيطان بالصيام المستمر فصار الصوم علينا بصيامه فرضا مؤكدا يلزمنا القيام به متواصلا مجددا كل واحد منا على قدر استطاعته وما تصل اليه طاقته وقدرته بمحافظة على الافعال الجميلة والاستبشار ببركاته الجزيلة لما قد عرفناه من فضائله التي تجل عن الاحصاء وتتجاوز حدود الاستقصاء وذلك ان الصيام عدة المجاهدين وعمدة للعابدين الزاهدين وبه تخشع القلوب القاسية وتمحى الذنوب الثابتة الراسية وتزين الانسان بالعفة والعصمة وتسوقه الى مواهب الرأفة والرحمة لانه خير العدة والعمدة في الرخاء والشدة يكسي الصائم ثياب الوقار ويفيض عليه ملابس الافتخار فانه عماد الانبياء والمرسلين ومعين الاولياء والصالحين فيجب على كل صائم ان يواظب على الصلوة في أوقاتها ويقوم بما يجب عليه من حقوقها ومفروضاتها وهو اخلاص النية والاحسان في السيرة والطوية واستعمال الفكر في الافعال الجميلة وابعاده من الشهوات الردية * الصيام يرقق القلوب ويستغفر الذنوب وينير العقل بالموالاة والاخلاص ويسهل الطريق الى مينا الخلاص ويعين المرء على بذل المعروف ويقوى عزمه على غوث المضطهد الملهوف فان عزمت على ان تصوم صوما نقيا من الشهوات فاقتن مناقب الفضائل المستحسنات واعلم ان أفضل فضائل الجسد فضيلة السكوت لانه يبعد عن الفعل الممقوت مثل الدينونة والوقيعة والغيبة الردية الشنيعة أو الهزء والنميمة والافتراء والشتيمة والمزاح والملق والحديث والقلق والسفه والتعيير والتحمل والتزوير فأفضل فضائل النفس الاخلاص في النية التي يتولد منها حسن الطوية والصيانة والعفاف والقناعة بالكفاف والاتضاع والطاعة والزهد والوداعة والمحبة المحكمة والمودة المبرمة ورفض الافكار الردية والمخامرة السيئة والاستعداد لارث الملكوت

مدونا مغفورا وسائل البهائم والدواب والسباع والذباب وما هو المانع من مقابلة أصوامنا بأكرام ومواصلتها بما يليق من التبجيل والاحترام مع ما قد علمناه من أمر موسى النبي من انه لما صام أربعين يوما وأربعين ليلة بنفس خاشعة وحركات مخاصة لذلك خاضعة بلغ الى المنزلة الشريفة والرتبة العالية المنيفة وصار لله كليما ولشريعته معلما عليما ولما سائله اليا النبي بالصيام في عدة الليالي والايام منح بالكرامات المشهورة ونفاذ الاوامر المسطورة وذلك انه منع السماء من المطر وقطع الغيث عن نفوس البشر ثلاث سنين وستة أشهر بقوة عزيز مقتدر حتى شمل الخلق الاضرار وأهلكهم القحط والبوار ولم يرد الله نفاذ أمره ولا حل مار بطه لجلالة قدره وصعد الى السماء على خيل من النار وتساوى مع الملائكة في الحيوة والمنار وقد علمنا ما هو مسطور أيضا عن أهل نينوى المدينة الكبيرة العظمى وانهم لما توغلوا في الخطايا الشنيعة وخرجوا عن الحدود المرسومة في الشريعة أوعز الله ليونان النبي بانذارهم بالهلاك على استحسانهم الفواحش بالانهماك وان الله مرسل غضبه عليهم ومنزل سخطه بالمواصلة اليهم ويجعل سماء مدينتهم أرضا وبصير طولها عرضا فخافت نفوسهم وانصدعت رؤوسهم وانقطعت قلوبهم وتبينت لهم عيوبهم وذنوبهم وشملهم خرف الوعيد والانذار فتنصلوا من حجج المنن والاعتذار والتجأوا الى عصمة الصيام ثلث ليال وثلثة أيام تائبين بالمسوح والرماد نازحين عن الجهل والعناد فقبل الله توبتهم وصيامهم وأمسك غضبه عنهم وغفر آثامهم بفضله ونعمته وجوده ورحمته ومثل هذا شئ كثير الغيناه وما ذكرناه واستغنينا عنه بما قد دوناه وأوردناه وهو قليل من كثير باختصار موجز يسير ومن البين المفهوم الظاهر المعلوم ان الشيطان اللعين العدو المناصب المبين مع اتساع قدرته وحيلته وكثرة استطاعته ووسيلته لما عزم على اجتذاب الانسان من عبادة الله الى الطغيان لم يجد في ذخائره ومكتومات سرائره ما يعينه على بلوغ أربه ويسعده على نجاح طلبه بمقتضى ما سنح له في الخاطر وكان موجودا في الوقت الحاضر مثل الاشتياق الى الاكل من الشجرة التي نهاه الله عنها وأمره بالصدود والتباعد منها فاطغاه بشهوة الاكل من ثمرها والخروج عن أوامر الله التي أمرها فاكل ولم يكترث بالوصية فاسقطه الله من

العتيدة متلهفا على نيل الحيوة الخالدة المديدة و يتبع ايمانه بالعمل الصالح ويحيد عن حبائل العدو الكاشح لان الامانة تحتاج الى العمل والرجاء فى رحمة الله يريد تعبا بصدق تحقيق الامل فالذى قد سمت به الهمة الصادقة وأيقظته الاراء السديدة الراجحة الى الاقتراب عن رحمة الله السابغة والتوصل الى رأفته الواسعة البالغة بالصيام الذى يستحق منزلة الصعود والوصول والمساعفة من الله بالقبول يجب له ان يمسك ذاته عن الاطعمة اللذيذة المذاق و يمنع نظره من الشراب على الاطلاق و يقنع بالبلغة اليسيرة من ادون الاصناف الحقيرة و يقطع عنه دواعى التخلف والمرادة والكلام البعيد من الربح والفائدة والابتعاد من مواضع اللهو والمزاح ومن الانسة بارباب الخصائل القباح و يفر من الضحك الذى هو من مصائد الاعداء المبينة ومن الهزء الناتج الحقد والضغينة ويهرب من الحسد والنميمة ومن التفوه باسباب الشتيمة ويكون نائحا مع النائحين ومساهما للمضطهدين وحزينا مع المحزونين ومشاركا للمطرودين و يقصد بره الغرباء والمحتاجين وأرباب الفاقة والمستضيقين فان كنت أيها الصالح قد عزمت على الابتعاد من العالم وشهواته والهرب من نعيمه ولذاته فاعتصم بالصيام النقى من كل عيب دنى بافراز ومعرفة وقوانين موقفة فانه يميت منك الآلام الجسمانية و يحيى فيك المواهب الروحانية و يكسبك حلل الاتضاع والطاعة و يزينك بمحاسن الورع والوداعة و يطفئ عنك نار الشهوات العالمية و ينير عقلك بالمناظر المضيئة وذلك ان الله تعالى ذكره و تضاعف حمده وشكره لما خلق عبده آدم لم يجعله للناموس عادما اذ قال له * من جميع شجر الفردوس اتخذ لك القوت ولا تأكل من هذه الشجرة لئلا تموت كما تقدمنا بكلامنا فيه ووضحناه وسبقنا بالقول الى نحوه وشرحناه فالصيام أول أمر أمر الله به البشر وجعله ناموسا مشتهرا فاذا علمنا ان أبانا من أجل الاكلة الواحدة وجبت عليه دينونة المخالفة والمعاندة وأسقط من رتبته ونفى من دار عزته وصار الى الارض مطرودا منفيا وللتعب والشقاء مرتهنا مصليا وآل به الامر بعد الحيوة والنعيم الى الموت والهبوط فى الجحيم فاعساه أن يكون لنا اذا تهاونا واسترخينا وأهملنا فريضة الصوم الواجبة علينا وتساوينا بالذين ليس لهم ناموسا ولم يكن لهم قانونا

والقنوع من أصناف توافق أهل النسك والقناعة ويشرق النفس بانوار الزهد والوداعة ويكون لله على ذلك شاكرا مجتهدا ملازما مثابرا لان بالشكر تدوم النعم وبالثناء والحمد تزول النقم ويجب له مع ذلك ان يلزم ذاته بالسكوت والصمت ليصونها من جواب التوبيخ والمقت لان التبكيت بمعرفة وافراز أفضل من الذى يعلم الناس الخير بسرعة وايجاز فخير للانسان ان يحفظ لسانه بتميز عصمة من ان يفيد به الناس كل علم وحكمة واعلم أيها الصالح أن كثرة الاكل والشبع تخرج المرء عن حدود النسك والورع وتجلب على جسمه الامراض المؤلمة وعلى نفسه الاوجاع المضرة المبرمة فتوق أسباب الضرر واحذرها كل الحذر فان الربح منها بعيد والخسران بقوتها متواتر شديد لان الذى يكتفى باليسير يكون مستغنيا عن الكثير فاصرف قلبك عن محبة اللذات وجاز الحد فى الصيام والصلوة بعزيمة ثابتة صادقة ونية خالصة موافقة لان من صام وصلى وقلبه مائل الى الحيف يكون بمنزلة من يقاوم برد الشتاء بقميص من أقصة الصيف واحذر من كثرة الكلام فانها تدهش العقل وتسلب منه اليقظة والتمييز والفضل كما ان الذى يمتلئ من الطعام ولا يخشى من العتب والملام تتشوش أفكاره وتشتغل خواطره وأسراره ويصير كالسكران النزيف والمدنف بالمرض العنيف فالاحتراز من هذا فى جملة ما يليق بالصائم ويخرجه عن مشابهة الوحوش والبهائم واعتضد واعتصم فى صيامك بقراءة دائمة مقرونة بصلوة ملائمة فان القراءة فى كتب الشريعة ترفع النفس الى المنزلة الرفيعة وتاسس فى الانسان مواهب العلم والفضل وتجمع اليه سديد الرأى والعقل وتصونه من موبقات الفجور وتحيده عن شوائب العيب المحذور وتعريه من جميع الرذائل وتسبل عليه ملابس الفخر والفضائل وتزينه بالعفة والوقار وتتوجه بالطهارة المضيئة العالية المنار وتثبته على صحة الايمان وتنقذه من سبي الطغيان وتجدد فيه حركات النعمة وتشعل فى قلبه نار المحبة والرحمة وتمنحه التواضع والطاعة وتسعفه بالزهد والقناعة فيتقى الله فى السر والاعلان ويصبر على حدوث المكاره والاحزان ويصفح عن ذنوب أعدائه ويعتمد على العدل فى قضائه ويروض نفسه بعمل الفرائض المعروفة والقيام بما يجب من السنن المالوفة ويكون مشتاقا الى نعيم الآخرة

الشهوات الارضية واللذات الحاضرة الوقتية التى تلذذ الجسم وتظلم العقل وتظهر الجهل وتذهب الفضل وذلك ان الذى قد عقل على ذاته لا يمكنه أن يكون عبد الله وعبد الشهوات لان عبادة الجسم تستر نور العقل وتسبيه وتظلم صوابه وتعميه فخير للمرء أن يكون مسجونا فى قبور الاموات ولا يكون مهتما لجسمه بالشهوات لان عبادة الجسم تعمى قلب الانسان عن الاخلاص فى عبادة الملك الديان فسبيل الصائم الناسك المتورع الماسك ان يتخلص من شهوات العالم ودمه كما ينفطم الفطيم عن ثدى أمه فحينئذ ينحل من رباطات الارضيين ويتشبه بالاجناد السمائين المقدسين لان المربوط بالاهوية الردية والشهوات الارضية الدنية لا يستحق الصعود الى الدرجات الروحانية ولا الارتقاء الى المراتب العلوية من أجل ارتباط قلبه بما هو محذور وانحلال ذهنه عما هو محمود مشكور فمن الواجب علينا ان لا نستعمل شيئا من الشراب المسكر من غير ضرورة قادحة وأمراض مؤلمة ظاهرة واضحة فيكون ذلك على حكم الدواء والشفاء والاقلال من الآلام المستمرة الاذى لا على نوع اللهو والطرب ولا على سبيل العتب والشغب لكن لاجل المرض الكثير الضرر والسقم الشديد بالخطر يقتنع منه بالنزر اليسير بقدر ما فى التحرير لان الاكثار منه يشوش الدماغ بالسكر ويسلب العقل من التمييز والذكر ويلهب الانسان بالشهوات القبيحة ويسوقه الى رذائل العار والفضيحة ثم يثير فيه سرعة الغضب والاقدام على جرائم العطب وينزع عنه ملابس الحكمة والعلم ويبعد منه فضائل العفة والحلم ويجعله يتظاهر بارتكاب الفواحش الذميمة ويجاهر بالعداوات الثابتة المقيمة بعد العفة والمسالمة والنزوح عن الفحشاء بالمصادمة وذلك ان الذى قد انتهى عن ذنوبه وحاد عن طريق مناقصه وعيوبه متى رجع الى طرائقه الذميمة وعاد الى عاداته المعقوتة القديمة كان للكلب الذى يرجع الى قيئه مشاكلا والمفهوم ان الانسان لم يخلق من أجل الاكل والشرب بل للاستعداد ان يكون من الله بالقرب وانما جعل له الغذاء مادة لحيوته والعيش فى هذه الدنيا الى حين وفاته ليخلف به ما يتحلل بالطبيعة بقدر يليق بالناموس والشريعة من غير اسراف ولا تقتير ولا اهمال ولا تقصير بل على الاستواء الدائم والقانون الثابت الملائم لكيما يزيل به مضرة الجوع بالاختصار

الجريحة المريضة لان الاكثار من الطعام والشراب يخرج الانسان عن حدود الصواب ويغيب الفهم الصالح ويجلب القلق والعيب الفاضح ويسلب العقل معرفته البهية ويظلم أنواره المشرقة المضيئة ثم يكثر النوم ويقلل الصوم ويضعف منفعة السهر ويقوى منامات الضرر ويعرى الانسان من ثياب الاتضاع ويفيض عليه ملابس الآلام والاوجاع ولهذا قال الانجيل المقدس انظروا لا تثقل قلوبكم من الشبع والسكر للفرار من الشهوات التى هى سبب جميع الاوجاع وقائدة الى العظمة بعد الاتضاع واعلم ان النقص من الطعام يرجح العقل ويرد الجاهل الى الصواب والفضل ويزيد فى الصلوة والسهر ويصون العفة من الفجور والضرر ويطرد عنك شياطين الاحلام الردية او يسرك فى نومك بالرؤيات الزكية وينقى قلبك من بله الشبع ويضئ نفسك من ظلمة الامتلاء والوجع ثم أعرف ان الذى يختار مجالس الشراب واللهو والطرب على مجامع السهر والصلوة والتعب فقد اختار مواطن الشياطين على مجامع الملائكة المقربين * ان امتلأت بطنك من الطعام والشراب لم تسمع تعليما وان أنت لم تسمع تعليما لم تكن لك نعمة ولا نعيم * قلة الشراب ذات منفعة هينة فاما كثرته فانها الثم وخطية اليسير من الشراب فرحة وصحة والاكثار منه حماقة وجرحة ثم افهم ان الذى يهيئ لاخوانه مقامات السكر من الشراب فقد اجتذبهم الى الخزى والنقص والمعاب وأفرح بذلك زمرة الشياطين المجربين وأحزن مجمع الملائكة المقربين فالذى يجب ان يبتغى صيام مرضيا ويكون فى امساكه بتمياز كيلا ان يجعل للقوت الذى لابد منه ولا يمكن ان يستغنى عنه قانونا معروفا ووقتا محققا مألوفا يقصد به طريق الاعتدال واجتناب ما يقوده الى الضلال معتمدا على القدر الذى يمسك به القوة والرمق ويصون نفسه من الضعف والقلق وان يكون مجتنبا من عادية الشره والنهم ومن الاصغاء الى البذخ الذى يورط المرء فى حبائل الندم ثم يحسن به مع حفظ هذه الامور المشروحة والقوانين النافعة الممدوحة ان يعد نفسه للرياضة بالعلوم الروحانية ويلازم القراءة فى الكتب المقدسة الربانية ويكمل سعيه بالمثابرة على فعل الوصايا والصبر على حوادث الآلام والرزايا وأن يكون عقله دائم الفكر فى تحصيل العيش المؤبد والنعيم الدائم الخالد غير ناظر الى

محروسة وان يكون صائما عن الاكل منها ويكون دائم التباعد عنها وانه متى خالف الوصية أدركته منون الموت واستبدلت حياته بالغيار والفوت وبهذا علمنا ان الصيام أول الوصايا على الحقيقة بما أخذناه من السنة القديمة العتيقة فواجب علينا القيام بحقوقه وموجباته والالتزام بلواحقه ومفترضاته لان الصيام على الحقيقة يقتضى رحمة الخليقة والمجن عن جميع الرذائل والاهتمام بسيرة الفضائل وحفظا للسان عن الكلام الذى لا فائدة فيه واجتناب الخطاب باللفظ السفيه والامساك عن الحقد والغضب والتحفظ من المشاحنة والشغب والاحتراز من الكذب والنميمة والتباعد من الافتراء والشتيمة والتصون من كل عيب ودنس والتعفف من كل خبث ونجس والانفة من الشهوات العاميه والمباينة للذات الممقوتة الرديه والتمسك بالاتضاع والطاعة والتوصل بالنسك والوداعة فلواحق الصوم كثيرة غير معدودة ونوافله متسعة غير محدودة فالذى قد عزم على الصيام يجب ان يجوز تحت هذه الاحكام ويرفض ما يوافق جسده من الاطعمة الطيبة الشهية ويدحض ما يطابقه من الاشربة اللذيذة الذكية ابتغاء لتحصيل السكينة والعفة والخشوع والسلامة من الآلام بالخشية والذل والخضوع وذلك ان الذى يمسك نفسه عن شهوة القلب حذرا مما يدخل على جسمه من الوهج والكرب فليس له فى امساكه فضيلة تنقذه من الذنوب ولا وسيلة يتوصل بها الى علام الغيوب وانما المسك المجرد المحبوب والنسك المقصود المطلوب ان يكره الانسان ما لذ من الاطعمة الطيبة الفائحة ويأنف من الاشربة اللذيذة الذكية الرائحة مع علمه بمنفعته بها فى نفى الهموم وصحة مزاجه على الوجه المفهوم قاصدا بذلك الصعود الى الدرجة العليا والحلول فى المنزلة الشريفة القصوى والتمتع بالعيش الذى لا يبلى والنعيم المقيم الذى لا يفنى فاحذر أيها الانسان الصالح من الشبع الذى يكون فوق امساك القوة فانه ذو أسواء عند أرباب المروة لانه يأتى باحلام خبيثة ويجلب للمرء دواعى الامراض المميتة ويشوش فطنة العقل الراجح ويعين على افساد الرأى الصالح ويسوق الى كثرة النهم والشره المقرون بالبشم وأحرص على تحصيل لواحق الصيام لتقوى همتك على السهر والقيام ويذبل شغب الاجسام الغليظة وتمنح الصحة للانفس

فامطرت السماء وأنبتت الارض ثمرتها أيها الاخوة ان ضل أحدكم عن سبيل الحق ورده انسان عن ضلالته فليعلم ان الذى يرد الخاطئ اذا ضل عن سبيل الحق فانه يخلص نفسا من الموت و يستر خطايا كثيرة * وقال الانجيل المجيد واذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين لانهم يحبون القيام فى المجامع وزوايا الازقة يصلون ليظهروا للناس الحق اقول لكم انهم قد اخذوا أجرهم وقال * اسهروا الآن لانكم لا تعلمون فى اى ساعة يأتى ربكم واعلموا انه لو علم رب البيت فى اى هجعة يأتى السارق اسهر ولم يدع بيته أن ينقب كذلك كونوا أنتم مستعدين وقال * اسهروا لئلا تدخلوا التجارب فقد يجب علينا من طريق المروءة والدين ان نقوم بفرائض الله على العلم اليقين بعزيمة دائمة مستمرة ونهضة ثابتة مستقرة من غير اغتصاب ولا تكليف ولا تقريع ولا تعنيف لما له علينا سبحانه من النعم السابغة والمنن المترادفة البالغة بما أوضحه لنا من الهداية الى السبيل باقامة البرهان والدليل ثم عتقنا من مذلة الامساك والعبودية المرة المذاق ورفعنا الى درجة البنين وماثلنا بالملائكة المقربين وصيرنا بعد انحطاط الجسمانية معدودين من الاحزاب الروحانية فنقدم خيرة الله ونستعين بالصلوة الدائمة النقية مع سذاجة القلب والنية لكى ينغرس ذكر الله فى قلوبنا ويرتسم تسبيحه فى اذهاننا وعقولنا والشكر لمولى العدل وواهب العقل من الآن وكل أوان والى الابد آمين

(القول الخامس من أجل النسك والصيام والامساك عن فارغ الكلام الذى هو يحجن عن جميع الشهوات ومانع عن النظر الى مستطرفات المطائب واللذات)

تعلموا العلم أيها السامعون واصغوا البر أيها المتواضعون فقد علمتم ان الوصية بالصيام لم تسبقها وصية مؤكدة وان لوصايا التى جاءت بعدها محدثة متجددة لان البارى جل ذكره وتعالى جده وشكره لما خلق أبانا آدم وأحسن فى خلقته وأجاد فى تكوينه و بهجته جعل له الشرف على المخلوقات الارضية بالنفس الناطقة العقلية وأسكنه فردوس النعيم وأعدمه كل ألم أليم وفوض له أن يتصرف فى جميع ما فى الفردوس من الاشجار وينتفع بما هو موجود فيه من الثمار ماخلا شجرة واحدة فى وسط الفردوس مغروسة أوعز اليه بأن تكون من تصرفه محفوظة

تغزر الرحمة عن الذين يدعونك اللهم تقبل صلاتى وقال * هلموا نسجد ونركع ونخضع امام الرب خالقنا لانه الهنا ونحن شعب رعيته وضأن ماشيته وقال * نفسى تبارك الرب ولا تنسى كل جزاه لانه غافر جميع أثامك ومشفى كل أسقامك ومنقذ من الفساد حيوتك يشملك بالرحمة والرأفة وقال * لا أعطى عينى نوما ولا أجفانى نعاسا ولا لصدغى راحة حتى أجد موضعا للرب وقال * الرب قريب من الذين يدعونه ومن جميع الراغبين اليه بالحق يفعل مسرة تقيائه ويستجيب تضرعهم ويخلصهم * وقال سليمان الحكيم لا تغط عينيك نوما ولا تنعس بأجفانك لتخلص كما يخلص الغزال من المواهق وكانفلات الطير من الفخ وقال * الاغنياء الكسالى يصيرون فقرآء مضيقين وأصحاب النشاط يربحون فى الغنى وقال * ان الله يبتعد من المنافقين ويستجيب صلوة الابرار وقال * وكما تختبر الفضة والذهب فى الكور هكذا تختبر القلوب المختارة عند الرب وقال * الكسلان اذا خبأ يده فى عبه لا يمكنه ان يقدمها الى فيه * وقال من لا يميل اذنه لئلا يسمع الفرائض فانه يرذل فى صلواته وقال * صالح هو المضى الى بيت النواح أفضل من الذهاب الى مجالس الشراب وقال قلوب الحكماء فى بيت النوح وقلوب الجهال فى منزل السرور وقال بولس الرسول الحزن الذى يكون من الله يكسب ندامة على الذنوب لا ترتد ويعود بنفوسنا الى الحيوة وقال * ولا تكونوا ولدانا تنصرفون مع كل ريح الى التعليم بخديعة الناس وقال * ومع هذه الاشياء خذوا بايديكم ترس الايمان الذى به تقدرون على أطفاء جميع سهام الشيطان الخبيث المتوقدة وضعوا على رؤسكم بيضة الخلاص وخذوا بايديكم سيف الروح الذى هو كلمة الله وبكل صلوة وبكل طلبة صلوا فى كل وقت بالروح واسهروا فى الصلوة كل حين واذا صليتم فاديموا الطلبة والدعاء بجميع الاطهار ولى أيضا وقال * ادمنوا فى الصلوة وكونوا فيها متيقظين شاكرين وأيضا * افرحوا فى كل حين وصلوا بلا فتور واشكروا الله الاب على كل حال * وقال يعقوب الرسول اعترفوا بعضكم لبعض بخطاكم وليصل بعضكم على بعض لكيما تعافوا ما أعظم الصلوة التى يصليها البار فان ايليا النبى كان بشرا مثلنا فى المصائب وصلى صلوة ان لا تمطر السماء فلم تمطر على الارض ثلاث سنين وستة أشهر وصلى بعد ذلك

فى كل يوم ولا تغفل عما وصلت اليه بتوان ونوم لئلا يعدم منك ما قد اقتدرت عليه
و يفوتك الصلاح الذى وصلت اليه لان الصلوة المبرورة تعطيك شكل الملائكة
المقربين وتوطنك فى مجمع الجنود المقدسين فاذا فت من منامك اذكر مناقصك
وآثامك واستعن فى مجاز ذلك اليوم بالصلوة والخشوع والصوم وحقق ان الله
يريد منك الجواب عما تعمله فيه من الخطا والصواب و بعد هذا تحاسب نفسك
وتدينها وتبكتها وتهينها بما تعرفه من أخلاقها السيئة وادمانها على أسباب الخطية
وحينئذ يعضدك الله بعنايته و يشملك بعصمته ورعايته الى ان تجوز بقية حياتك
وتصعد الى دار نعيمك وميراثك واستند فى جميع ذلك الى ما قيل من الانبياء وما
جاءت به رسائل التلاميذ الاولياء قال داود النبى * تعبت فى تنهدى أعوم فى كل ليلة
سريرى وبدموعى أبل فراشى وقال * بك آمن آباؤنا توكلوا عليك فنجيتهم صرخوا
اليك فخلصتهم وقال * يقبلون الى الرب من كل أقطار الارض و يسجد امامه كل
قبائل الشعوب وقال و يسجدون قدام الرب جميع ملوك الارض و بين يديه
يجثو جميعها بطى التراب وقال * من ذا الذى يصعد الى جبل الرب ومن يقف فى
طور قدسه الا الطاهر اليدين النقى القلب الذى لا يضمر فى نفسه بالكذب ولا
يحلف لقريبه بالغدر هذا يقبل البركة من الرب والرحمة من الله مخلصه وقال
أحببت بهاء بيتك وموضع محل قدسك وقال * قامت رجلى فى الاستقامة أباركك
كل يوم فى بيعتك وقال * واحدة سألت الرب وأنا ها طالب ان أسكن فى بيت الرب
جميع أيام حياتى لانظر طيب الرب وانشد بهيكله وقال * قدموا للرب مجدا وكرامة
قدموا للرب تسبيحا اسمه اسجدوا للرب فى محل قدسه وقال ** اعترف بخطيئتى ولم
أخف جهلى قلت أعترف للرب بخطيئتى وهو يغفر آثام قلبى لهذا يصلى لك كل بار فى
حين حياته وقال أبارك الرب فى كل حين كل أوان تسبحته فى فمى وقال * ان المسكين
دعا فاستجاب له الرب ومن جميع أحزانه خلصه وقال * استجب صلاتى وانصت يارب
لتضرعى ولا تتغفل من دموعى فانى غريب فى الارض وذاهب مثل آبائى وقال * ان
كنت رأيت ظلما فى قلبى فلا تستجب منى كذلك استجاب الله لى وسمع صوت
تضرعى تبارك الله الذى لم يبعد عنه صلاتى ولا رحمته منى وقال أنت يارب بار عدل

فاذا ماعزمت على الصلوة الروحانية فنق قلبك من الهموم الجسمانية واسند أمورك الى الله ربك بسذاجة ذاتك وطهارة قلبك وارغب اليه أن يعطيك الربح بلا خسارة و يوصلك الى المينا من غير شفاعة ولا سفارة لئلا تكون بمنزلة من يجثو على الارض وعقله يجول فى الدنيا بالطول والعرض وشفتاه تقولان مالا يفهمه ويرتل بصوته مالا يدريه ولا يعلمه فان الذى يكون مواظبا على هذه القضية ومتماديا على هذه السيرة والطوية يكون خائبا فى تعبه وغير منجح فى سؤاله وطلبه فاجمع عقلك عند سجودك وتفهم ماتقوله فى قيامك وقعودك ورتل ترتيلا باستواء لئلا يكون كطنين الذباب فى الهواء واحترس من التوانى والاهمال ولا تركن الى الكسل والاملال واسهر سهرا لا يشوبه نعاس ولا غفلة ولا يغادره سهو ولا زلة متحرزا من اللصوص المخفية عن المناظر لئلا تسرق ما اقتنيته من الخير الوافر وتصير فقيرا مما ملكته من الصلاح الذى اكتسبته وتكون مغلوبا فى ارتجاعه اذا طلبته واستعن على ذلك بخشية الله ورهبته وانتباه عقلك وفطنته فتنجو من اختطاف غناك الذى ملكته وتستمر على طقسك الذى ألفته * وقد سبق الايضاح ان الانسان اذا كان حاقدا وهو فى الصلوة قائما وساجدا يكون بمنزلة الزارع على قارعة الطريق مترجيا للخصب بالامل الحقيق لان صلوة الانسان الحقود بمنزلة الزارع على الصخور الجامد فافتح لك طريقا توصلك الى مينا الخلاص بصلوة دائمة مجددة الاخلاص وكن كالحبل الذى بتكرار مره يفتح له فى الصخر طريقا مستقرة فان الصلوة النقية الخالصة من الافكار الردية ترشد المرء الى سبيل النجاة وتهديه الى طريق الحيوة فاذا قمت فى الصلوة مستغفرا من الاله فتقيد فكرك عن الشهوات الحسية واللذات الوقتية والاهتمام المصروف للامور العالمية واطرح عنك الطمع بطول الاجل و بلوغ ما ترتجيه من الامل واترك المنافسة بالغنى وسعة المال والمفاخرة بالاعوان وكثرة الرجال فان كنت على ذلك قادرا وثابتا واثقا وصابرا فحينئذ تكون صلوتك مرتفعة الى السماء ومناجاتك صاعدة الى العلاء ويرتفع عقلك الى الله بلا مانع وتتصل نفسك بباريها من غير شافع وتستبشر بخلاصها من عبودية الطغيان وانتظامها فى سلك عبيد الاله الديان فكن حريصا على زيادة خيرك

حين واستبشر بزوالها على علم يقين فان الصلوة تنقذ المرء من الشدائد وتقوم
طرقه الى أفضل العوائد فاجعل الندم على خطاياك كالعدة والعمدة لان الذى
لايندم عند الرخاء سيندم فى وقت الشدة واعلم انك لاتقدر ان تغلب الخطايا
وأوزارها بغير التوبة التى تكون على مقدارها الان المعونة تأتى المرء على قدر حرصه
واجتهاده فتجزيه على حسب فعله واعتماده الصلوة المبرورة مقرونة بالتعب
وفعلها فى الخطايا فعل النار فى الحطب فالذى يسهر بنشاط فى وقت الصلوة فهو
بعد ذاته مسكنا لاله فان هممت بأمر يبلغك الى ارادتك فابتهل الى الله بقدر
استطاعتك فيأتيك من عنده بالعناية الجزيلة و يمنحك بالاعانة الاكيدة الجليلة
فتكون عاقبتك فيما تهم به محمودة ومقاصدك فيما تروم مسعودة نجب علينا
ان نجدد ذكر الله فى كل حين ونترجى احسانه بصحة يقين لكيما يذكرنا فى وقت
الشدة و يفرج كربتنا برحمته المعدة ويكون لنا دالة اذا وقفنا قدامه وقدمنا
الاعتراف بذنوبنا وجهلنا امامه لان تجديد الطلبة والسؤال يوجبان الانبساط
والادلال ومواظبة التضرع فى الصلوة تقرب النفس من الاله فاحذر من موبقات
الكسل ومن التوانى والاهمال والملل وتكون أعيننا رامقة الى العلو ناظرة
ودموعنا جارية هاطلة ماطرة وأفواهنا ناطقة بالتسبيح وقلوبنا متمسكة بالايمان
الصحيح لان أفواه العصاة فى أوقات الصلوة مسدودة وعيونهم الى الارضيات طامحة
ممدودة وقلوبهم شاردة عن مناهج الصلاح مائلة الى مذاهب الرذائل القباح
لاتطلب أيها الصالح من الله منزلة كريمة والجراحات فيك ثابتة مقيمة اشف
جراحاتك تقبل مسألتك واخلص نيتك تحسن طويتك واعتصم بالصلوة فى حركاتك
لكيما تستقيم فى تصرفاتك فان الصلوة قوة للضعيف وعصمة للصائن العفيف وملجأ
يلتجئ اليه كل خائف ويمنع منه كل ظالم وحائف ويزيد فى شجاعة المجاهد ويكسر
شوكة المقاتل المعاند وهى نور يضئ فى قلوب التائبين و يشرق فى عقول المتواضعين
ومعونة فى أوقات الشدة الشديدة والمكاره المؤلمة المزيدة ترد الضال عن ضلالته
وتشفى المريض بتعجيل سلامته وتنقذ الابرار فى يوم الغضب وتوصلهم الى المنا
سالمين من العطب فالذى يخلص النية فى صلاته تكون هذه جميعها وقفا على طلباته

فاذا

جهده وانتهى فى قصده الى ان قدم على الملك وصار بين يديه فطلب منه قفة تبن
ينعم بها عليه فكان سؤاله هذا للملك تنقصا لقدره وانحطاطا لمنزلته وأمره وسالبا
منه السلطة والرياسة وموجبا له الضعة والخساسة وهكذا الذى يطلب من الله
الارضيات ويترك السمويات ويسأله الجسدانيات ويهمل الروحانيات فمن كان
اعتماده على هذا فقد أفرط فى جهله وأصيب فى ذهنه وعقله فاذا طلبت من الله
اطلب على قدر كرمه الفائض المنيف ولا تكن طلبتك على قدر قدرك البائس
الضعيف واطلب اليه فى صلواتك ان ينقذك من الاوجاع النفسانية لكيما تكون
مستعدا لقبول التجارب الجسمانية ومتهيئا للدخول فيها بالفرح الجزيل والصبر
الحسن الموافق الجميل فان النعمة مكنوزة فى بواطنها مخزونة والرحمة فى خزائنها
مذخورة مصونة وجاهد فى نظافة أفكارك والاخلاص فى علانيتك وأسرارك
لكيما تستحق درجة القبول والتقرب الى بارئك بالوصول فكما ان الانسان
لا يستطيع أن يرفع عينه الواحدة الى علو السماء ويطرق بالاخرى الى نحو الارض
والثرى بلمحة واحدة محققة ونظرة صحيحة مصدقة كذلك الذى يلزم نفسه بالصلوة
المبرورة والتباعد من التصرفات المحذورة لا يمكنه أن يناجى الله المناجاة المستقيمة
وعقله مرتبطا بالتصرفات العالمية الذميمة فمن أجل هذه الامور نعلم بالتميز الصالح
ونفهم ان الذى لا يجاهد فى حفظ عقله فى أوقات الصلوة عند قيامه بين يدى الاله
فانه يكون بعيدا من الصواب ومن المصلحة فى هذا الباب لان الثواب لا يمكن أن
يكون بغير صبر وجهاد ومقاومة الاعداء لا تتم بغير حرب وعناد لان المصلى محتاج الى
مجاهدة الافكار ونقاوة العقل على الاستمرار فيكون له ذلك مثل الدرع السابل
فى يوم الحرب للمقاتل لان العقل المستقر على رتبته يكون هيكلا لروح القدس
بجملته فاذا ما استحق أن يكون هيكلا ويصير لروح القدس منزلا اشتعلت أنواره
بالاشراق وسارت فضائله فى الآفاق * اجتهد فى صلاتك بأن تعفى من التجارب
فان أحاطت بك من كل جانب واشتدت بحوطتها عليك وأوصلت آلامها اليك
فاستند الى الرجاء على رحمة الله وأقبلها بالبر الجميل والاناة فان الذى يرجو رحمة
الله لا يخيب ويكون فى سيرته كما يجب واستعن على دفعها بالثبات والصلوة فى كل

أن يتحفظ بقلبه وهو طايش بعقله ولبه بمنزلة من يريد أن يعادل الثريا فى جلسته أو يحوى هبوب الرياح بقبضته فان أردت أيها الصالح أن تصلى صلوة نقية خالية من الطيش والرزية ففوض أمرك الى الله عند قيامك وابعد الامور المحسوسة عن اهتمامك ثم تمسك برجاء ماهو للآخرة الصالحة وارفض جميع الشهوات المؤلمة القادحة فيعضدك الله بعنايته ويسعدك بمعونته وحمايته وحينئذ تبلغ ماقد قصدته وتنال الذى رغبت اليه وطلبته واعلم ان السهر يرقق القلب القاسى وينقى عنه جميع السخف الراسى ويكشف للانسان مكتومات الاسرار الخفية ويرشده الى السلوك فى الطريق الحميدة المضية * من توانى عن صلاته فان عقله يسبى من حيث لا يعلم ويقفر نفسه من العمارة بروح القدس من حيث لا يفهم فحينئذ يجب عليه أن يصرخ بالبكاء والنواح فى المساء والصباح لا على مفارقة الاهل والاحباب ولا على موت الاقارب والانساب بل على اهماله وغفلته وتسويفه وتوانيه لان النوح والنحيب والبكاء على مايحدث من هموم الدنيا الحاضرة لا ينتفع به فى أمور الرجعة والآخرة وانما البكاء النافع بالبيان والنوح المحمود الظاهر للعميان هو بكاء الانسان على السقطات والعيوب ونواحه على الجراءة بالخطايا والذنوب وتجريد نفسه من الانوار المضية وتعذيبها بالام الخطية ومخالفة أمر صانعه وباريه وخالقه وموجده ومبديه بعد ما أحسنه فى خلقته وما منحه به من سمو درجته ورتبته فمثل هذا يحق له النوح والبكاء والعويل والانين والجوى لاجل خروجه عن طريق الصواب ومماثلته بالبهائم والدواب * ومن المشهور المعلوم الظاهر البين المفهوم ان جميع الارضيات فانيات وكل الجسديات زائلات وان السمائيات باقيات والروحانيات دائمات فيجب على الذى يبتهل الى الله فى صلاته ويتضرع اليه فى طلباته ان لا يجعل قصده فيما يفنى ويحول ولا تكون طلبته لما يتلاشى ويزول لان الله خلقه ليكون وارثا فى الملكوت السمائية دائم البقاء فى الحيوة السرمدية بل تكون طلباته لما هو محفوظ فى الملكوت السمائية ولما هو مذخور من الذخائر العلوية التى خلقه الله للتمتع بنعيمها الدائم والتمتع بسرورها المهيج الملائم لئلا يكون بمنزلة الانسان المغرور الجاهل بمصالح الامور حيث أجهد

الاوجاع النحسة وأوجعوا قلبه بتذكار الشهوات الدنسة فاذا غلظ العقل بهذه الحسيات المذكورة وأظلمت أنواره بهذه الرذائل المشهورة سقطت بهجة المصلى وصاع اجتهاده وبطل عليه قصده واعتماده وصار بمنزلة من يستقى ماء من جب عميق الحفر والثغر ويصبه فى اناء مثقوب السفل والقعر * لاتظن ياهذا انك غير محتاج الى الدموع فى صلاتك واذكر بالحقيقة أوقات خطاياك وزلاتك معترفا بجنايا تك للبارى فتنهمر الدموع كالماء الجارى وكن شكورا فى صلاتك ومادحا فى تسبيحك وقراءتك وحريصا على حفظ ما اقتنيته من ثمرات التعليم ليستقيم سيرك الى مقر النعيم لان الانسان اذا صلى فى كل حين فهو يقرب ثمرته لرب العالمين فاجتهد اذا صليت أن تطرد عنك جميع الافكار وتفهم ماتقوله بالتمييز والاختبار لان الذى يصلى بالفهم فى كل أوان يصير صبورا على الاوجاع والاحزان بشكر دائم وحمد ملائم فاما الذى يصلى وقلبه يفكر فى ارتكاب الشرور وهو متمسك بكل فعل محذور فان صلاته تجلب عليه القنط والتضجر والغضب والتجبر فيصرف من تعبه خائبا ويعود الى شؤونه آيبا لان الذى يريد أن يغلب الآلام من غير صلوة نقية وطلبة مستقيمة مستوية يكون للاوجاع مسكنا وللاسواء منزلا وموطنا فاما الذى يعرف رضى الله وارادته ويعمل ذلك بطاقته وقدرته يجازى على تعبه اليسير بالخير الواسع الكثير وتمحى سيئاته وتتضاعف حسناته لان الذى يتعب بمخافة الله وطاعته تشمله العناية بما يفوق استطاعته فمن الواجب علينا أن نتقرب الى الله بالصلوات القائمة والطلبات المستمرة الدائمة اذا كان عزمنا على فعل شئ من الاعمال أو منتظرين لادراك مانرتجيه من الآمال لئلا تكون همتنا خارجة عن استمداد المعونة الالهية ومن التمسك بالعناية التامة القوية ونحرص بجهدنا ان نكون فى صلواتنا خالصين من الطيش والسهو وحافظين أفكارنا من الانصباب الى اللهو لان علامة الذى يحب الله لا يسهو فى الصلوات والطائش فى الصلوة علامة على محبة الشهوات لاتصح صلوة من غير تعب ولا تقتنى فضيلة من غير نصب فان أردت أن تقبل صلواتك فلا ترذل الاتعاب فى مدة حياتك فان بغيرها لا ينجح الانسان فى توبته ولا يسعف بالنعيم المؤبد عند أوبته لان الذى يهم

الله فى الصلوة واعمل ما تعلمه من الاله فيصرف الله عنك كل فكر شرير وتتلذذ بالتسبيح والتزمير لان كل انسان عند حركته للصلوة يعينه الملك الذى يحفظه بالاخلاص فى الولاء ويطرد عنه شياطين الكسل ويبعد عنه أعوان التفنيذ والملل فان كانت صلاته باهتمام ونشاط وابتهاله بهيجة واغتباط عاضده بصعودها الى سرادق العرش الممدود كالبخور الطيب الموقود فاما اذا كانت الاشكال الترابية محتوية عليه والشهوات البهيمية صادرة منه فان ملكه يبتعد عنه لاثما وعلى اضاعة تعبه نادما لان الذى يسهر عينيه فى الصلوة فى طلب الرحمة من الاله ويكون فى الصلوة قائما وعقله ساهيا ونائما فليس يكون فى سهره على الوضع المعروف ولا تكون طلباته بالقانون المألوف لان السهر فى أوقات الصلوات اما فى الجامع واما فى الخلوات انما هو تيقظ العقل لحفظ الافكار من اللصوص الذين لا يلمحون بالابصار مع الفهم بما يتلى من المزامير المبرورة وبما يقرأ من التسابيح المسطورة والسجود فى أوقات الخضوع والابتهال فى أحيان الخشوع * لان سهر العين انما يفيد انتباه العقل ويقظته وتمييز الفهم وهمته فمتى عدم الانسان استقرار العقل على رتبته وانضاضة الخاطر وفطنته صار متعبدا للذنوب ورهينا للنقائص والعيوب وتنقلب أخلاقه من بهجة الفضائل الى ظلمة العار والرذائل ويصير بعد مناجاته لرب العالمين مخاطبا لزمرة الشياطين وتخرج نفسه من محل النعمة والرحمة وتسكن فى مواطن الغضب والنقمة فاى شئ أشرف من الصلوة بالفهم الحاضر لانها حديث العقل مع الاله القادر وبها ترفع النفس الى الدرجة المضية وتجاور من له الحق فى سمائه العلية فان طلبت فى صلاتك فسل فى تطهير ذاتك وان تكون وارثا فى الملكوت السمائية فى جوار من له القدرة السرمدية فان توطدت نفسك على هذا طائعة راضية ازددت على ذلك كلما تحتاجه بسرعة ماضية فلا تعدل عن هذه السيرة الجميلة ولا تغفل عما صار اليك من الموهبة الجليلة لئلا تسرقك اللصوص المحتالة بالمكائد الكاذبة البطالة لان الشياطين يكرهون الصلوة أكثر من جميع الفضائل ويجتهدون فى ابطالها بالفخاخ والحبائل فاذا رأوا انسانا قائما فى الصلوة باجتهاد خامروا عقله بالافكار المائلة الى الفساد وحركوا على ذاته حركات

شياطين الهواء وحجبوا اشراق نوره بظلمة العماء وصار متعبدا للخطايا وهدفا مصوبا لسهام الرزايا فاحرص فى مداجة قلبك ونضاضة خاطرك ولبك والتوطد لذاتك على تقويم صلاتك بفكر مجتمع وقلب متضع وخشوع دائم وخضوع ملائم ودعة سليمة وسكينة مستقيمة وابتهال بجزع وخوف وفزع وطلبات متواترة بدموع ماطرة وتنهد من صميم القلب ونوح متصل الكرب وسهر يفرح الاجفان وقيام يرم الابدان مع الاعتراف بالذنوب الى علام الغيوب لكى ترتقى الى العلا وتفتح لك أبواب السماء لانك لا تقدر أن تصلى بالفهم وقلبك مرهوق بالوهم فى أمور الدنيا الدنية وحركات الشهوات الردية فمن ظن انه يصلى لله صلوة مقبولة ونفسه بقيود الحقد مغلولة فلا يكون بعيدا من الجنون ولا غريبا من السخف فى فساد الظنون فاحرص ان لا تحقد على أحد فى صلاتك لئلا تهدم ما قد بنيته بتعب ذاتك فيكون حرصك عاطلا مقفرا واجتهادك معوزا مقترا بل تغفر لاعدائك ذنوبهم وتسفح عن مناقصهم وعيوبهم ليكون تسبيحك بسالمة دائمة الفضيلة وتزميرك بمحافظة غير مستحيلة وتعتمد على لهدو فى الابتهال واستقرار العقل فى مرتبته بغير محال فكما ان الخبز غذاء البدن والفضائل غذاء النفس هكذا الصلوة النقية غذاء العقل فصل بهدو بلا سجس وتضرع من غير دنس لتكون نفسك صاعدة الى السماء كما يصعد العقاب فى الهواء لان الصلوة هى الثبات بالدعة من غير شغب * وشفاء للنفس من التهاب الغضب وذلك ان الشياطين اذا رأوا انسانا قائما فى الصلوة مجتهدا فى طلب الرحمة من الاله يحركون عقله وليه و يشغلون سره وقلبه اما الى طلب الطائلة والثار واما الى الجنوح لشهوات العار فان استرخى العقل الى مرادهم وصبا القلب الى هواهم وجهادهم أبطلوا الصلوة المثمرة وصيروا النفس عديمة مقفرة وأما اذا كانت العقول متيقظة بتقوى الله راجحة والقلوب بالخشوع للاله مقبلة ناجحة لا تنفذ فيهم سهام المحاربين ولا تؤذيهم صوارم المجاهدين ولا تستميلهم مكائد الاعداء الانداد ولا تسبيهم جيوش المردة الاضداد لان خشية الله تمنع منهم كل عدو ماكر وتعطيهم النصرة على كل ضد فاجر * ان حركتك القوة الغضبية فى الصلوة على الانتقام ممن يضادك وأخذ الثار ممن يعاندك فاذكر قيامك قدام

من الحسد والشغب ونحيد عن سبيل الحقد والغضب مع معرفتنا انها تشوش العقل المضئ وتسيئه وتظلم به وتعميه فينبغي على الانسان ان تكون الصلوة في قلبه بغير نسيان ليدفع بها سهام الضلال كمثل درع في يوم القتال لان الانسان اذا اشتاق الى مخاطبة مولاه بصلوة نقية تنهض اليه جيوش الافكار المؤلمة الردية فتشعل في قلبه نيران الاهتمام بتصرفات العالم وما يبتغيه كل جان وظالم بانواع مختلفة مرذولة وطرائق دنية غير مقبولة اما الى طمع الغنى وجمع الاموال وأما الاشتياق الى التمتع بشهوات الضلال والارتياح الى طيبات المآكل والمشارب والشغف بالمناظر المحظورة المآرب فان كان ذا يقظة صالحة وآراء ثاقبة راجحة وهمة قوية وفكرة حاذقة زكية فهو يضيق على ما قد صورته له الافكار النجسة وما جلبته عليه الظنون الفاسدة الدنسة فيأنفه ويهرب منه ويرفضه ويحيد عنه فحينئذ يسعف بعناية اليه وعطية روحانية عليه فيقوي عقله على مرتبته العالية ويضئ حسه بالانوار المتوالية وتصعد صلاته كارتفاع البخور الزكي وقبول القربان الطاهر النقي فاحذر أيها الصالح الامين التقي الماهر الرزين ان تصلي صلوة بهوى قلبك وتطلب ما تظن انه صالح من ربك فتكون مخالفا لهواه وحائدا عن سبيل رضاه لانه هو الذي يعرف الصلاح وحده ويمنحه لمن يفرط في جهده بل سلم أمورك لارادته الصالحة والق همك الى مشيئته الناجحة واطلب أن تكون ارادته فيك وفي قصدك وفي كل أمر تحرص في تحصيله بجهدك فتمنح ما تريده وتسعف بما تشتهي ان تستفيده فان ارادته بالخير معلومة مشهورة ومواهبه بالجميل معروفة مخبورة فان كنت تريد ان تصلي صلوة مقبولة فلا تجنح بفكرك الى شئ من الافعال المرذولة فانها تستوقف الطلب وتضيع الاجتهاد والتعب لان الذي قد قصد نحو أعمال الفضائل وابتعد عن علائق الذنوب والرذائل يجب عليه أن يضبط أفكاره بيقظة العقل ويدين نفسه بدينونة العدل ويقوم في أوقات الصلوة بالاتضاع والاناة ويناجي ربه بالمخافة والخضوع والمهابة الدائمة الخشوع فحينئذ يعظم شأنه ويعلو مكانه ويصير من أبناء الملكوت ومتصلا بصاحب القدرة والجبروت فاما اذا جنح الى دواعي شهواته المضرة وخرج عن الحدود المرسومة المستقرة اختطفت عقله

من جميع الاشياء براً وقال بولس الرسول * فلذلك لا تكونوا ناقصي الرأى ولكن افهموا ما يرضى الله ولا تسكروا من بالخمر التى فيها الفجور بل امتلئوا بالروح وكلموا أنفسكم بالمزامير والتسابيح وترتلوا للرب فى قلوبكم بترتيل الروح وقال الانجيل المجيد * لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس بل خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس والجسد معاً فى نار جهنم * فقد حققت لنا هذه الشهادات النافعة والاقوال البليغة البارعة ان مخافة الله تجذب العصاة الى الطاعة وتفيض عليهم حلل العفاف والقناعة وتهديهم الى سلوك الطرق المستقيمة وتبعدهم من جميع الافعال الردية الذميمة فيكونوا فى توبتهم مرتبطين بابلغ المراجعة وتابعين فى رضى الله أحسن المتابعة فنبتهل الى الذى كوننا واحيانا وسقطنا فنجانا ان يديم رحمته علينا ويبسط رأفته الينا بكرمه واحسانه وفضله وامتنانه له المجد والاحسان والقدرة والسلطان من الان وكل آوان وكل عصر وزمان والى أبد الابدين ودهر الداهرين آمين

(القول الرابع من أجل الصلوة القائمة بالخشية الدائمة)

يجب علينا من طريق الحق والدين ان نجدد ذكر الله كل حين ونسبح اسمه تسبيحا جديداً على الاستمرار فى ممر أوقات الليل والنهار لان دوام الصلوة يجلب كثرة الرحمة والرأفة ويبعد عن المرء كل كربة وآفة ويرفع النفس الى مواطن الملائكة المقربين ويوصلها الى المجاورة برب العالمين هذا اذا كان اعتمادنا فى صلواتنا الصفح عن ذنوب مبغضينا وأعدائنا والابتهال بقلوب طاهرة نقية وعقول مسفرة راجحة زكية وذلك ان الصلوة هى حديث العقل مع الملك القدوس العالم بالخفى من سرائر النفوس والتمسك برحمته والتوصل الى رأفته وعصمته لان موسى رئيس الانبياء الكبير فى الاصفياء والاولياء لما أراد الدنو من العلقة النابتة فى الارض المحسوسة الثابتة منع من القرب منها وأمر بالبعد عنها حتى خلع نعليه ونزعهما من رجليه فكيف يمكننا نحن البائسون والخطاة الغاصبون ان نناجى بعقولنا خالق البرية المطلع على الاسرار الخفية الذى يفوق كل حس وفكر ولا يمكن ان تكمل صفاتنا بذكر قبل ان ننزع من قلوبنا كل فكر نجس ونطهر نياتنا من كل عيب دنس ونتقى نفوسنا من

الرب يهديه طريقا يرضاها وينعم نفسه فى الخيرات وذريته ترث الارض وقال *ما أكثر رحمتك يارب لجميع خائفيك أعددتها لمن اعتصم بك امام بنى البشر * وقال علموا أيها الابناء واسمعوا منى لافهمكم مخافة الرب من هو الرجل الذى يهوى الحيوة ويحب ان يرى الايام الصالحة أكفف لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغدر أبعد من الشر واصنع الخير اطلب السلامة واتبعها فان عينى الرب على الابرار وسمعه الى تضرعهم وقال * كارتفاع السماء على الارض كذلك أعز رالرب الرحمة على خائفيه وكما يترآف الاب على البنين كذلك يترآف الاب على خائفيه وقال * طوبى للرجل الخائف من الرب المتمسك بوصاياه زرعه يكون قويا فى الارض وقال * اقشعر جسمى من خشيتك لانى خفت أحكامك وقال * طوبى لجميع خائفى الرب السالكين فى سبله وقال * الرب لا يشأ قوة الفرس ولا يسر بفظاظة الجبار لكن يسر بخائفيه والذين يرجون رحمته وقال سليمان الحكيم * رأس الحكمة مخافة الله الفهم نافع لمن عمل به من يرضى يحب وينقل من بين الخطاة قبل ان يغير الشر فهمه أو يطغى الغش نفسه وقال * اكرم الرب الهك فتتأيد ولا تخف غيره اكثر منه وقال خشية الرب تمقت الظلم والتعاظم والكبرياء وطرائق الاشرار وقال * خشية الرب تزيد اياما وسنين المنافق تنقص العمر ورياء الصديقين ورجاء المنافق يهلك * مخافة الله حصن البار والتهشيم للعامين وقال * الشاهد الصادق ينجى النفس من الاسواء والغاش يحرقها بالكذب * فى تقوى الرب رجاء القوة ومتخذها يخلف لاولاده قاعدة ثابتة راسخة وقال * خوف الرب عين الحيوة ويجعل فاعله ان يحيد من فخ الموت * وقال المنافق يبعد برذيلته والواثق ببره عدل لدى الرب وقال * نصيب صغير بمخافة الله أفضل من كنوز كثيرة جزيلة مع عدم خشية وقال * الصدقات والامانات تهدم الخطايا وتقلع آثارها وبمخافة الله يحيد الانسان عن الشر وقال المنافق يهلك فى يوم ردى المهذب العقل يسحقه الوعيد والجاهل اذا ضرب ما يحس وقال * مخافة الرب فى الانسان حيوة ومن لا خشية فيه يسكن مواضع لا تشرق فيها معرفة وقال الحكماء لا يزوغون عن شريعة الرب بل يفكرون فيها فى الجموع والمجالس وقال * أقوال الله كلها امحاة مختبرة وهو يعضد المتورعين وقال * الخائف من الله يخرج

من

الله تؤدب المرء فى جميع اعماله وتهيئ له الصلاح فى حركاته وآماله فكما ان الذى يقصد السفر الى مدينة لا يمكن ان يصل اليها فى البحر بغير سفينة هكذا الذى يقصد التوبة من ربه لا تصح له قبل ان يسكن خوف الله فى قلبه فالذين قد رفضوا الدنيا وشهواتها وابتعدوا من نعيمها ولذاتها ورغبوا الى عبادة الله الصالحة بالنيات النقية الراجحة يضاعف الله كثرة حسناتهم ويصفح من ذنوبهم وسيآتهم لانهم أسرعوا من خوفه الى الدخول فى طاعته والعمل باوامره وارادته وأعلم ان الانسان الذى خوف الله فى قلبه وقد أضاء عقله بتمييز ذهنه وليبه اذا عزم على فعل الجميل بنية صادقة وعزيمة غير مارقة فلا يتم له قصده دون الآلام المتواترة والمحن المترادفة المتقاطرة لان أعمال الفضائل لها موانع كثيرة الشأن وعوائق دائمة الهموم والاحزان فالذى لا يصبر على بردها وحرها يكون قد ابتعد من سموالهمة وعلو قدرها وعطل نفسه من الاعمال المرضية ومن الافعال الخيرة المضية ومنع عقله من العلم بالحقائق ومن الاتصال بموجد الموجودات والخلائق والذى يكون على القتال صابرا مجاهدا مرابطا مثابرا فهو أفضل من الذى يعمل الحسنات بغير الحزن والجهاد وأكثر جزاء من الذى قد عمل الفضائل بغير الجهد والاضطهاد وأعلم ان مخافة الله اذا توطنت فى قلب الانسان أثمرت فيه فضائل الايمان وايقظته بأن لا يدين اخاه ولا يستعظم ذنبه وخطاه لان الذى يقصد دينونة الناس يجعل لنفسه مرض الوسواس وتكون دينونته فى الآخرة بالعدل خالية من الرأفة والرحمة والفضل لانه لم يعتبر بذنوبه ولم يستقص عن نقائصه وعيوبه من قبل ان ينظر الى عيوب اخوانه ونقائص أخلائه وأقرانه وقد قيل * أفضل الناس من كان لعيبه بصيرا وعن عيب غيره ضريرا * الذى يلزم مخافة الله يكون مستغنيا بالبركات وأما الذى لا يخافه يكون مقفرا من جميع الخيرات * مخافة الله تقوى القلب وقوة القلب تضئ العقل وضياء العقل يولد الامانة والامانة تولد الرجاء والرجاء يدفع النفس الى مواطن الابرار * قال داود النبى اعبدوا الرب بخشية وسجوه برعدة والزموا الادب * وقال وصية الرب مضيئة تضئ الابصار خشية الرب طاهرة دائمة الى الابد وقال * أيها الخائفون من الرب مجدوه يا جميع ذرية يعقوب سجوه يخشاه كل زرع اسرائيل وقال * الرجل الخائف من

بتدبير من أجل منفعتهم فأن داموا على ما كانوا عليه من النيات المغشوشة والارتباط بما هو للدنيا استولى عليهم الذل والجبن والاسترخاء وفروا من القتال وانهزموا وخلدوا الى الغلبة لانهم لم يستحقوا ان يقبلوا القوة الفاعلة فى المجاهدين الابرار ولكونهم نزعوا عنهم السلاح الالهى الذى به يدفعون عن ذواتهم مهام الاعداء المتوقدة سقطوا فى هوات النار مثل الحشيش اليابس من أجل انهم عروا نفوسهم من قوة الله الدائمة فى كل زمان * خف من الله فى جميع أعمالك فتنجو من حبائل العدو وتبلغ آمالك لان الذى يخاف الله تخافه جميع أعدائه وحساده يولون هربا من هيبته وسطوته فاحرص بجهدك وفكرك واستطاعتك وقدرتك ان يكون عقلك مرتبطا بمخافته ورهبته والعمل بما ينقذك من رجزه وسطوته فان الارتباط بتقوى الله جل ذكره والانحلال من عبودية العالم وأسره * التوبة تغسل جميع الخطايا والذنوب ومخافة الله تنقذ من النقائص والعيوب فلا يمكن أن تكون خطية بلا مغفرة مع دوام التوبة النقية المسفرة ولا ان تسرى عادية النقص والعيب الى من يخاف ربه بغير الشك والريب * دوام القراءة بالهدو والفهم الحاضر تثبت فى القلب مخافة الاله القادر * ليس الذين فخرهم بفعل الآيات والعجائب أفضل من الذين يعتصمون توبة نقية سالمة من الشوائب * من خاف الله وابتعد من الخطايا وقف امامه بغير عثرة من الرزايا ويكون فى أيام القحط مخصبا من الخيرات وفى أوقات اظلمة مشرقا كالشهب المنيرات * من خاف من الله زهد الدنيا وما فيها من النعيم والذى قد زهدها يكون غنيا من الوعظ والتعليم فاحذران تنكر نعمة الله اذا جاءت اليك ولا تشك فى رحمته اذا أقبلت عليك لان الذى يشك فى معونة الله يخاف من ظله ويجزع من هبوب الرياح فى محله ويكون فى أيام الرخص والشبع جائعا وفى أوقات السلامة والأمن خائفا مصانعا فاعتصم بتقوى الله على الدوام يستريح قلبك من الروع والخوف وائت الله وكن سامعا مطيعا وفى الشدائد صابرا وديعا فتكون لك دالة البنين وتقبل طلباتك فى كل حين ويأتيك الفرج فى وقت شدتك من أجل صبرك وطاعتك ردعتك فان تقوى الله عدة العابدين وعمدة الصابرين * تميز العقل مع خشوع القلب يولدان التوبة لخائفى الرب * مخافة

ماقتا لايدخل قلبه المكر ولايحسن به الغدر يكره الخبث والخديعة ويحض
الغلبة والوقيعة يسالم من يعانده ويوادد من يوافقه ويضاده راجيا خير المكافأة
مؤملا حسن المجازاة * مخافة الله تحرس الانسان من الشوائب وتستره من مضرات
النوائب وتمنع منه ملمات الحوادث ونوازل المصائب وتسعفه بالعلم والحكمة
وتسبل عليه ملابس الخير والنعمة وتفتح له كنوز السماء وأبواب الرحمة فاعلم أيها
الصالح ان الذين قصدوا باب الله بالخوف والسذاجة والمحبة والطهارة وأسلموا
نفوسهم بيد الذى خلقهم وتركوا العالم بكل قلوبهم ودخلوا بنفوسهم فى مصاف
الحرب والقتال والمقاومة والجهاد فمن أجل حسن نياتهم وحرارة قلوبهم تعضدهم
عناية من الله فى بدايتهم بالصبر الجميل تمنع منهم كل خوف ولايجزعون من مؤلمات
التجارب ولايفزعون من موبقات المصائب لان جنانهم ثابت بالقوة الالهية
والعناية الربانية فان ابتلوا ببلايا تفوق طاقتهم فترخى عزمهم فيزيدهم الله قوة فى
الصبر لاجل ثباتهم فى محبته وما علمه سبحانه وتعالى من حسن نياتهم مثال ذلك ان
الطبيب لايحسن عنده أن يداوى مرضى الاطفال بالادوية المرة الكريهة الطعم التى
تستفرغ بها كوامن الاخلاط من الذين قد بلغوا حد السن بل يلاطفهم بالاشربة
اللذيذة الطعم الذكية الرائحة لكون أجسامهم ضعيفة عن حمل قوة الاخلاط
التى تحوج الى مقاومتها بالاستفراغ فمن أجل هذا يكون تدبيره فيهم بالملاطفة فان
حدث لهم مع المرض ضعف فى البنية والقوة احتاج الى أن يضيف الى تدبيره الاول
مايضبط به القوة من الاشربة المغذية اللذيذة الذكية وهكذا تفعل عناية الله فى
الذين قد قصدوا بابه الكريم بالطهارة والسذاجة كالاطفال فأما الذين قد قصدوا
الخروج من العالم ونياتهم مغشوشة برباطات الغنى والنياح الجسمانى فان
الشياطين اذا رأوا تخلية الله عنهم يستجرونهم الى ماهو موطن فى نياتهم المغشوشة
من الشهوات المضرة ويسوقونهم الى التجارب التى تغضب الله فان عقلوا على
نفوسهم بالتمييز الصالح واحتقروا الذى هو زائل ورفضوه على الاطلاق فى محبة
الله والرجاء بما هو دائم مستمر رفدتهم حينئذ العناية الالهية ونجدتهم الملائكة
الموكلين بحفظهم فيصونوا من كل ألم ويبعدون عنهم كل بلية الا ماعساه أن يكون

عتق وسرور دائم ونعيم مستقر قائم فاما المعصية باهمال الوصايا فانها شر وفزع وعذاب مستمر لا ينفع الوعظ باحسان لمن هو قاسى القلب فاذا لم يردعه الخوف فما يرجع الى الرب لانه لا يقبل موجبات التوبة ولا يفكر فى مقام الرجعة والاوبة * ان الذى يتقى الله و يعمل رضاه بالاتعاب الصغائر يفك برحمة الله من جميع الشدائد الكبائر لان الذى لا يختار بمشيئته الاتعاب من أجل الحق يؤدبه الله بالعذاب المؤلم الشاق والذى يخاف الله تصير سيرته كسيرة الصبى الصغير ان أهين لا يغضب وان أكرم لا يتعظم وان اغتصب ما يملكه فلا يحقد ولا يفكر فيما يحتاجه فى الوقت الحاضر ولا يدعى فى خطاء لا فى الباطن ولا فى الظاهر من خاف الله جل وارتفع ومن عصى ربه ذل واتضع * دوام ذكر الله بغير اهمال والفكرة فى البعث والنشور والمآل واحتقار هذه الدنيا وخيرها اليسير والزهد فى نعيمها وعيشها القصير يجعل الابرار تطير مثل النسور الى سماء الفرح والسرور * أيها الرجل الصالح التقى النقى الراجح اعتضد بتقوى الله فى أمورك وشأنك واعتصم بمخافته فى أسرارك واعلانك واعلم ان الذى يخاف سطوة ربه تسكن الروح القدس فى قلبه ولبه وحينئذ يكون من الصابرين حائزا الفضائل من الابرار والصالحين فيفرح اذا أضطهدته المصائب ويبتهج اذا ضغطته النوائب ويستبشر بوفودها اليه ويشكر الله على ورودها عليه معتقدا بالضمير الصادق واليقين الثابت الموافق انها أشربة تنقيه من كل مرض وأدوية نافعة تعفيه من كل عرض قد أرسلها اليه معلم العلماء وحكيم الحكماء الطبيب الشافى المداوى المعافى فيكون متشبها بأيوب الصديق فى كل كرب وضيق معتمدا على فضائله المبرورة وتابعا لآثاره الحميدة المشهورة راجيا بذلك من الله الرضى والقبول والاقتراب اليه بالوصول * ان الذى فيه مخافة الله بالحقيقة لا يزدرى أحدا من الخليقة ولا ينظر اليه بعين الاحتقار ولا يزدرى به بالمنقصة والاستصغار ثم يكون فى قوله للناس وافيا وبما يرهن به لسانه بضمانه زاكيا ان ضمن أو فى وان كفل أقام بما بذله من لسانه يجوز تحت كلما يحكم به على نفسه لا يبالى من قحط الزمان وخسه فيجعل الله من أهل التقوى وينجيه من نوازل الشرور والبلوى ان الذى يخاف الله و يتقيه و يعمل ما يرتضيه يكون ضميره لجميع الناس بالخير ثابتا ولا يكون لاحد من أعدائه بغيضا

الطاقة والاستطاعة قبله الله بعفوه ورحمته وقابله بجزيل أفعاله ونعمته وصد أعداءه عن القدوم عليه وكف سهامهم المتوقدة من الوصول اليه * أيها الصالح تباعد عن الغيبة ما اقتدرت وان كانت صادقة فانها ذات سوء ولا تقبل بسمعك اليها من غيرك لئلا تدان بلا رجعة ولا تقول كلاما ليس فيه منفعة لك ولا لمن يسمعه فتكون حياتك بغير نكد وان تكلمت فيكون كلامك بتميز وقياس ومسكنة وتحرز وتخفض صوتك بتواضع وهدو على مقدار ما يفهم السامع ما تقوله بلا مجاهرة وتحذر من الجواب بسرعة من غير جراءة ولا انتهار ولا محقرة ولا استصغار بل يكون بالسهولة والاكرام واللطافة والاحترام من أجل مخافة الله وتقواه والرجاء في خلاصه ونجواه واسمع ما قاله النبي * اقشعر جسدي من مخافتك لاني اضطربت من قضائك * اذا نصح الانسان في توبته بخوف الله ورهبته واستقام في جهاده ووصل الى غاية مراده يهزأون به الاشرار ويسخرون به السفهاء والفجار فيكون ذلك علامة لقبوله وآية على دنوه ووصوله فكما ان الخفاش لا يبصر ضوء الشمس لاجل عماه هكذا المعاند لا يصدق وعد الله ووعيده من اجل قامة هواه لان النعمة أبعدت عنه والموهبة التي أعطيت له انتزعت منه فاما الذي يخاف الله ويتقيه يكون عيشه ابدا مريرا كريها لان خشية الله دائمة في قلبه وذكر خطاياه لا يخرج عن ذهنه ولبه فاما الذي قد أعرض عن خطاياه ساهيا وشغلته دنياه عن ذكر الله ناسيا فلا يرجى نعيما ولا ثوابا ولا يخشى حسابا ولا عقابا لان محبة اللذات أعمت بصيرته وشهوة المعاصي قبحت سيرته * مخافة الله وتقواه والرجاء في خلاصه ونجواه تعطي الصبر في الشدائد واحتمال الاضطهاد المؤلم الزائد فواجب علينا ان نعلم ان مخافة الله تضرنا الى مجاهدة السيئات وتمنعنا عن الميل الى الوقوع في المعاصي والزلات فاذا دمنا على المجاهدة وامتنعنا من الزلل بالمعاندة وانتصرنا بالاتضاع والضراعة وسلكنا طريق العفة والقناعة دامت نعمة الله علينا بالانتصار وانهضتنا بالقوة والاقتدار وطردت عنا كل عيب مستحكم وأبعدت منا كل شر متقدم وأسعفتنا بالرجاء الذي لا يخيب واصعدتنا الى الدرجة الوافرة النصيب * مخافة الله تورث الانسان الاصطبار على الجوع والسهر وتعينه على احتمال الاذى والضرر وتنقذه من كثرة الالم والنوم وتسعفه بملازمة الصلوات والصوم * مخافة الله باعمال الوصايا

العدل غير مستحيلة وغائلتها هائلة شديدة طويلة فان صدعت الاعداء قلبك بفكر غير مستقيم وهوى يورطك في الالم الاليم فاستل تقوى الله مكان السيف الذى يسبق سرعة القضاء المازل وقاتلهم قتال الشجاع البطل الباسل بقراءة دائمة وصلوة مواظبة قائمة فان تقوى الله تقطع كل فكرة ردية وبها تحرم كل شهوة دنية واذكر اليوم الذى فيه تنطوى السموات وتدان فيه الاحياء والاموات وما يصيب الخطاة من الهول الشديد والخزى القادح المزيد والرجز المتضاعف والغضب المترادف والعار الفاضح بين الصفوف والمقت من الملئكة الالوف والغمة الواصلة اليهم والظلمة المحتوية عليهم والرعب الذى يصيبهم والضيق الذى ينوبهم حين يسمعونهم الامر اللازم والقول القاطع الجازم لتمض الاخيار الى الفرح والنعيم والاشرار الى الحزن وقرار الجحيم حينئذ يتضرعون ويبكون وينادون ويصرخون فلا يسمع منهم عويل ولا يشفى لهم غليل ثم يقال لهم اغربوا عنى يا ملاعين الى النار المؤبدة المعدة لابليس وجنوده فطوبى لذلك الانسان الذى خوف الله فيه فانه يكون هيكلا للروح القدس وذلك انه يرى نفسه رذالة عند كل واحد ويكون فى كل شدة حمولا صبورا ولا يمشى فى شئ من الغش ولا يفرح بظلم بل يكون بريا من البهتان والكذب ولا يرذل أحدا لا كبيرا ولا صغيرا ولا غنيا ولا فقيرا يهرب من العظمة والافتخار ومن دنونة العصاة والاشرار ولا يلتهب بالحمية والغضب ولا يتعربس بالغيرة والشغب وذلك ان الانسان اذا كان متشددا بتقوى الله وعاملا بالوصايا قاتلته الشياطين من خارج بالشهوات الجسمانية واللذات الوقتية وتماثيل اوجاع الخطايا والانواع لمختلفة الرزايا لكى يستجروا عقله الى ما يرومونه من الافعال الدنية وما يقصدونه من الحركات الردية لان خوف الله وتقواه يمنعانهم من الدخول عليه فاما اذا كان منحلا مما أمر الله به ونهى عنه كان قتالهم له من داخل صميم القلب لكون الطريق لهم اليه سهلة فيحكموا ظلمة العقل ويحجبوا ضوء التميز ويعموا البصيرة عن الطريق المستقيمة ويصيرفى اسرهم يسوقونه الى الافعال الفاضحة والاعمال المستشنعة القادحة فان رجع وتمسك بتقوى الله وحفظ وصاياه وأوثق نفسه برباط التوبة الخالص من معرة المرآء نادما على أفعاله القديمة واقدامه بالمرآة على المعاصى الذميمة وأخلص نيته فى المحبة والطاعة بما يفوق

منه فى حالتى الرخاء والشدة أكثر من مخافته من ملوك الارض الذين هم تحت سلطان الموت ومن مخافة السباع الكواسر والحيات النافثات السم ومايجرى مجراها واثقا بان الله قد أعطى المؤمنين به الذين يخافونه سلطانا يدوسون به الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولايمكن أن يضرهم شئ وبهذا نعلم ان التمسك بالتقوى ومخافة الله ينجى الانسان من مصيدة الشيطان ويوصله الى موضع الامن الذى لاخوف فيه ولاجزع ويجعل له زيادة فى الكرامة والسعى بالاستقامة فالشقاء بتقوى الله أطيب من النعيم بالاعمال المرذولة كما قد قيل ان المرض بتقوى الله خير من الصحة بعمل السوء فالتقوى هى نقاوة النفس فاذا سكنت فى الانسان هرب كل عمل سوء من أعضاء الجسد حتى لايتحرك لعمل شئ ردى لانه متيقظ بالتقوى فلا يقدر أن يعمل صغيرة ولا كبيرة مما لاينبغى لان التقوى تطرح عنه كل فساد و باطل لان الحكمة قالت يلتمسنى الاشرار فلا يظفرون بى لانهم لم يوآثروا تقوى الله لان كل من أراد الدخول لينال الحكمة فليتنق من وسخ الشر بتقوى الله و يتقدم وقد طهر * تنق أيها الانسان من دنس الشر بتقوى الله وافعل الخير مادمت قادرا عليه وتذكر الموت الذى ما منه فوت و تفكر فى مرارة كاسه التى لابد لنا جميعنا من شربها وارهب من شدة صعوبتها وكر بها الان أبانا الاول حتمها علينا بمخالفته وصية الله الخالق والعصيان على المحى الرازق وجنوحه الى طاعة الشيطان المارد و العدو اللعين الحاسد واعلم يقينا بلاشك ولاارتياب فى احضارنا للحساب يوم الدينونة والفزع والخوف الشديد والجزع حيث لاناصر ولامجير ولامنجد ولانصير وندان بالعدل على أفعالنا ونجازى بالحق كنحو أعمالنا فيالها من وقفة وما أصعب هولها ويالها من رجفة وما أشد قوتها وحولها فانهض نهوضا لايشوبه عائق وجاوز الحد فى عمل الخير اللائق قبل و رود الموت الوارد على من هو قبلك ولا يشغله شاغل عن الذى يأتى من بعدك فتكون آمنا على نفسك من خوف العقاب المؤلم الشديد والعذاب الدائم المزيد مسرورا بالنعيم المقيم الذى لايبلى ولا يتدنس والعيش اللذيذ الذى لايضمحل ولا يتنجس المذخور فى الملكوت فى جوار من له القدرة والجبروت مصونين للذين انقوا ربهم بالعبادة والايمان وفاقوا على عمل الوصايا بالفضائل الدائمة الاحسان واعلم ان مدة العمر قليلة ودينونة

ولم يخطر على قلب بشر كما شهد الكتاب وان كان الوعد جعلهم بمثابة واحدة من أجل الايمان فلا تجرى أحوالهم على نظام واحد بل ان كل واحد منهم ينال بمقدار اجتهاده وتدبيره وسيرته فى أعمال الفضيلة بدرجات متفاوتة وطبقات متباينة وعلى مثل هذا الامر يكون حال الذين وقفوا فى الميسرة وحسبوا من أبناء الظلمة يؤمرون اذ ذاك بالهبوط الى الظلمة ومواضع العذاب والعقاب فى النار التى لا تطفأ والدود الذى لا يموت حيث يكون البكاء وصرير الاسنان لينال كل واحد منهم بدينونة العدل مقدار أعماله النجسة وقبائحه المرذولة الدنسة فنسأل الله جل وعلا الذى منه كل عطية صالحة وكل موهبة راجحة بضراعة متضاعفة وطلبة متهاتفة ورغبة مترادفة أن يثبتنا على الايمان المستقيم باسمه المقدس الكريم ثباتا لا يقارنه شك ولا عيب ولا يشبه شبهة ولا ريب لكى نعد فى جملة الابرار والصديقين الاطهار كما هو مكتوب آمن ابراهيم بالله فحسب الله ايمانه له وذلك لان الايمان له الشرف على جميع الفضائل المشهورة والتطول على كل الحسنات المقبولة المبرورة لكونه الاساس الذى تبنى عليه المناقب المضية وبه تنجح الطرائق الحميدة المرضية كما هو مكتوب * انما البار بالايمان يحيا وكل ما لا يكون بايمان فهو اثم وخطية هذا ما أردنا ان نبينه فى شرح الايمان بالواحد القديم المنان

(القول الثالث على التقوى والمخافة)

بدء الحكمة مخافة الله لان الذى يتقى الله قد انفلت من حبائل الشرير ولا يقدر الشيطان أن يسبى عقله لان بخوفه من الله يخافه كل عدو ويمكنه أن لا يتقى أحدا من عظماء الناس ولا يدخل تحت طاعته فيما يسخط الله من غير خوف منهم ولا رهبة مع علمه بقدرتهم على عقوبته واهلاكه وبهذا يخلص من الخبث والمحاباة والخديعة والملق والمرآة ويكمل فيه حفظ جميع الوصايا وتكون همته مصروفة الى العمل بها باشتياق ونشاط وفرحة وبهجة واغتباط ولا يخاف شيئا أكثر من خوفه من الله وحده وان يكون عند اقبال الدنيا عليه بسعة خيراتها واستقامة أموره فيها من كل الوجوه مضطربا من خوف الله أكثر من مخافته فى أيام الضيقة والاضطهاد جزعا من الامهال له أو يكون قد أهمل شيئا من الوصايا المسنونة اما بالعمل واما بالفكر واما بغير علم فالذى قد صدق ان الله جل وعلا دائم البقاء والوجود فهو مستمر المخافة

منه

لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت ومثال ذلك ان الجرة
التي يصنعها الفاخوري عندما تكون طينا متى لبسها الماء تحللت
وتلاشت الى الفساد حتما لازما فأما اذا كانت مشوية في القمين شيا موافقا صار
فيها بالنار صلابة وقوة لم تكونا فيها أولا فاذا لبسها الماء زادها قوة
وصلابة وخرجت عما كان لازما لها أولا من التلاشي والفساد بملابسة الماء ومن
حيث ان القيامة شاملة للاخيار والفجار والصالحين والظالمين فانهم يقفون جميعا
أمام منبر المسيح له المجد بالامر الالهي كقول الكتاب * وحيث تكون الجثة
فهنالك تجتمع النسور فيكون الابرار في جانب اليمين في الضياء الذي يفوق
الشمس مبتهلين بالفرح لاتصالهم بالمسيح باريهم كما قال الرسول واحب أن تعلموا
أيها الاخوة عن الذين يرقدون لكيلا تحزنوا عليهم كسائر الناس الذين لارجاء لهم لانا
ان كنا نؤمن بأن المسيح مات وانبعث كذلك يأتي الله أيضا بالذين رقدوا بيسوع
المسيح معه ثم نخبركم بهذا عن قول ربنا انا نحن الذين نبقى أحياء الى مجئ ربنا
لا نلحق بالذين رقدوا الان ربنا بأمره وبصوت رئيس الملائكة وبقرن الله الذي ينزل
من السماء يبعث الموتى الذين ماتوا على الايمان بالمسيح وعند ذلك نحن الباقون
أحياء نختطف معهم جميعا بالغمام للقاء ربنا في الهواء وكذلك نكون مع ربنا في
كل حين فليعز بعضكم بعضا بهذا الكلام ثم يكون الخارجون عن الايمان
والمنافقون والخطاة في جانب الشمال مظلمين في خوف ورعدة وفزع وحسرة وندم
ورجفة مكتئبين منزعجين من شدة الامر الذي هم فيه كقول الرسول * لانكم
تعلمون يقينا ان يوم ربنا يأتي كمجيء اللص ليلا وبينما الذين يجحدون ذلك أو يقولون
انهم في هدو وسكون هنالك يهيج عليهم البوار بغتة كما يهيج المخاض على الحبلى
فلا يفلتون فأما انتم أيها الاخوة فلستم في ظلمة يدرككم فيها ذلك اليوم كاللص لانكم
جميعا أبناء نور ونهار ولستم أبناء ليل ولا أبناء ظلام فلا ترقدون كسائر الناس
والمفهوم المعلوم ان الذين قد وقفوا في الميمنة وحسبوا من أبناء النور يؤمرون بالصعود
الى ملكوت السموات في النعيم الابدي والبقاء السرمدي في جوار من له الحق
والامر ليرثوا الملك المعد لهم من قبل انشاء العالم ذلك الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن

لا غير ثم سيأتي عند انقضاء الدهر في سحاب السماء والقوات السمائيه معه بالمجد العظيم الذي يفوق الوصف وعلامة الصليب المقدس ظاهرة في السماء امامه وحينئذ تنوح جميع قبائل الارض كما شهد الكتاب وهذا القول دليل على ان مجيئه يكون والمسكونة عامرة والناس مستمرون على حالهم كجاري عاداتهم فعند ما يكونون مشتغلين بشأنهم يشرق نوره اشراقا يعم الارض كلها كقول الكتاب وكما ان البرق يخرج من المشرق فيظهر في المغرب كذلك يكون مجيء ابن البشر وعنى بقوله لهم ابن البشر انه يكون بالجسد الذي صعد به الى السماء وبه تكون دينونة الاحياء والاموات امثلا يظن ظان ان نزوله يكون بالقوة لا بالفعل وحينئذ يرسل ملائكته مع صوت السافور العظيم ويجمع مختاريه من الرياح الاربع من أقصى السموات الى أقصى الارض كما شهد الكتاب ويرد بارساله الملائكة الى الصديقين على مقتضى التجميل والتشريف وان يكونوا مضيئين مستبشرين بما أعدلهم في الملكوت السمائية ثم تباد الوحوش والبهائم والطيور والاسماك وتدرك المنون جميع من هو على الارض من الخطاة والمنافقين والذين ليس لهم ايمان ويصيرون الى الحد الذي صار اليه جميع من في القبور من أمثالهم ويفقد كل شيء على الارض ماخلا الناس المؤمنين الاخيار فانهم يختطفون في السحاب للقاء ربنا في الهواء ثم يبعث الذين رقدوا وهم ثابتون على الايمان بالمسيح وعاملون بوصاياه وأجسادهم قد انتقلت من الحالة الاولى الى حالة أخرى من حيث لا تنفعل بشيء من الانفعالات لا بجوع ولا بعطش ولا بتعب ولا بنوم ولا بذبول ولا بهرم ولا بشيء يشبه ذلك كما قال الرسول * يزرعون في فساد ويقومون في غير فساد يزرعون في هوان ويبعثون بالمجد يزرعون بالضعف ويقومون بالقوة يزرع جسدا نفسانيا وينبعث جسدا روحانيا وهكذا الذين تدركهم القيامة وهم أحياء تتغير اجسادهم كمثل ما تتغير أجسام الذين بعثوا من القبور وهم نظيرهم على حد سواء كما قال الرسول * وقد أقول هذا يا اخوة انه لا يستطيع اللحم والدم ان ينال ملكوت السماء ولا المتغير يرث ما لا يتغير وها أنا مخبركم بسر لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة كطرفة العين عند البوق الاخير فانه سيبوق فيقام الاموات عديمي فساد ونحن نتغير لان هذا الفاسد

وقبل فيه جميع الانفعالات والآلام والموت والدفن صعودا حقيقيا وبما ان
سيدنا الكل قد اكد لنا بقيامته من الاموات صحة القيامة العامة فكذلك قد أرانا
بالفعل حالة قيامة الاجساد في اليوم الاخير وكيف انها تنبعث لطيفة روحانية وذلك
انه بعد قيامته دخل على رسله والابواب مغلقة على انه لئلا يتوهموا ان جوهر جسده
بدل أو ان قيامته خيالية صرح لهم بان ينظروه ويجسوه قائلا لهم ان الروح ليس
له لحم ولا عظم كما ترون انه لي * ثم أراهم يديه ورجليه ثم أكل معهم وشرب لا لان
الطعام ضروري بعد القيامة بل ليؤكد في أنفسهم انه قام بذات جسمه الذي
مات به وقبر وهو الذي يصعد به الى الاعالي ثم ان صعوده تعالى الى أعالي السموات
لا يفهم منه انه كان بعيدا بلاهوته عنها وكيف يعقل ذلك في جناب اللاهوت الذي
لا يشغل حيزا ويفرغ حيزا آخر بل هو كائن في السموات وفي الارض لا يخلو منه
مكان ولا يحصره أيضا مكان وكما انه حل في الحشاء المريمي بغير أن يفارق سماء مجده
وكان محمولا بناسوته في البطن البتولي وهو كائن مع أبيه وروحه القدوس بلاهوته
فهكذا تحقق ان في صعوده الى أعالي السموات لم يكن مفارقا لها ثم عاد اليها بل نفهم
متيقنين ان العالمين العلوي والسفلي لم يخليا منه قط ولم يحيطا به لا قبل التجسد
ولا بعده وانما بصعوده الى السماء بناسوته الذي اتحد به قد تحققنا جيدا ان جميع
النفوس تعود الى أجسامها في القيامة وان نفوس الابرار لا تصعد الى السماء مجردة
من أجسامها بل تكون صاعدة بأجسامها الى الملكوت المعدة لها من قبل انشاء
العالم كما قال الرسول * انا جميعنا نلزم معون في الجسد نقوم قدام منبر المسيح ليجزى كل
امرء منا في جسده بما قدمت يداه ان كان خيرا أو شرا * وأما القول بانه جلس عن يمين
أبيه فالمراد به انه صعد الى محل عظمته الذي يعلو على كل محل شريف بناسوته
الذي اتحد به * ولما كانت اليمين من الاعضاء الشريفة جعلها البشير صفة ونعتا
لعظمة المحل لان الشئ الذي يكون له يمين لا بد ان يكون له يسار وما يكون له يمين
وشمال فلا بد ان يكون له طول وعمق وامام وخلف فيكون محصورا من الجهات
الست واذا كان محصورا فلا بد ان تدخل عليه الحدود وجوهر الباري جل اسمه
وتعالى ذكره غير محصور ولا محدود وانما المراد بذكر اليمين تعظيما للمحل الشريف

فى هذا واحد من المفسرين *ان هذه الامور التى حدثت فى ذلك الوقت أراد الاله بها ان يعلم اليهود الذين تعدوا عليه وقتلوه ظلما ان قدرته لم تحل وحياته لم تزل لكى يتيقظوا من غفلتهم و يعدلوا عن نفاقهم و يتعظوا بابن الجمادات واضطرابها التى قلوبهم أقسى منها واصلب و يرجعوا الى الايمان بالحق وقال آخر من المفسرين *ان هذه الامور التى جرت من اليهود على السيد كان خطرها عظيما وهولها شديدا ومن شدة الصعوبة اضطربت الجمادات اضطرابا شديدا وقال آخر أيضا *ان هذه الامور الكائنة أفرحت أهل السماء وأهل الارض لاجل خلاص أبناء البشر من عبودية الشيطان وخروجهم من الجحيم ودخولهم فى النعيم وتم قول الكتاب *عند خروج اسرائيل من مصر وآل يعقوب من شعب البربر صار يهوذا من قدسه واسرائيل صار سلطانه رآه البحر وهرب و رجع الاردن الى ورائه رقصت الجبال كالايل والتلال كأولاد الضأن وتزلزلت الارض قدام وجه الرب ومن امام اله يعقوب وقد سبق الايضاح فى غير موضع ان الامور العتيقة كانت على سبيل الرمز والمثال فهذه التى ذكرها النبى جميعها عن النفوس المحصورة فى الجحيم تحت سلطان ابليس وخلاصها من عبوديته المرة لان بموت المسيح صار للناس عتقا من عبودية الشيطان الذى دعاه النبى بحرا من أجل عظم حيلته وقال البحر نظر وهرب والمفهوم ان النظر والهرب لا يكون الا للحى الحساس والبحر ليس كذلك ودعا اعوانه بالاردن لانهم عند مشاهدة هذه الامور ولوا هربا ثم بعد ظهور هذه الآيات أنزل جسده من على الصليب ميتا كما تموت أجسادنا وكفن ودفن وقام من الاموات فى اليوم الثالث كما هو مكتوب ليعطينا بقيامته أن نكون بالرجاء واثقين بقيامة أجسادنا فى يوم دينونة العدل للحيوة الابدية روحانيين نظير ملائكة السماء كما شهد الانجيل المقدس ثم صعد الى سماء عزته و جلس عن يمين أبيه قوله *لم يصعد الى السماء الا الذى نزل من السماء ابن البشر الذى هو فى السماء وكقوله أيضا *فكيف اذا رأيتم ابن البشر يصعد الى حيث كان أولا وكان المراد بهذا القول تحقيق صحة الاتحاد وان البسيط والكثيف صارا واحدا فى جميع الانحاء وان هذا الاتحاد لا فرقة معه ولا ثنية فيه وانه صعد بجسده الذى اتحد به فى بطن مريم البتول

وقيل

عن هذه النوائب وراحة من هذه المصائب ثم بقى موقوفا فى جو السماء لا يقدران
يزول ولا يبرح ثم تصورت له أعماله التى بها عاند بارئه من أول الوقت الى آخره
واعترف بتجبارئه واقدامه على الاهوال الكثيرة العطب فحينئذ استعظم دية ابن
الله واندهل من كثرة احتماله وصبره على ما ناله من الآلام بالقول والفعل وبكت
نفسه أيضا قائلا * ان السموات وما فيها والارض وما عليها لا يقومون بقدر قيام ابن
الله بين يدى قيافا رئيس كهنة اليهود لحظة بصر * ولا سيما ما ناله قبل ذلك وبعده
وبما ان سيد الكل انما أتى ليحتمل الموت عنا بجسده المنزه من كل عيب وينقذنا
من تسلط موت الخطيئة الجديد بموته المحيى وقد أكمل ما جاء متجسدا بسببه احسانا
منه على النوع الانسانى مع حفظه ما يستحقه ابليس وجنوده من العقاب المريع
بالعدل ليوم حكمه العظيم المهول فمن ثم أصعد الرب آدم وجميع الذرية من الجحيم
وأعاده الى منزلته وأجاز معه جميع الابرار على مقتضى العدل فاما الاشرار فانه جعلهم
فى الارض وملائكتهم موكلين بهم الى يوم الدينونة فلو كان السيد خلص آدم
بجبروته وقدرته من يد الشيطان لما كانت الفضيلة فى ذلك محمودة ولا مذكورة
ولا ممدوحة من أجل ان قدرته على كل شئ وانما الفضيلة الممدوحة هى هذه الغلبة
على هذا الوجه العجيب المستغرب لانه رضى الضعف عن قوة والاتضاع عن رفعة
والموت عن قدرة وكان موته هكذا أى بان نفسه المقدسة فارقت جسده الشريف
مفارقة صحيحة * الا انها تقال على وجهين فمن وجه يقال انها مفارقة منفصله ومن
وجه آخر يقال انها مفارقة متصلة فالمفارقة المنفصلة هى أن نفسه فارقت جسده كما
تفارق نفوسنا أجسامنا والمفارقة المتصلة هى ان اللاهوت لم يفارق الجسم المائت ولم
يفارق النفس التى لا تموت طرفة عين فى نحو من الانحاء منذ بدء البشارة لمريم البتول
والى أبد الابدين فالاتصال بين البدن والنفس كان بواسطة اللاهوت مات الاله
بجسده الذى ليس له خطية ليعطينا نحن الخطاة الحيوة الدائمة لانه بكرمه وجوده
ورحمته قبل فى جسده الكريم ما كنا نستحقه وهو الموت وصرنا وارثين معه فى
ملكوته السمائيه والحيوة الابديه ولما فارقت النفس البدن انشق ستر حجاب الهيكل
الى اثنين من فوق الى أسفل والارض تزلزلت وتشققت الصخور وتفتحت القبور قال

وذلك انه قال كل من رآني مقتني تكاموا بشفاههم وحركوا رؤسهم وقالوا ان كان متوكلا على الرب فلينجه وليخلصه ان كان يحبه * ثم قال أحاطت بي عجول كثيرة اكتنفتني ثيران سمان فتحت أفواهها على مثل الاسد الزائر المفترس * ثم قال فيه أيضا أحاطت بي كلاب كثيرة اكتنفتني جماعة الاشرار ثقبوا يدي ورجلي وزعزعوا جميع عظامي ونظروا الي وتفرسوا بي واقتسموا ثيابي بينهم وافترعوا على لباسي * والمفهوم ان داود ما كان بالذي قد جرى في أمره شيء من ذلك جميعه وانما هذا قول الله على لسانه بما سيكون للمسيح من اليهود لكي يذكرهم بما سبق به الكتاب من أجله ويعرف بالشر الذي قدموا عليه * والنوع الثاني انه أراد ان يطرق لنا طريقا نسلكها متى ما وقعنا في الشدائد أي ان لا نقصد في شدائدنا بابا آخر سوى باب الله وحده لانه باب الحيوة والرحمة فلا يتوهمن أحد منا ان السيد جل اسمه قال هذا القول لمعنى آخر يخرج عن تلك المعاني التي تقدمنا بذكرها بل نحقق في نفوسنا باليقين الصادق ان المولود بالازلية على غير ابتداء المتحد بجنسنا هو القائل هذا القول كما شهد الآباء القديسون الناطقون بروح القدس الثلثمائة وثمانية عشر الذين دونوا الامانة المستقيمة وقالوا ان المولود من الاب قبل كل الدهور مولود غير مخلوق مساو لابيه في الجوهر ومن أجل خلاص البشر نزل من السماء وتأنس وصلب وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث وكان قصدهم بهذا القول ان يحققوا الناصحة الاتحاد في جميع الانحاء والابتعاد من القسمة والتثنية ولما أراد ان يسلم الروح بارادته توهم الشيطان تمام انتصاره على السيد بموته لكنه مذ كشف عن بصره الغطاء قليلا ورأى الملائكة والقوات السمائية مرتجة حول الصليب المقدس حينئذ تحقق انه ابن الله بلا شك فالتهب بالخوف والضيق والضنك الشديد منه وبه وانكفأ موبخا لنفسه كأنه يقول بلسان الحال * ان الفضل لله على كثير وأنا غير مستحقه وذلك انه بعد ما فعلته من الخطاء الردي جعل لي التصرف في الارض كارادتي من غير مانع وأخرعني ما قد وجب علي من العذاب الى اليوم الاخير بعد انقضاء العالم وأنا الآن قد استعجلت لذاتي العذاب بجراءتي على ابن الله بكل قبيحة ولقد كان لي بالشهادات التي سمعتها من السماء في نهر الاردن وعلى طور تابور غنى

الذى لا ماء فيه يعنى بذلك عن آدم وذريته الذين كانوا فى أسر ابليس و بدم المسيح انطلقوا من الجحيم ولما شاهد ابليس ما ناله من كثرة الهوان الذى صار اليه من الشتم والهزء واللطم والجلد والتعيير والبصاق وهو صابر الصبر الجميل محتملا بغير تكليف و يبتهج سرورا وطامع بالظفر والغلبة وكانت هذه الامور لكى تتم أقواله على ألسنة الانبياء كما قال داود النبي النهار كله يرددون شرهم صرت كالاصم الذى لا يسمع والاخرس الذى لا ينطق وكالرجل الذى لا يسمع ولا فى فمه موعظة ثم قال أيضا * على ظهرى جلد فى الخطاة وقال أشعيا النبي * تألم ولم يفتح فاه مثل خروف سيق الى الذبح ومثل حمل بغير صوت ثم قال أيضا * أعطيت ظهرى للسياط وخدى للطم ولم أرد وجهى عن خزى البصاق وأما أمر الصلب فقد بينه لنا بما أتى به فى التوراة والرموز والاشارات والامثال وذلك ان بنى اسرائيل لما كانوا سائرين فى الطريق طالبين بلد (ادوم) تذمروا على الله وعلى نبيه موسى فبعث الله فيهم حيات محرقة مسمومة فلسعتهم ومات منهم قوم كثيرون فأتوا الى موسى واعترفوا وقالوا انا قد أخطأنا اذ تذمرنا على الله وعليك ادع الله أن يزيل عنا الحيات فبأمر الله صنع موسى ثعبانا من نحاس وعلقه علما فكان أى انسان لدغ من حية فينظر الى الثعبان النحاس المعلق بايمان نقى يحيى وهذه الآية انما كانت اشارة بأن السيد سيصلب وكل من يؤمن به يصير الى الحيوة الابدية و يعتق من موت الخطية ولما صلبوه قسموا ثيابه بينهم واقترعوا عليها حينئذ حرضهم الشيطان على مواصلته بالشتم والخزى والهوان والهزء والكيد والاستخفاف شماتة به وتعييرا له ولما انتصف النهار اظلمت الشمس فلما رأى الشيطان ان الشمس قد أظلمت من نصف النهار الى التاسعة وان الظلمة غشت الارض كلها شمله الخوف واندهش مرتاعا ولما قال السيد كما يقول انسان خائف من الموت الهى الهى لماذا تركتنى وسمع منه الشيطان هذا القول زاد تحيره وعمى عن الحكمة السامية فى ذلك على ان هذا القول كان من سيد الكل لنوعين عجيبين أعنى قوله الهى الهى لماذا تركتنى فأولا أراد بهذا القول أن يتم قول داود النبي فى المزمور الحادى والعشرين لانه ابتدأ فى أوله فقال الهى الهى لماذا تركتنى ثم بعد هذا وصف ما سيكون من اليهود فى آلام السيد والاستهزاء به

الاغر آء مع مافى قلوبهم من الحسد والبغضة لسيدنا جدوا فى طلبه ليقتلوه وانتهت بهم الحال الى القبض عليه والاتفاق على قتله فقبضوا عليه * حينئذ أسلم ذاته للموت بارادة اختيارية ليفدى آدم من الموت لان آدم كان مستحقا أن يموت مصلوبا مهتوكا لاجل مخالفته الوصية وتعاظمه على بارئه وكونه صار قتالا لانه بمشيئته أعد الموت لنفسه فاقتضى عدله وتواضعه فى محبة البشر ان يوجب على ذاته الموت الذى كان لازما لآدم ويقبله فى الجسد الذى هو من عنصره حتى يفديه وينقذه من أسر الشيطان بغير قهر ولا اجحاف بل بالانحطاط والتواضع والانخفاض والتنازل ويبين لنا ان حد فضيلة الاتضاع هو الارتضاء بالموت لكى نقتفى آثاره اللطيفة ونسلك فى طرائقه الشريفة * فاما ما كان من كهنة اليهود ومشايخهم فانهم مضوا به الى بيلاطس كما يساق الخروف الى الذبح وانهوا له عنه ما قد رتبه الشيطان فى قلوبهم وقالوا ان هذا قد استوجب الموت من جهتين * الواحدة لنفاقه على الله بادعائه انه اله العالم * والثانية لنفاقه على الملك وادعائه بانه ملك اليهود فتبرأ بيلاطس من دمه واسلمه اليهم ليصلبوه كما يريدون فاخرجوه خارج المدينة وصلبوه كما تصلب اللصوص والقتلة * والمفهوم ان السيد لم يتحد بالبشرية الا ليصلب ويموت لاجل خلاص البشر وبيان ذلك قوله عن نفسه * أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن خرافه وقوله ان حبة الحنطة اذا لم تقع فى الارض وتمت بقيت وحدها وان ماتت أتت بثمار كثيرة وقوله لتلاميذه * ان ابن الانسان يتالم كثيرا ويرذل من المشيخة ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتلوه ويقوم فى اليوم الثالث * فمن هذا القول وامثاله علمنا انه بارادته أتى الى الصلب والموت وكما انه بدم الخروف المذبوح بمصر المرشوش دمه على اسكفات أبواب الامة الاسرائيلية حفظت تلك الامة من الآفة النازلة بابكار مصر وخلصها من أسر فرعون والمصريين واراحها من الذل والشقاء * هكذا دم المسيح المهرق على خشبة الصليب المقدس خلص آدم وذريته من أسر ابليس وجنوده وأراحهم من ظلمة الجحيم وجعلهم فى النور والنعيم كما تنبأ زكريا وقال * وأنت بدم ميثاقك أطلقت الاسرى من الجب

الذى

حيث لا يجعل لهم حجة يستندون عليها يوم الدينونة العدل فى عنادهم الحق ونصرتهم
للباطل كى يعتصموا بها من عذاب جهنم التى لا يطفأ نارها ولا ينام دودها فأما الشيطان
فانه كان ملازما لمراقبة السيد من وقت ولادته من العذراء الى حين عماده من يوحنا
لكونه كان يظن انه كواحد من البشر فلما سمع الصوت القائل من السماء هذا
هو ابنى الحبيب الذى به سررت اندهش من ذلك الامر وتحقق انه ابن الله أتى لخلاص
العالم وفك آدم وذريته الذين هم فى أسره ثم ان السيد صعد الى الجبل
وصام أربعين يوما بليليها ليس لانه محتاج للصوم بل لمجرد منفعتنا نحن اذ انه
بصومه أولا انتصر على ابليس فى تجربته اياه فأقنعه عن الطعام بان ليس بالخبز
وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ولما طلب منه الهبوط من على
جناح الهيكل قال له * مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك وعندما توهم ان يغريه
بالعاليات أبكمه بقوله * اذهب ياشيطان لانه مكتوب للرب الهك تسجد وله
وحده تعبد * ولعمرى انه فى هذا الانتصار حض أولا شوكة افتخار العدو
التى بها أسقط أبوينا الاولين أعنى حب الشراهة والعظمة * ثانيا وضع لنا ارشادا
كافيا لمحاربة ابليس * فقابل الشراهة بالقناعة * والكبرياء بالتواضع
* ومحبة العاليات بمحبة الله تعالى * الثانى انه بصومه أكد لنا فريضة الصوم
ولعمرى انه لا يكون أقوى برهانا على وجوب فريضة الصوم للمؤمنين من صيام سيدنا
له المجد هذا ولما انكفأ الشيطان مخذولا من هذا الانتصار وشاهد سموقداسة
تصرف سيدنا فكرا وقولا وعملا وكمال تعاليمه السنية وعجائبه المذهلة ازداد غيرة
وحسدا وبغضة وعمى عن تأمل الحق ونهض اخيرا بعزم شديد وأغرى حينئذ قلوب
كهنة اليهود ومشائخهم عليه بالحسد ووسوس فيهم بانه قد حل ناموس الله ونقض
السبت واتخذ له تلاميذ وتبعه جمع كبير من اليهود وان الحال اذا تمادى على مثل
ذلك انقاد اليه جميع شعب الله لما يشاهدونه من الايات التى يظهرها بسحره وانتم
قادرون على اهلاكه باثبات القول عند بيلاطس الوالى ومن هذا اتضح لنا
نفاقه على الله وعلى الملك لانه تارة يقول انه اله العالم وتارة يقول انه ملك اليهود
واليهود ليس لهم ملك آخر غير قيصر وبهذين الامرين يستوجب القتل وبهذا

من المؤمنين و يسجس قلوبهم فى أمر أزليته وفى أمر اتحاده بانواع شتى من الالحاد والتجديف والتبديل والتحريف لكى تكون العداوة بينهم و بين المحققين ظاهرة ذائعة والمصادمة لهم متسعة شائعة فاوضح لهم السبيل الى سلوك الطريق الواجبة والتمسك بالاراء الممدوحة الصائبة و بين لهم بهذه الاقوال تحقيق أزليته وقدم سلطانه وربوبيته واتحاد لاهوته الازلى بناسوته الزمنى الاتحاد الذى لا فرقة معه ولا تثنية فيه فى جميع الانحاء بغير انفصال وان اللاهوت المحتجب الذى لا يمكن ظهوره لخليقته مجردا ظهر بالناسوت وان الذى لا ينظر ولا يلمس نظر ولمس بالناسوت وان الافعال الالهية والافعال البشرية هى لفاعل واحد بمشيئة واحدة وارادة واحدة وان صحة الاتحاد أوجبت ان تكون العجائب والآيات والبراهين والمعجزات والازلية بغير زمان والقدم من غير آوان لناسوته بلاهوته وان تكون الانفعالات والالام والصلب والحدوث فى زمان موصوف وعصر معروف للاهوته بناسوته وان هذه الامور كلها العال منها والدون لشئ واحد من غير تثنية فيه بنحو من الانحاء وان كان قد قال عن نفسه انه مرسل أو انه أوصى بوصية أو انه لا يعمل شيأ من تلقاء نفسه وما يشبه ذلك فلا نصغى الى رأى فاسد ننسبه بهذا القول الى النقص لان هذه الاقوال وما يشبهها انما كان يقولها من أجل تكميل التدبير الذى أتى من أجله بمقتضى ما كان يراه من قرائن الاحوال * وكما ان الانسان المتحد من النفس والبدن الاتحاد الذى لا فرقة معه قبل الموت * فيه ما ينفعل وفيه ما لا ينفعل وفيه ما يموت وفيه ما لا يموت فالجوع والعطش والاكل والشرب والنوم والتعب وجميع الانفعالات لنفسه ببدنه * والتميز والفطنة والهمة والفكر والذكر والتصور والتخيل والرأى والوهم وما يشبه ذلك لبدنه بنفسه كما قال الحكيم * أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن ومزاج البدن فعال أخلاق النفس * والثانى منهما أراد به ان يوضح لليهود قدم أزليته وقدرته وسلطانه وقوته وما يعلمون بواسطته انه ربهم وخالقهم ومحييهم ورازقهم وديانهم على الزلات ومحاسبهم على الهفوات وانه الاله الحق الذى لا اله غيره ولا معبود سواه وانه السيد الكريم الغفور الرحيم ليطابق بقوله ما قد سبق من فعل المعجزات الباهرة والآيات المتواترة

السيرة الفاضلة الطوبانية وأوضح لهم مكتومات الاسرار الغامضة الروحانية وأوسع لهم في التعليم الذي يفضي أمره الى النجاح ليرشدهم به من الضلال الى طريق الهدى والصلاح فلم يصغوا الى كلامه ولم يثقوا بقوله انه المسيح وظنوا انه انسان ساذج مساواهم فاظهر لهم قوة الاهوته بالآيات التي صنعها بالامر النافذ على الفور لانه كان يقول للميت قم فيقوم لوقته وللاعمى أبصر فيبصر لساعته وللابرص قد طهرت فيطهر وللمرضى قد شفيتم فيبرأون لوقتهم وبأمر الشياطين بالخروج من الناس فيخرجون بسرعة بمفارقة ليس فيها رجعة ثم يقول للمقعد انهض واحمل سريرك فينتصب قائما ويمشي حامل سريره ثم أشبع الالوف الكثيرة من خمس خبزات وسمكتين هذا فضلا عن أمره للسمك الذي في البحر بأن يجتمع ويجوز في شباك الصيادين وللخنازير بالسقوط في البحر لتختنق والشجرة التي بالجفاف واليبس وللريح بالسكون وللبحر بالهدوء وآيات كثيرة غير ذلك منها ما كتبت ومنها ما لم يكتب كما شهد الرسول الطاهر يوحنا في بشارته وهم مع ذلك مستمرون في الطغيان نازحون عن الايمان وحينئذ جاهرهم بالوعظ القادح والتبكيت الفاضح والتهويل بالعذاب والتحذير من ألم العقاب فلم يجد ذلك فيهم نفعا ولم يطع قوله منهم الا نفر قليل العدد معما قد أوضحه لهم من أزليته وربوبيته وأشار اليهم ان هذا الانسان الذي يخاطبكم ليس هو انسانا ساذجا بل هو متحد بكلمة الله الازلي اتحادا لا فرقة معه وان له القدرة والسلطان ان يفعل أفعال أبيه بغير انقسام كقوله اني قد قلت لكم اني ابن الله فان لم أعمل أعمال أبي لا تؤمنوا بي وان كنت أعمل ولا تؤمنوا بي فآمنوا باعمالي لتعلموا وتؤمنوا ان الاب في وأنا في الاب وقوله أيضا اني قبل أن يكون ابرهيم انا كائن وقوله لا يصعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن البشر الذي هو في السماء وقوله ان لابن الانسان سلطان على الارض ان يغفر الخطايا وقوله اذا جاء ابن الانسان بمجد أبيه وملائكته المقدسين وقوله الحق الحق أقول لكم ان من يؤمن بي له الحيوة الدائمة فأراد بهذه الاقوال لهم نوعين الاول منهما انه قد سبق في علمه ان الشيطان العدو الذي لا يغفل ولا ينام عن أفعاله الردية وأعماله السيئة لابد ان يشكك المسترخين

المقدس من غير زرع رجل والولادة الشريفة و بتوليتها ثابتة لم تتغير والثانى منهما
انه فى حال التجسد تولى الفعل فى تأليف الاعضاء على التناسب فى أقطار الجسم
وتكوين الصورة البشرية على رسومها المعروفة فكان التأليف والتكوين من
جهته على مقتضى خرق العادة لكونه قام فى ذلك مقام الزرع الذى به تتألف
أعضاء جميع الحيوان الارضى الناطق وغير الناطق وأما تجسده من سيدتنا مريم
العذراء فانه أمر ظاهر لان المادة التى بها يكون النمو والنشو للجنين على التناسب
فى جميع أقطار الجسم كان من جهتها على مقتضى جارى العادة الطبيعية فكان
ولادته منها وهى بتول بسر غير مدرك بتعالى عقول البشريين و يفوق فهم العلماء
والفهيمين فأما اغتذاؤه بالرضاع ونشؤه فى القامة فان ذلك كان على مقتضى جارى
العادة الطبيعية ثم ظهر بين بنى اسرائيل كواحد منهم وتمسك بالسيرة الفاضلة
وأكمل كل البر وأقام بفرائض التوراة ودخل تحت شروطها ونواميسها وفاقها
وتمم نقصها واسترعب جميع فضائل الانبياء ومناقب الاصفياء وتعالى عليهم
بأفعاله الجميلة وفضائله الجسيمة الجليلة ولم يترك لاحد منهم فضيلة الا واستعملها
فوق حدها وزاد على رسمها بما لا يدركه قياس * هذا مع ان كل واحد منهم
يخص بفضيلة واحدة فأما هو فانه حاز وحوى جميعها وثبت فى تلك الامور
المذكورة مدة ثلثين سنة ثم فعل جميع أفعال البشر ما خلا الخطية فانه لم يعرفها
البتة لا بالفكر ولا بالقول ولا بالفعل ثم انه خرج الى عبده يوحنا بن زكريا الذى
أقر له بالازلية والربوبية بتواضع كواحد من خطاة اليهود الذين كانوا يخرجون اليه
و يعتمدون منه معترفين بخطاياهم وقبل منه المعمودية من غير حاجة
داعية اليها بل أراد بذلك أن يخصب اتضاعه وبره حينئذ استعلن لليهود
وأشار اليهم بأنه المسيح ابن الله الذى بشرت به الانبياء وقالوا انه المنتظر وصاحب
الامر ورجاء الامم وأنه أتى اليهم من أجل خلاصهم ومنفعتهم واستنقاذهم من
خطاياهم وآثامهم وضلالهم وطغيانهم وجعل يبشرهم بملكوت السموات
وجلالتها ونعيمها وكرامتها والمعد فيها للمؤمنين الابرار والصديقين الاطهار
من الخيرات العتيدة والحيوة الدائمة المديدة وكشف لهم ما كان مستورا عنهم من

الامر رضى ابن الله الوحيد الذى هو أزلى من أزلى على غير ابتداء وكان به كل شئ
ان يتواضع فى محبة البشر ويصير بأقنومه الكريم كصورة واحد منهم حتى
يخلصهم من أسر الشياطين فحينئذ نزل من السماء من أجل خلاصهم ولم يفارق كرسى
مجده بمسرة الاب وروح القدس من غير حركة انتقال يفرغ بها حيزا ويملأ بها
حيزا آخر وحل فى بطن مريم العذراء من نسل ابرهيم كما سبق له الوعد * ان بنسلك
تتبارك جميع الشعوب وتجسد من الروح القدس ومنها كما قال البشير * والكلمة
صار جسدا وحل بيننا * فقوله والكلمة صار جسدا فانه لم يرد بهذا القول ان
الكلمة استحال عن كونه أو تغير عن هيئته فصار جسدا بل أراد ان يعلمنا ان الملك لما
بشر السيدة البتول اتحد اللاهوت الازلى بالناسوت الزمنى الموجود من فعل الاتحاد
اتحادا حقيقيا أقنوميا طبيعيا اراد بالافرقة معه ولا تثنية فيه اتحد الازلى بالزمنى
واللطيف بالكثيف بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا استحالة أحدهما الى
الآخر كاتحاد الانسان من النفس البسيطة والبدن الكثيف وانسانيته واحدة
وجوهره واحد وأقنومه واحد وذاته واحدة وطبيعته واحدة وارادته واحدة وقوله
وحل بيننا أراد بذلك أن يحقق لنا تأنسه كما قد ابتدأ فى أول بشارته فوصف الهيته
وأزليته فقال فى البدئ كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله هو الكلمة كان
هذا قديما عند الله كل به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان * وكان المراد بهذا القول
أن يصفه بالازلية والربوبية وانه مساو لابيه فى الجوهر الذى به خلقت الخلائق
وبه قامت السموات والارض * ومعنى قوله حل بيننا أى انه اتضع واتحد بجنسنا
وأخذ صورة العبد وتأنس تأنسا حقيقيا لاشبهة فيه ولا ريب بجسم آدمى ونفس
عاقلة ناطقة وصار الى المتحدات الانسانية بمقتضى جارى العادة كالحبل به
والولود والرضاع والتدريج فى نشو والقامة الى حد البلوغ الى زمان الوقوف كجارى
عادة البشر * فأما معنى تجسده من الروح القدس فانه على مقتضى خرق
العادة لنوعين أحدهما انه بحلوله على السيدة الطاهرة فى كل زمان زادها قدسا على
قدسها وبراءا على برها ونزع منها ضعف البشرية وصيرها نظير العليقة التى رآها
موسى النبى وهى مملوءة نارا ولم تحترق ومنحها قوة استطاعت بها أن تقبل الحبل

وانتهت بهم الحال الى ان ذبحوا بنيهم وبناتهم وضحوا بهما للشياطين وأجابوا الى الكفر بالله على العلم اليقين والشياطين متوكلون بهم مغتبطون بضلالهم مبتهجون بأعمالهم وأى من انقضت حيوته منهم اختطفوا نفسه وأنزلوها الى طبقات الجحيم لينال كل واحد منزلته من العذاب باستحقاق على قدر آثامه التى فعلها وخطاياه التى عملها فلما رأى الاله الرحوم المحب للبشر ان صنعة يديه التى أخرجها من العدم الى الوجود وشرفها على سائر المخلوقات التى تحت السماء قد كثرت وتزايدت فى أسر الشياطين رحمهم بفضله وشاء خلاصهم من الاسر وافتكاكهم من السبى وانه لا يتركهم فى العذاب الى الغاية رحمة لهم ورأفة بهم ولما كان آدم قد تساوى مع ابليس فى الم الكبرياء والتعاظم وحلت نقمة الله على كل واحد منهما فى وقته من أجل الخطيئة التى فعلها اقتضى ان الله جل ذكره شاء بعد ذلك رحمة آدم والترآف عليه من دون ابليس اللعين لكى يظهر لهذا ثمرة الاتضاع والتندم والرجوع اليه بالتوبة وسكب الدموع فى طلب المسامحة والغفران وذلك ان ابليس أخطأ اختيارا من نفسه وآدم تمت الحيلة عليه حتى أخطأ بالخديعة * ابليس استمر على تعاظمه وطغيانه وآدم رجع الى ربه بالتوبة والندم * ابليس تأله على الله بالسرور والفرح بانه قد أخذ آدم منه بقوته وأبطل تدبيره فيه بحيلته وآدم لزم الحزن والاتضاع والبكاء والنواح فى طلب الغفران فلذلك رضى الله عن آدم واستمر سخطه على ابليس * ولما كانت حجة ابليس على بارئه بأنه قد تغلب على آدم وأخذه منه غصبا وانه اذا استرده منه باليد القوية صار غاصبا ظالما رأى الله تعالى جل اسمه ان سقوط آدم كان بألم الكبرياء والتعاظم فأراد ان ينهضه ويخلصه بفضيلة التواضع وان لا يجعل للشيطان حجة بقوله * ان الله لم يقدر أن يخلص آدم من يدى حتى غصبنى وظلمنى وخرج عن الحق والعدل وتوغل فى الغضب والظلم فاقتضت حكمة الله جل وعلا أن يكون خلاصه من حيث لا يقهر الشيطان بقوته التى لا تزول ولا يحجب به بالقدرة التى لا تعزل بل بتدبير مستغرب وفعل مستصعب يفوق حكمة الحكماء ويعلو فهم الفهماء ويحار فيه عقل ابليس ومبرته وتتحير به معرفته وفطنته ومن أجل هذا

النعمة التي هو مالكها وان يدخله في مداخله التي قدشاءها وفعلها فرصده وأطغاه بألم الطمع بالتاله والكبرياء حتى أكل من الشجرة المنهى عنها وعصى أمر باريه وخالف وصية ربه ومبديه وأخضع ذاته تحت حكم الموت وصار فقاتلا لنفسه لان الموت لم يكن له عليه سلطان قبل معصيته فلو أطاع الوصية وحكم عليه بالموت لكان موته ظلما وحاشا الله من الظلم وانزال السخط من غير جرم فوبخه الله على معصيته وعراه من نوره ونفاه من الفردوس المثمر الفضائل الى أرض الشقاوة التي تنبت شوك الآلام وقرطب الرذائل وصارت معيشته من كد يديه وعرق جبينه فلما رأى عريته ثم انكشفت له عورته ندم على ماقدم عليه وبكى على ماصارت نفسه الشقية اليه ثم اعترف بعظم خطيته الهائلة التي صنعها وقبح السيرة المرذولة التي وضعها فأبذل المجهود للرب الرؤوف المعبود في اقالته من عثرته وخلاصه من ورطته باكيا في الليل والنهار في طلب الاستغفار على الدوام والاستمرار لا على خروجه من النعيم الى الشقاء ولا على انخفاضه بعد الارتقاء بل على اهماله وعد الله ووعيده وترهيبه وتهديده ولما ملك الشيطان الغلبة عليه بخديعته وأخرجه من ناموس الله وشريعته استعبده قسرا وملك على رقه قهرا لان كل شئ ينغلب له الانسان اختيارا يتعبد له اضطرارا حينئذ تم سرور الشيطان وفرحته وتضاعفت له غبطته وقال ان الله يليق به العدل والحق وبذل الانصاف للخلق وآدم فقد عصى عليه ولزمني وخالف أمره وتبعني ومال الى طاعتي وقد صنع ارادتي ثم أخذته بقوتي صار تحت أمري ومشورتي واستعبدته بقدرتي وجعلته في مملكتي فان اغتصبه مني بقدرته وأخذه بسلطانه وسطوته فيكون قد خرج من العدل الذي يشبهه ويحبه ورضي لنفسه الظلم الذي يكرهه فصار له بهذا القول حجة يحتج بها على الله في خلاص آدم من مملكته على هذا الوجه ثم تناسل آدم وحوا وكثرت ذريتهما في الارض والشياطين مستولية عليهم بأنواع مختلفة من الخطايا والذنوب والنقائص والعيوب والانهماك في الشهوات الدنية والتمسك بالعوائد الردية ثم تنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم ولجوا في النفاق والطغيان وتركوا الله ربهم وعبدوا الاوثان فتضاعفت آثامهم وثقلت أوزارهم وقتلوا الانبياء ورجموا الاولياء والاصفياء

هذه الصفات غير الاخرى هكذا وصفنا للاله الواحد الاب والابن والروح القدس يعني بذلك الموجود الناطق الحي * ومن المفهوم ان ابليس كان رئيسا من الرؤساء الكبار في ملائكة السماء ولما تعدى طوره وامتنع عن القيام بما يجب عليه لباريه من الفرض المأمور به في جملة الرؤساء امتناعا اختياريا بألم التعاظم والكبرياء وخرج عن الحد المرسوم له من باريه مال وسقط الى الارض وسقط بسقوطه جميع الطغمة التي كان رئيسا عليها من أجل موافقتها له على هواه الردى فيئذ عرى من النور المشعشع اللامع وشمله الظلام المدلهم القاتم وهو مصر على جهالته ومقيم على طغيانه وضلالته قاليا الدواعي الندم والاستغفار وتارك للتنصل بالتوبة والاعتذار يسوقه نفاقه الى الآراء الفاسدة الكاذبة ويوهمه جهله بالظنون الباطلة الخائبة بأن الله جلت قدرته وتعالت عظمته وعزته شديد الحاجة المأمية اليه ومضطر الى التوصل بالاقبال عليه ليعيده الى عمارة المرتبة التي خلت منه ويأثره بالنور الذي ابتعد عنه فلاجل هذا الرأي الناقص الدني والوهم الفاسد الردي تضاعف عليه الحزي المتهافت وتواتر اليه اللعن المترادف حينئذ خلق الله آدم في جملة الخليقة التي خلقت على الارض وأكمل خلقته بما منحه من حسن الصورة والوقار والنور المشرق على الاستمرار وشرفه على سائر المخلوقات الارضية بالنفس العاقلة النطقية التي يصدر عنها التمييز والفطنة والفكر والهمة والذكر والتصور والتخيل والترهم وجعل فردوس النعيم موطنه وأمره أن يتمتع بجميع أثمار الشجر المنصوبة فيه كما يشاء من غير حائل ولا مانع ما خلا شجرة واحدة أو عز اليه ونهاه عن الدنو اليها والاكل منها ووعظه وانذره وأوصاه وحذره وقال أن بقبول الوصية تكون الحيوة وبخلافها يكون الموت وجعل له الاستطاعة بالتمييز والهمة أن يطيع وأن يعصي وأن يأكل وان لا يأكل وهذه هي فضيلة النطق فلما رآه ابليس وما قد منحه الله به من الجلالة وحسن الصورة والنور والمضي الذي شمله استدل بذلك على ان الله مستغني عنه فزالت طمعته بالرجعة الى رتبته الاولى وتأكد ان الله يعمر مرتبته بادم فتمكنت منه حينئذ العداوة وابغضه وقصد سقوطه واهلاكه لما رآه من كرامة الله له حسدا ومن كونه يرث مرتبته ومنزلته وان يزيل عنه ما هو عليه من

من غيره لزمنا أن نسميه ونصفه بما سمى به ذاته و وصفها من حيث أن لا نعدل عن
المعانى التى قدمنا ذكرها آنفا وهى الوجود والنطق والحيوة فاذن قد لزم من جهتى
المعقول والمقبول الاقرار بالاقانيم الثلثة وخاصياتها الثلث لاله واحد * فالاب له
خاصية الابوة وليس هو ابنا ولا روح قدس * والابن له خاصية البنوة وليس
هو أبا ولا روح قدس * والروح القدس له خاصية الانبثاق وليس هو أبا ولا ابنا
فقولنا أبا يفيد معنى هو غير المعنى الذى يفيده قولنا ابن وغير المعنى الذى يفيده
قولنا روح قدس من أجل الوجود * وقولنا ابن يفيد معنى آخر وهو غير المعنى
الذى يفيده قولنا أب وغير المعنى الذى يفيده قولنا روح قدس من أجل
النطق وقولنا روح قدس يفيد معنى آخر وهو غير المعنى الذى يفيده قولنا أب
وغير المعنى الذى يفيدنا اياه قولنا ابن من أجل الحيوة المنبثقة من الاب فى الابن
فالاب خالق بذاته ناطق بالابن حى بالروح القدس * والابن خالق بالاب لانه أشرق
من جوهره من غير افتراق منه وهو ناطق بخاصيته حى بالروح القدس * والروح
القدس خالق بالاب ناطق بالابن حى بخاصيته ثلثة أقانيم ثلث خواص جوهر واحد
اله واحد معبود واحد سلطان واحد ذات واحدة قدرة واحدة مشيئة واحدة من
غير انقسام ولا افتراق ولا انفصال ولا تضاد توحيد بالذات وتثليث بالصفات * ثم قلنا
ان الولادة الطبيعية تقال على نوعين فمنها ولادة كثيفة بمباضعة وتناسل وتقدم الوالد
على المولود وتأخر المولود عن الوالد كولادة اسحق من ابراهيم وكولادة سليمان من داود
ومنها ولادة لطيفة من غير مباضعة ولا تناسل ولا تقديم ولا تأخير بغير زمان ولا
انفصال ولا افتراق ولا انعزال بين الوالد والمولود كولادة النفس للنطق وولادة
قرص الشمس للضوء وولادة النار للحرارة فالاب لم يزل والدا أى ناطقا والابن لم
يزل مولودا أى نطقه والروح القدس لم يزل حيوة منبثقا من الناطق الى نطقه فليس
الاله ثلثة بمعنى ما هو واحد أى انه ليس ثلثة جواهر ولا ثلث ذوات بل جوهر
واحد ذات واحدة ومعبود واحد ورب واحد وليس هو أيضا واحدا بمعنى ما هو ثلثة
أى انه ليس بموصوف بصفة واحدة بل موصوف بثلث صفات كل صفة منهن غير
الاخرى فكما اننا نصف النار الواحدة بالاشتعال والضوء والاحراق وكل صفة من

وانما ضرب الامثال يقرب المعنى ويصور فى العقل لنفوسنا مالا نقدر أن نوفيه حقه
فى الوصف كما قد سبق الفيلسوف وقال * ان قوانا قاصرة عن توفية البحث
حقه فى الامور الالهية والا فقمنا حيث كانت هى فى غاية الجلاء والوضوح
وحقيقتها ثابتة لها وربما كانت عندنا بالتمثيل والاشارة ومثل هذا كنحو بصر
الخفاش فى ضوء الشمس فان كان بضعف كلامنا بعيدين من القول فى ذلك على
حكم الاستحقاق فلا يجب لنا أن نقف عما تصل اليه قدرتنا فيما عزمنا عليه على
مقدار استطاعتنا ولا يلزمنا بالقول ان كل واحد من الاقانيم جوهر بأن تكون
الجواهر ثلاثة وبهذا بعينه لا يلزم أن يقال ثلاثة آلهة أو ثلاث ذوات بل جوهر
واحد واله واحد وذات واحدة وكل أقنوم من هذه الاقانيم بالجوهر الواحد فعله
فعل الآخر بغير انقسام لان التثنية والتكثير انما تقع على الاقانيم والخواص
كما سبق به ايضاحنا وهى لاله واحد ومعبود واحد لا يحويه مكان ولا يحصره عصر
ولا زمان متوحد بجوهريته منفرد بوحدانيته ولو فرض أن يكون أكثر من واحد
لا نخرم ذلك الفرض على مفرضه باعتزال الواحد من الآخر لان اعتزال الواحد
من الآخر يوجب أن يكون كل واحد منهم محصورا وكلما هو محصور يقع عليه
التحديد وكلما هو محدود يجب عليه الحدوث وكلما هو حادث يجب أن يكون له بداية
وكلما كان له بداية فلابد أن تكون له نهاية وكلما كانت له بداية ونهاية فليس هو
أزليا وما كان غير أزلى لا يمكن أن يكون الها واذا قد قررنا من جهة المعقول
بالبراهين الممكنة والدلائل المحكمة المتقنة وحدانية البارى تبارك اسمه وتثليث
اقانيمه وخواصه بالازلية الواحدة الخالية من التقديم والتأخير والتكبير
والتصغير. ولهذا يلزم مع ذلك أن نورد مما أخذناه من جهة المقبول الذى هو من
المقدمات التى لا تحتاج الى فكرة ومن شروط الرضى والتسليم لتحقق به القول فيما
قد أوضحناه من جهة المعقول فى التوحيد والتثليث فمن ذلك قول الرب لتلاميذه
بعد قيامته اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم وعمدوهم بسم الاب والابن وروح
القدس وعلموهم حفظ جميع ما أوصيتكم به * ولما جاءنا هذا التوفيق من الله جل
وعز بانه سمى ذاته أبا وابنا وروح قدس وان هذه التسمية وهذا الوصف لم يكونا

من

ربوبيته واشارة الى وحدانيته لامن أجل عزته وقوته ولامن حيث جبروته وقدرته لان سلطانه يجل عن الصفات وعظم شأنه يفوق النعوت المكرمات بل أراد أن يفهمنا بذلك انه محيط بكل شئ علما ولا تحيط به نهايات العلم وانه دائم البقاء والوجود وهو الاله المعبود * فاما وصف الناس بالاسماء الحسنة فهى للبارى جل اسمه على الحقيقة وهى لهم بالاستعارة لان الاشتراك انما هو فى الالفاظ وأما فى المعانى فليس بينهم وبينه نسبة كقولنا عزيز وحليم ورؤوف ورحيم وجواد وكريم وعالم وحكيم ونظائر ذلك والذى اجتمع على صدقه العامة من الناس والخاصة منهم وهم متفقون عليه جميعا ولا يجوز لاحد أن ينكره ولا يدعى فساده انه لا يكون فعل لغير موجود ولا يكون فعل ارادى لغير ذى حيوة وانه لا يكون فعل محكم لغير ذى نطق فأى صفة أخذتها من هذه الصفات الذاتية الثلث مع الجوهر العام لها ان شئت أن تقول الها كان ذلك جائزا وان شئت أن تقول أقنوما كان ذلك أيضا جائزا لان الثلث لشئ واحد وهذه اشارة الى الجوهر المعتبر مع كل صفة منها وذلك لان العقل يصدر عنها لا عن واحد منها وذلك ان هذه الاقانيم الثلاث متفقة فى الجوهر مختلفة فى الاقنومية لان كل اقنوم منها له خاصية غير خاصية الآخر وكل واحد منها جوهر بمعنى انه ليس فى موضوع يجمعها الجوهر الواحد العام لها وهو واحد بالعدد ولن يقال انها ثلاثة جواهر كما انه لا يقال انها ثلاثة الهة وبيان ذلك انا قد نقول اذا كان ابرهيم متطببا وكاتبا ومهندسا فابرهيم ليس هو ثلاثة أناس بل انسان واحد والانسان أيضا نفسه جوهر وجسمه جوهر وعقله جوهر وفيه جواهر كثيرة وهى جميعها جوهر واحد ونريد نعلم ان المثل ليس هو كالمثل لان الامر أعظم أن يوصف بالحقيقة بل من طريق التشبيه والتمثيل لا على طريق التحقيق والتحصيل الذى لا يفهمه الا رب العالمين واله الخلائق أجمعين وذلك ان من المحسوسات أشياء كثيرة نعرفها معرفة صادقة لو ألزمنا بوصفها على الحقيقة لعجزنا عن وصفها على التحصيل وذلك انه لو قيل لنا ما هو الفرق بين رائحة المسك ورائحة العنبر أو ما الفرق بين طعم التفاح وطعم السفرجل أو ما الفرق بين حمرة الورد وحمرة الجلنار لعجزنا عن تأدية الوصف لشئ منها على حقيقته لاسرار غامضة غير مدركة ولا محسوسة

تخلق ولما أثبتنا وجود الخالق وأثبتنا انه جوهر فلا بد من اثبات الحيوة لان صدور الفعل الارادى من غير حى محال فى ذاته * ثم لما ثبت وجود الصانع والحيوة فلا بد من ثبوت النطق لان الافعال المحكمة لا يمكن أن تكون من غير ناطق ولهذا قد وجب بلازم الحق ان نصف جوهر الخالق الموجود الحى الناطق والاقرار بأن معنى الوجود غير معنى الحيوة ومعنى الحيوة غير معنى النطق وان لكل واحد من هذه الثلث معان غير الاخر بدلالة صحيحة لا يشك فيها ولا يرتاب ثم لما كان الحق قد أوجب بالبرهان الصادق ان نصف الخالق الموجود الحى الناطق لزم ان نبين انه لا يكون موجودا على الحقيقة الا من اشتق له ذلك من الوجود فانه لا يكون حيا على الحقيقة الا من اشتق له ذلك من الحيوة وانه لا يكون ناطقا على الحقيقة الا من اشتق له ذلك من النطق لان الوجود والحيوة والنطق صفات ذاتية جوهرية وذلك ان الصفات الذاتية لا تصح للموصوف ولا يجب أن ينعت بها الا من جهة الاشتقاق لها من غيرها الا ان لكل موجود وجود ولكل حى حيوة ولكل ناطق نطق وذلك ان العدم والموت والجهل انما تنتفى على الحقيقة بالوجود والحيوة والنطق التى بها يجب أن يسمى الموصوف موجودا حيا ناطقا وهذا القول من الاقاويل التى يجتمع على صدقها كل أحد الا الذين يقصدون عناد الحق لان هذه الصفات المذكورة صفات جوهرية ذاتية فأى صفة ذكرتها منها لا يمكن أن تستلزم معها جواهر أخر والدليل على ذلك انا اذا قلنا بصيرا استلزمت هذه الصفة معها المبصر وان قلنا سميعا استلزمت معها المسموع به واذا قلنا قادرا استلزمت معها المقدور عليه وان قلنا جوادا أستلزمت معها المجود عليه واذا قلنا عالما أوجبت معها المعلوم به وما أشبه ذلك فاما هذه الصفات الذاتية ان قلنا موجودا لم نجد هذه الصفة تستلزم معها جوهرا آخر سواه وان قلنا حيا فلم نجد هذه الصفة تستلزم معها جوهرا آخر وان قلنا ناطقا فلم نجدها تستلزم معها شيأ غيره لان هذه الصفات الذاتية وان كانت كل واحدة منهن غير الاخرى فهن لذات واحدة وجوهر واحد * وقد يجوز وصف الخالق جل اسمه بكل الصفات الحسنة التى هى غير الذاتية من غير اشتقاق وذلك انه قد سبق فوصف جل الثناء بها على ألسن أنبيائه الابرار ورسله الاطهار دلالة على

المقدسة الارثوذكسية الواحدة الجامعة الرسولية فى الامانة الهادية المستقيمة المشرقة النيرة الكريمة بدلائل مقبولة وبراهين معقولة لان اقامة البرهان على صحة الحق ووجوب الحجة على صوابه أمر واجب على كل أحد من الناس هذا مع المواصلة الى الله تقدس اسمه بالتضرع فى الهداية الى اصابة الحقيقة والالهام بالعناية العالية الى ماتنتفع به الخليقة وتهتدى به المغرورون الى سلوك الواجب وتمنع الملحدين عن مدافعة الحق الصائب فنبتدئ ونقول

ان البرهان العقلى يدلنا على ان الوجود لابد له من صانع لما نشاهده من تغيره وما نراه من اختلاف الليل والنهار وائتلاف المتضادات مثل النار والهواء والتراب والماء وما نبت به أنواع الحيوانات من الماشى والطائر والسابح من حسن الخلقة وجمال الصورة والاغذية التى توافق كل نوع منها والآلات التى منفعتها بها ظاهرة مثل العينين للبصر والاذنين للسمع والمنخرين للشم والرجلين للسعى والاسنان للقطع والاضراس للمضغ والفم لتناول الغذاء والامعاء لتحصيله والقوى الاربع لتصريفه وهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة ولما كان العيان شاهدا لنفسه علمنا بالتمييز الصادق أن هذه الاشياء لم تكن منفعلة من نفوسها على هذا النظام المستقيم لائتلاف مافيها من التضاد فقلنا انه لابد ان يكون لها شئ غيرها قدسبقها يتعالى عن رتبة المخلوقات فرتبها على ماهى عليه من هذا النظام العجيب وأحسن فى ابتداعها بقدرته وأتقن نظامها بحكمته * واذا قد أثبتنا الآن بالبراهين التى لاتخرم وجود الصانع وابتداع خلقته العجيبة ثم رأينا بعد ذلك ان كل شئ موجود لابد له من أحد قسمين وهى اما أن يكون قائما بنفسه ولايحتاج فى وجوده الى غيره وهذا هو الجوهر واما أن يكون قائما بغيره ولاقوام له بنفسه ومفتقرا فى وجوده الى سواه وهو العرض وان هذين القسمين ليس لهما ثالث وان أشرفهما القائم بنفسه وهو الذى لايحتاج فى وجوده الى غيره ولما كان البارى تعالى أشرف الموجودات جميعها وانه هو الذى شاء فخلق وجب أن نصفه بالقسم الشريف وهو الجوهر ولهذا قلنا انه جوهر لا كالجواهر المخلوقة لنثبت بذلك وجوده وننفى عنه العرض كما قلنا انه موجود لا كالموجودات المخلوقة لانه شاء

مستحقا القبول الفيض الالهى والاتصال ببارئه فى حيوة الابد التى ليس لها نهاية ولا أمد وهذا ما أردنا أن نبينه ولله المنة والاكرام الى الابد آمين

(القول الثانى من أجل الايمان بالواحد القديم المنان)

نشكر الله الذى أمر فعدل وأعطى فأجزل وشرف دينه وعظمه وأعلى شأنه وكرمه وجعلنا أهلا للايمان الموضوع على الحق المحقق والصدق المصدق من غير شبهة ولا تحديف ولا لبسة ولا تحريف (أما بعد) فان آباءنا الفضلاء السابقين وأئمتنا النجباء السالفين الذين سمت بهم همتهم الى المنزلة الطوبانية وانتهت بهم فطنتهم الى معرفة العلوم الروحانية ثم كشف لهم بالعناية الالهية سرائر الدين فصاروا له أهلا على العلم اليقين لم يتركوا لخلفهم حجة فى معنى الامانة المستقيمة بما أثبتوه وبينوه وأوضحوه ودونوه فأشرقت بمعانيهم المتقنة أنوارها فى الآفاق واستنارت بألفاظهم المبهجة عقول ذوى السيادة والاعراق والرغبة الى الله جل ذكره فى الالهام الى علم ما قد أصلوه والافهام بما قد شرحوه وفصلوه والوصول الى التقرب لهم لا الى المساواة بهم التفوز بالانتماء اليهم وليكون تعويلنا فى الاسناد عليهم لان فضيلة السلف نافعة للخلف وفضل المتقدم بالسبق وان صغر شأنه يعلو على المتأخر ولو ارتفع مكانه فنسترسل برشد الله وتوفيقه ونوجز فى القول مما فهمناه عنهم من المعانى المحكمة واستفدناه منهم من الاشارات المتقنة المبرمة بألفاظ لطيفة المعنى توافق أهل وقتنا وتطابق أناس زماننا وعصرنا على طريق الاجمال والاختصار والتلطف بما يمكن من الاقتدار (فنقول) ان أحسن ما وجب على الانسان هو اخلاص نيته فى الايمان والتباعد من الشك والريب والتنصل من النقص والعيب بيقين صادق وعلم غير مارق وان يجاهر بمذهبه أهل الوقت ولا يبالى بما يلج عليه من البغض والمقت ثم يكون ثابتا للاهوال فى التمسك بالعقيدة الصحيحة ويجاهد فى نصرتها مجاهدة ظاهرة صريحة مبتهجا بالحق والموت القاتل رافضا لحيوة الدنيا والباطل متمسكا فى ذلك بقول الكتاب المجيد المقدس * لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس بل خافوا بالحرى ممن يقدر أن يهلك النفس والجسد جميعا فى جهنم * ومن هذا قد وجب علينا ان نبين ونوضح ما استقرت عليه قاعدة البيعة

كرها وانما الافتخار الثابت الصادق الذى به يكون التفاوت بين الناس فهو الذى يقتنى الفضائل فى محبة الله بعمل الوصايا التى توصله الى السعادة المؤبدة والغبطة المخلدة ويكون مع ذلك يعود نفسه الشوق الى مبدئه والاتصال بمبدعه ومنشئه بقطع الهمة عن هذا العالم والامتناع عن جميع العوارض الضارة فيه ورفع الهمة والنية الخالصة الى تجديد الاشواق العقلية بنوع يفوق عن نوع قوته وذلك لايمكن الا باستعمال حركات ومشقات اذا تجردت النفس لاضدادها عن ذاتها وشغلت بها عن الامور الدنياوية مثل حفظ النواميس الشرعية والآلام الجوعية والحركات الصلاتية والمشقات السفرية عند قطع البلاد القاصية قصدا نحو الهياكل الالاهية والاماكن المقدسة الزكية والتعود بالوحدة والاخلاص فى العبادة بالنسك والورع والمسكنة والاتضاع والمغفرة للمسيئين والمحبة للمبغضين فاذا تعهدت هذه الامور صارت فاضلة بالفعل دائمة التشوق الى من حقها أن تشتاق اليه وتطلب الفرار عما حقها أن تفارقه وشاركت فى طبيعتها الملائكة وحينئذ تنكشف لها جميع الحقائق وتتصل بالفيض الالهى فى جوار صاحب العرش الذى ترفع الايدى اليه فى جميع الادعية لاجل انها استعملت العدل الذى به تقسط الاشياء تقسيطا على ماينبغى من التلطف الذى به يوضع كل شئ فى موضعه واذ قد بينا الان فيما سبق به الايضاح ان الانسان جوهر واحد ووجه واحد وطبيعة واحدة مركب من جسم كثيف ونفس لطيفة قابل الاعراض والانفعالات والفساد بجسمه لا بنفسه يجوع ويعطش وينام ويتعب ويتألم ويموت بجسمه لا بنفسه وله النطق والعقل والتمييز والفطنة والادراك والتمكن من تصور المعقولات وقبول الاسباب الموافقة والاستدلال على منفعتها بنفسه لا بجسمه وان الامور التى خلق من أجلها هى أن يكون الانسان بكليته فى جميع تصرفاته منقادا الى أخلاق النفس العاقلة الناطقة التى بها صار انسانا وعظمت همته ومتخلقا بفضائلها وهى حسن العبادة واعتماد الخير والعدل والمحبة والعفة والتواضع والطاعة والنسك والقناعة متجنبا للتجديف والفجور والفواحش والشرور والبغض والتعاظم والظلم والحسد ليبلغ بذلك الى حد التمام والكمال وليكون

سوى الله وحده تبارك وتعالى والمفهوم ان من الناس من له منزلة فى الفضيلة ومنهم من لا منزلة له فى الفضيلة فالذى لا منزلة له فى الفضيلة هو الذى تكون تصرفاته كلها بحسب دواعى شهواته وغضبه فظاهر أمر هذا انه لا يفعل خيرا البتة بل أفعاله كلها شرور لان فعل الخير انما يحكم عليه بأنه خير اذا ما فعل على شروط منها انه يفعل من أجل ما يجب فأما اذا فعل من أجل ما لا يجب كان شرا فقد ظهر ان الذى قصده التمكن من دواعى شهواته وتنعيم ذاته فيها لا حظ له فى الفضيلة البتة فأما الذى له منزلة فى الفضيلة ان كان من داخل قد تاقت نفسه الى دواعى الشهوات غير انه يمتنع و يتصون لئلا تظهر أعماله الردية فظاهر أمره انه ليس بكامل الفضيلة فهو من خارج معمور بكامل جميل الفضيلة ومن داخل خراب وناقص وقبيح الرذيلة وان كان قد تلطف بكل ما يمكن ان يتلطف به حتى منع أفكاره من الجولان حول دواعى شهواته و يأخذ نفسه بالفكر فيما يجب للخالق عليه وما يجب عليه للمخلوقين من غير ان تجول أفكاره فى شئ من دواعى الشهوات اليه و يستميت آماله العالية ولا يخطر بباله شئ منها ابدا فيكون قد صحت نفسه وعرفت ما يجب عليه للخالق عز وجل وما يجب للمخلوقين أيضا اذ كانت غاية الفكر الصحيح هى الظفر بعمل الواجب فيكون فيما يعمله و يستجلب ما يجهله بالتعليم حتى تستولى أفعاله على الفضائل جميعها من غير ان يشوب أفعاله شئ من الترتيب أو التوقيف أو النوانى أو الاسترخاء و يأخذ أمور الدنيا بالتغيير والزوال والتبدل فتهرب نفسه عنها وعن الفكر فى شئ منها فينقطع غاية الانقطاع بجميع قواه وأفكاره عنها و يشكر الله تعالى على فضله و ينقطع بكليته اليه ويتصل به و يمتلئ عقله منه ولا يلاحظ شيأ سواه فيكون ايصاله به دائما اذا كان لا يمكن أن تكون له عودة الى الامور الدنيا وية البتة لان الذى يصغى الى الامور المحسوسة و يصرف فكرته فيها فهو منحل من كل رباط ومنجذب الى غير الصواب وذلك ان النوع الانسانى بكليته من أب واحد وأم واحدة متساوون فى الانسانية فمن كان منهم مفتخرا بغناه أو بجاهه أو برئاسته فان افتخاره هذا غير ثابت وذلك لان أمور هذه الدنيا جميعها زائلة متغيرة وان ثبتت لصاحبها برهة من الزمان أتاه الموت وأفرقه منها بالحسرة والندم

الشهوانية ومن المفهوم ان الذى تخالطه هذه النقائص فليس هو محسنا لذاته ولا منحلا من رباطات زلاته والاجدر به أن يكون فى كل وقت متأملا لامره ومستوضحا لسيرته ومستقصيا عن عيوبه ونقائصه حتى ان وجد فيها مايشينه فارقه بالنزوح عنه والبعد منه ورجع عائدا الى مايعلى درجته ويرفع رتبته واذا كانت المقاصد التى من حق المرء فى ذاته ان يسعى فيها ويقوم لها غير منخدع فى قيامه ولا مفترفى سعيه لايمكنه ان ينالها ولا يصل اليها الا بعد التفتيش على نفسه والاستقصاء بغاية مايمكنه من الحرص البليغ حتى لايخل قيامه بشئ من حقوق الله جل ذكره الواجبة عليه وحقوق الناس أيضا مستشعرا مع ذلك رهبة الله وخشيته باليقين انه بعيد من الطريقة التى توصله الى مقصده ويكرر أبدا قول الانجيل المجيد * واذا عملتم كل البر فقولوا انا عبيد بطالون انما عملنا مايجب علينا * وقد قيل ان راحة النفس ليست فى البطالة بل فى ادامة العمل بالفضائل وهذا أعلى مراتب النفس أن يكون الفعل خيرا محضا ويفعله فاعله من اجل نفسه لامن اجل شئ آخر لان رتب الفضيلة كثيرة بعضها فوق بعض وسبب ذلك اما اختلاف اخلاق الناس واما تنوع منازل الناس من العلم والفهم واما مقادير هممهم واما مقادير شوقهم ومعاناتهم واما بحسب نجواتهم وقرائحهم فاول رتب الفضيلة هو أن يتصرف الانسان فى ارادته الى مصالحه فى الامور بقدر لايخرج به عن الاعتدال الملائم لاحواله الحسية اعنى بقدر معتدل غير مفرط وذلك انه يجرى فيه على صواب التدبير المتوسط فى الفضيلة والرتبة الثانية على رتب الفضيلة هى ان يصرف الانسان فيها ارادته الى الامر الافضل من صلاح النفس من غير ان يدنس ذلك بشئ من الاهواء ولا يتلبس بشئ من الشهوات ولا يكترث بشئ من المقتنيات المحسوسة الا ماتدعوه الضرورة اليه ثم تكون النقلة من هاتين الرتبتين الى المرتبة الثالثة من رتب الفضيلة التى هى المرتبة العالية المحضة وهى التى يمتلئ العقل منها بالله عزوجل فلا يمكن ان يتشوق الانسان الى ماياتى ولا يلتفت الى مامضى ولا يضر باحد ولا يطلب حظا ولا يتعلق الا بما تدعو الضرورة اليه من حاجة البدن وبالجملة لايكون له قصد

فعلها خلوا من المادة واذا كان فعلها خلوا من المادة أمكن أن تكون ذاتها موجودة بلا مادة بعد موت الانسان ومفارقتها للبدن فليس اذا فساد البدن يوجب بطلان ذاتها ولا مانع فعلها ولا زوال الصور العقلية عنها بوجه من الوجوه لان الجوهر لن يبطل الا بفساد عارض فى موضعه وهذا الاجل غناها عن البدن وتمكنها من الصور المعقولة وكونها مجردة بذاتها فليست بقابلة للفساد أصلا بجهة من الجهات واذا لم تكن بفاسدة وهى فى البدن فليست بفاسدة أبدا لاستمدادها الفيض الالهى كمثل النور اذا اتصل بالبصر ولما كان الله عز وجل أفضل الموجودات كان الفكر فيه وجولانه أفضل وأحلى من جولان جميع الموجودات سواه فى العقل واذا كان ذلك كذلك فتكون النفس الزكية لا ترجع الى شئ من الامور المحسوسة بل تكون متصلة به ثم ولاجل انه علتها وسببها وكل معلول متصل بعلته فواجب ضرورة انها دائمة البقاء متصلة بالله جل وعلا مادامت على هذه الحال وبقاؤها يكون على أفضل ما يكون ويمكن أن يتوهم ويخطر على البال بعد مفارقتها للبدن ولاجل ان كل معلول متصل بعلته قد وجب أيضا أن تكون هذه النفس متصلة للمبدأ الاول واذا كانت متصلة بشئ دائم الوجود فهى موجودة بوجوده مادامت متصلة به واذا كان ذلك كذلك تحقق لنا بالعلم اليقين ان النفس لن تصير الى هذه الرتبة الفاضلة بغير النقاوة فى الاستعداد والتهيؤ لقبولها قبل موت الانسان ومصيرها الى أعلى رتب الفضيلة قبل مفارقة البدن وذلك ان النفس الانسانية اذا لم تكمل بالنقاوة والاستعداد فى الحين الذى هى موجودة فيه فى البدن لم تكن باقية على صورتها الاولى على انها عاقلة ناطقة بالحقيقة وذلك ظاهر لانها لم تبلغ الى كمالها الخاص بها وكلما هو كذلك فهو ناقص فى نفس ذاته الخاصة به بل يمكن ان تكون نفسا مظلمة مرذولة عادمة النور والعقل مستمرة فى الشقاء الدائم مجاورة للشياطين فى محل الظلمة المعد لهم بمقدار منزلاتها من النقص والرذالة لانها رضيت بالنقص دون الكمال ومن أجل هذا يجب على كل انسان قد كمل رشده وبلغ حده ان يبادر بالغاية من اجتهاده فى التوصل الى نيل الوصول لدرجات الاولياء والحلول فى مقر الاصفياء فقد قيل ان الحكمة تنزل من السماء ولا تدخل قلبا فيه غش فالوصول الى هذين الامرين لا يمكن ان يكون الا بعد قطع الهمة عن جميع العلائق الدنياوية والدعاوى

المعقولات اتضح لنا ان حصولها فى البدن واتحادها به الاتحاد الجوهرى الطبيعى
الذى لا افتراق معه قبل موت الانسان ومفارقة البدن كحصول نقش الخاتم الحاصل
فى الطين المركب من التراب اليابس بالماء السيال عند اختلاطهما ومعلوم أيضا
ان النقش الحاصل فى الطين ليس بمقتضى صور البسائط الا اذا اعتبرت بحسب
البساطة واذا اعتبرت أيضا بحسب التركيب فهو مستفاد من خارج فالنفس اذا
مستفادة من خارج لانها تؤدى أفعالها بغير مادة وذلك ان كل واحد من الاجسام
الطبيعية مركب من هيولى أعنى المادة ومن صورة * أما الهيولى فان به ينفعل الجسم
الطبيعى بالذات اذ السيف لا يقطع بحديده بل بحدته التى هى صورته وانما يتثلم
لا بحدته بل بحديده الذى هو مادته فالنفس اذا صورة اذ بها تكمل ذوات الاشياء
وذلك ان محل الحكمة فى ذات الانسان جوهر غير جسمانى قائم بذاته لان الجسم
لا يمكنه قبول شئ من الاشياء بذاته اذ لم تضف اليه قوة أو معنى أو صورة أو شئ
يتلقى به الفيض الالهى يتفاوت على حسب التفاوة فى الاستعداد والتهيؤ فلو فرضنا
ان الجسم محل الحكمة بذاته لكانت قوتها قوته وذلك ان الجسم الحيوانى والآلات
الحيوانية اذا استوفت سن النمو وسن الوقوف أخذت فى الذبول والنقص وضعف
القوة وهذا يكون للانسان عند ما ينوف على الاربعين سنة وكانت النفس تأخذ فى
الضعف فى سن الشيخوخة وكانت الشيخوخة أيضا على الاضطرار تضعف القوة
المميزة وقد نرى ان من كبر سنه وأخذ جوهره الجسمانى فى الذبول يكون فى تميزه
وتصويره أقوى مما كان أولا ولو كانت قوة التعقل الناقصة قوة جسمانية له لكان
لا يوجد أحد من الناس فى هذا السن الا وقد أخذت قوته ان تنقص ولكن الامر فى
أكثر الناس على خلاف هذا بل العادة جارية فى الاكثر انهم يستفيدون فى هذا
السن ذكاء فى القوة العاقلة وزيادة بصيرة فاذا ليس قوام النطقية بالجسم وبالآلة
واذ قد تبين لنا الآن مما قررناه من البراهين ان النفس الانسانية جوهر قائم بذاته
لا حاجة له فى البدن الى قوام الذات ولا الى استحفاظ الصورة العقلية المميزة المتصورة
ولا الى شئ من الافعال المختصة بها ولما ثبت لنا بالبراهين القاطعة انها جوهر غير
جسمانى فيجب أن تكون موجودة بلا مادة واذا كانت بلا مادة أمكن أن يكون

وانجلت لديه فواحش المعرات فيستدرك مافرط من رأيه وحزمه ويستفز مما نزح من صوابه وعزمه فيخرج من عهدة مايلزمه من اجتناب العادات الدنسة والتباعد من اللذات الطفسة لان الذى امتنع من دواعى الشهوات وابتعد من علائق اللذات بحسب مايوجبه العقل الراجح والتميز بالفهم الصالح وخلص نفسه من رق عبودية الجهالات وفاز بمهجته من ظلمة الضلالات وصار متخلقا بالاخلاق المرضية والمناقب البهية المضية فهذا بالحقيقة هو العفيف الطاهر والحكيم العالم الماهر وذلك انه رأى نفسه مرتفعة عن الضلال وحائدة عن طريق الارذال ومعتوقة من مكانة العبيد الاذال الذين قد توغلوا فى لجج الآثام العسرة الزوال ووصلوا فى المعاصى الى أقصى المآل فحق له السرور الدائم والفرح الملائم مادامت نفسه لهذه الطوية مألوفة وبهذه السيرة مشهورة معروفة فأما اذا وجدها والشهوات البهيمية تستعبدها وتظلم عليه بهجتها وتخلق محاسن جدتها وتسوقها الى أنواع القبائح المستشنعة والنقائص المستقبحة فجدير به أن يكثر بكاءه ويطول عناءه لان الذى يكون مجتهدا فى احراز الفضيلة فاذا مضت عليه ساعة واحدة من عمره لغير ماخلق له يجب أن تزول فرحته وتعظم حسرته وتترادف غمومه وتتضاعف همومه لاجل مفارقته الصواب وتشبهه بالبهائم والدواب فأما النفس الانسانية من قبل جملتها التى تقدمنا بذكر قواها الثلث وهى القوة النطقية والقوة الغضبية والقوة الشهوانية فانها بلاشك تتميز عن نفوس بقية الحيوان بقوة بها تتمكن من تصور المعقولات وهذه القوة موجودة فى جميع النوع الانسانى وهى جوهر روحانى غير جسمانى قائمة بذاتها مستغنية فى قوامها عن البدن خارجة عن امتزاج العناصر الاربعة غير موصوفة بالصفات الجسمانية لان الاجسام بذواتها لاتقوى على تصور المعقولات اذ جميع الاجسام مشتركة فى الجسمية ومفترقة فى التمكن من تصور المعقولات ومن المتفق عليه ان الاجسام الحيوانية انما توصف بتصور المعقولات بقوى موضوعة فيها غير مشاركة لها واذا كانت هذه القوى تتصور بذواتها بغير مشاركة الاجسام فاذا هى صالحة لان تكون محلا للصور المعقولات وماهذه صفته فهو جوهر فالنفس اذا جوهر ولما تبين لنا انها جوهر غير جسمانى وانها محل للصور

المعقولات

فان استرسل الانسان مع هواه الردى ولم يستعمل الفضائل التى تقدم ذكرها كل
واحدة فى موضعها كان مشاركا للبهائم فى عاداتها ومنقادا الى جميع شهواتها
فاما القوة الغضبية فانها للانسان ولجميع الحيوان الذى لا نطق له وهى روح
حيوانى ومستقرة فى القلب ومنها يكون القلق والانزعاج والهرج والحدة والحسد
والسفه والحقد واللجاج والقحة والحزن والاسف ومحبة الغلبة والظلم وبذل المجهود
فى الانتقام الذى تؤول غائلته الى القتل فان بادرها الانسان بالاقلاع وأدبها
بالارتداع انقادت الى ارادته ودخلت تحت طاعته وأظهرت له من جملة فضائلها
الانفة والحياء والنجدة * ففضيلة الانفة بها ينفى الانسان منه جميع الرذائل ويولى
منها هربا * وفضيلة الحياء بها يكون الانسان كثير الصيانة والعفة والوقار
والانصاف وسالكا فى الطريق الحميدة تابعا للمناهج الرشيدة * وفضيلة النجدة
بها يكون الانسان ثابتا فى اهوال فى التمسك بالحق والجد فى نصرته وايثار الموت
بسببه وهو بذلك مسرور مبتهج لان نفسه قد صحت بمشاهدة الحق وجلائه
وبهائه وكذلك يكون الموت مع الحق أفضل فى نفسه من الحيوة مع الباطل لان
الحيوة مع الباطل حيوة ردية جدا فلا يحرك الغضب فى غير موضعه ولا يعدل بنا عن
محجة الحق لان بالنجدة يغلب التشوق الى الانهماك فى اللذات الدنية والشهوات
السيئة * وأما القوة الشهوانية فان الانسان يشترك فيها مع جميع الحيوان أيضا وهى
روح طبيعى ومستقرة فى الكبد ومنه يكون الاشتياق الى لذات المآكل وطيبات
المشارب والتلهف الى المباضعة والحرص فى طلب الغنى من وجوه العدل والظلم
والارتياح الى العظمة والافتخار والسرور بالمديح الباطل فان غفل الانسان عن
نفسه حتى يسترسل مع دواعى الشهوات البهيمية واللذات الوقتية استعبدته تلك
الرذائل وأخرجته عن حد الاعتدال وأرهقته فى حبائل الضلال وصرفت الوقار
عن نفسه وأبعدت الحياء عن وجهه وحسنت عنده كل قبيحة وساقته قسرا الى كل
فضيحة وصيرته يتظاهر بالفواحش ويرتكابها ويجاهر بالمعائب وأسبابها لا يهوله
خزى قادح ولا يروعه عار فاضح فان هو نظر بالتمييز الصالح الى ما انتهت حالته اليه من
سوء التدبير وما آل به أمره من فساد القياس والتصوير تبينت له أسباب المضرات

ماتقدم منه من الافعال الذميمة والعوائد الرديئة القديمة فيرجع الى دواعى الاستغفار والتوبة النقية على الاستمرار وخاصية الهمة هى اهتمام الانسان باقتناء محبة الفضائل والمقت بالمصادمة لجميع الرذائل واكتساب العلوم الوافرة الصالحة والارتياض بالآداب النافعة الناجحة * وخاصية التميز هى ان الانسان يميزبه الحق من الباطل فى المعتقد والخير من الشر فى الفعل والصدق من الكذب فى القول فيكون متمسكا بالعوائد الجميلة والمناقب الجليلة والمكارم الجسيمة الجزيلة مبتعدا من النقائص الفظيعة والمعائب الشنيعة لان فضيلة التميز انما هى الفرق بين المضادات وقبول النفس للاسباب الموافقة والاستدلال على منفعتها بالتجربة الصادقة

ولما كانت هذه القوة أعنى النطقية حاوية لهذه الحواس الباطنة ومالكة لخاصياتها وفضائلها توطنت فيها من الفضائل الحكمة بكمالها وجميع عللها ولواحقها وأعمالها فاما عللها فهى جودة القريحة والحفظ والتخرج والحرص وأما لواحقها فهى البصيرة والخبرة والاناءة وحسن التأنى فى الرأى وأما أعمالها فهى تميز الخير والحق وايثارهما على الشر والباطل ونفيهما ومجانبتهما ثم لما توطنت فيها الحكمة وعللها ولواحقها وأعمالها أمكن النفس الجامعة للقوى الثالثة ان تهذب بها القوتين الاخريتين أعنى بها الغضبية والشهوانية وتقمعهما وتذلهما وتكفهما عن كل رذيلة تغضب الله وتقهرهما بالتأديب والتهذيب والردعة والتونيب والترهيب الى ان تملكهما وتدخلهما فى الطاعة الصحيحة ثم تعطفهما عن جميع الرذائل القبيحة لان الناس مائلون بالطبع الى الاخلاق الردية ومنقادون الى الشهوات الدنية ومسرورون بالنقائص مع علمهم بانه لايحسن بالمرء ان يرضى بالنقص دون الكمال وبالرذائل دون الفضائل * ومن البين أيضا ان من انهمك فيها أو فى شئ منها تعذر عليه اخلاص النية فى طلب الاتصال بالفيض الالهى ونيل الرضى من الملك العلوى الذى به يكون الكمال وسرور النفس بزوال استمرارها فى البدن ووجودها فى محل الغربة لان نعيمها وغبطتها فى دار أخرى غير هذه الدار تلك التى لايمكن الوصول اليها الا بعد الكمال

فان

رفده الله تعالى بالعناية الالهية وشرفه بنفس جوهرية ناطقة غير فاسدة ولا فانية لطيفة غير مرئية بسيطة غير محصورة تحت أقطار الجسم وبها سمى الانسان ناطقا فانه يباين سائر الحيوان بقوة تخصه منها بمنزلة ادراك المعقولات الكلية وهى موجودة فى كل واحد من الناس طفلا كان أو بالغا مجنونا كان أو عاقلا مريضا كان أو سليما وأعدمها الموت وصيرها دائمة البقاء قاصدة الارتقاء ومن المتفق عليه ان النفس الانسانية لها ثلث قوى وتسمى أيضا نفوسا وهى أجزاؤها الاولى تعرف بالنطقية والثانية تعرف بالغضبية والثالثة تعرف بالشهوانية ومنها تصدر الاخلاق الانسانية لان الانسان انما ارتفاعه عن المخلوقات الارضية بنفسه لا ببدنه ويفعل ما يصدر عنه من الافعال بنفسه لا ببدنه فالقوة النطقية هى النفخة التى نفخها الله فى وجه آدم كما شهد الكتاب وبها عظمت همة الانسان وشرف على جميع المخلوقات التى تحت السماء وصار ملكا على جميع ما هو على الارض وهذه القوة له وحده وهى روح نفسانى ومستقرة فى الدماغ وبها تكون الافعال الجميلة والعفة والحيوة والحلم والقناعة بالنزر اليسير والتواضع المبذول للكبير والصغير والصفح عن المذنبين واحتمال جور الظالمين ومنه أيضا يكون الفكر والفطنة والذكر والهمة والتمييز وهذه هى الحواس الباطنة التى بها تسمو همة الانسان الى الدرجة العليا وسلطانها فى تجاويف الدماغ فاما سلطان الحواس الظاهرة فهو فى آلاتها المعلومة وأما هذه فان التجويف الاول من الدماغ للتمييز والتصور * والتجويف الاوسط منه للفكر والتخيل والتجويف المؤخر للذكر والتوهم فاما الفطنة والهمة فانهما فى جميع الدماغ وبحسب ما تنال هذه التجاويف من الآفات تنال آثار هذه القوى وبهذا نعلم ان هذه القوى لا تقوم بذواتها بل بالقوة التى لا تموت وهى النفس النطقية فخاصة الفكر هى همة الانسان بالبحث عن الامور الحادثة والنظر فى عاقبتها ببصيرة وحكمة فيجنح الى ما يتبين له من الصلاح والنجح ويرفض ما يتبهرج له من الشين والقبح * وخاصية الفطنة هى احتراس الانسان من كل أمر ردى والهرب مما يحتال به عدوه عليه ومما يشينه وينقص قدره ويضله عن الطريق المستقيمة التى توصله الى رضاء ربه وخاصية الذكر هى تندم الانسان على

حيوانا يتحرك بالارادة مركبا من العناصر الاربعة ولما كان لا يؤمن عليه من عوارض الآفات المضرة الحادثة له عند حركاته رفدته العناية الالهية بالادراك الحسى الذى به ملك على الحواس الخمس الظاهرة التى وجودها وسلطانها فى الاتها المعلومة * وهى البصر والسمع والذوق والشم واللمس * فالحاجة الى القوة المبصرة ووجه منفعتها ان الحيوان المتحرك بارادة ربما كانت حركته الى مواضع مضرة مثل جروف البحار والاتونات المتوقدة بالنيران والسقف العوالى وقلل الجبال وما يشبه ذلك وجبت العناية الالهية استنقاذه مما يؤدى الى الاضرار به واسعافه بالقوة الباصرة فاما الحاجة الى القوة السامعة ووجه منفعتها ان الاشياء النافعة والضارة قد يستدل عليها بخواص أصواتها فاوجبت العناية الالهية وضع القوة السامعة فى أكثر الحيوان لكى يقترب من النافع ويبتعد من الضار * وأما الحاجة الى القوة الذوقية ووجه المنفعة بها فان جميع الحيوان الناطق وغير الناطق لما كانت جبلته لا تستغنى عن التغذى ليخلف ما تحلله الطبيعة وكان اكتسابه الغذاء بالحركة الارادية وكان من الاغذية ما يوافقه ومنها ما لا يوافقه أيد بالقوة الذوقية ليكون استعماله على حسب اختياره وارادته ويلى هذه القوة أعنى الذوقية القوة الشامة لاجل تلك الحاجة اليها الان الروايح تدل الحيوان على الاغذية الملائمة له دلالة قوية ولما كانت ضرورة الحيوان داعية الى التغذى الذى لابد منه وجبت العناية الالهية وضع القوة الشامة فى أكثر الحيوان ليفرق بها بين الطيب والخبيث لان أكثر الحيوان لا يذوق شيأ من الاغذية قبل أن يشمها * وأما الحاجة الى القوة اللامسة ووجه منفعتها ان الامكنة والطرقات وغيرها منها ما هو سهل ومنها ما هو وعر ومنها ما هو لين ومنها ما هو خشن وصعب المسالك ومنها ما هو بارد ومنها ما هو حار وكان لا يؤمن على الحيوان اضرار الامكنة الردية عند الحركة أسعف بالقوة اللامسة حتى يهرب من الاماكن التى لا تلائمه ويجعل قصده الى الامكنة التى توافق تصرفه وهذا ما أردنا ان نبينه فى منافع الحواس الخمس الظاهرة * ثم لما اقتضت الحكمة العالية أن يكون الانسان جسما منتصب القامة متحركا بارادة مدركا بضرب من الادراك الحسى

والرحمة الواسعة الجسيمة متعجبا من القدرة العالية التي زينها بالانوار المضيئة
المبرقة والنجوم المشعشعة الزاهرة المشرقة فيسبح الله جلت قدرته تسبيحا لا يشوبه
غفلة ولا اهمال ولا يعطله توان ولا امهال متشبها بالقوات المقدسين ومماثلا
للملائكة المقربين وجعل له أن يكون قابلا الحيوة والموت والرجعى بعد الفوت
لحيوة دائمة في سعادة ملائمة ثم باين بشكله أشكال الحيوانات التي لا نطق لها وذلك
ان رؤوسها منكبة الى السفل قاصدة ما يطيب لاجسامها في الارض من الشهوات
ومايوافق أجوافها من العلف واللذات ولا تميل بوجهها الى جهة أخرى حتى ان
الانسان اذا غلبه السهو عن نفسه وقصدها في الارض خارجا عما لابد منه من أصناف
حقيرة وجنح الى طيبات المآكل ولذيذ المشارب ومايجرى مجراها شابه البهائم
في شهواتها وتساوى معها في تصرفاتها وخرج عن مماثلة الملائكة المقربين وانثنى
عن مشابهة القوات المسبحين * ولما كان أخص الخواص بالنفس والقوى المنسوبة
اليها اثنان أحدهما التحريك والثاني الادراك جعل في جسمه ثلث علل محركة زائدة
على جسميته من قوى نفسانية خارجة عن الحركة الرابعة التي هو مالكها بالطبع
لاستيلاء قوة أحد الاركان عليه بحركة الانسان بطبع العنصر الراجح الثقيل الى
السفل * فالعلة الاولى هي حركة النمو وهي تختص بالخلقة وتناسب تأليف الاعضاء
في جميع أقطار الجسم * والثانية هي الحركة الارادية كالقيام والقعود والاستلقاء
ومايشبه ذلك وهي تختص بالفعال * والثالثة هي الحركة النطقية وهي تختص
بالنظر والتميز ومايشبه ذلك * فالحركة النموية أعم من الحركتين الاخريين
لاجل اشتراك النبات والحيوان فيها * والحركة الارادية أعم من الحركة
النطقية لاجل اشتراك الانسان وبقية الحيوان فيها * فاما الحركة النطقية فانها
تختص بالانسان وحده فحصلت لنا الحركات التي من القوى النفسانية مرتبة
بحسب اعتبار العموم والخصوص على مراتب ثلث نباتية وحيوانية ونطقية فاذا قد
تبين لنا ان الجسم لن يوصف بالحركة من أجل انه جسم بل لاجل العلل الزائدة
على جسميته التي منها تصدر حركاته ثم اتضح لنا أيضا من جهة الحركة وجود القوة
النفسانية بالاعتبار الصادق والترتيب الموافق وانما اقتضت حكمة الله ان يكون

(القول الرابع) من أجل الصلاة القائمة بالخشية الدائمة

(القول الخامس) من أجل الصيام الذى هو سجن عن جميع الشهوات والمانع من النظر الى مستطرفات اللذات

(القول السادس) من أجل الصبر الذى هو أساس لكل الحسنات وقائد الى جميع الخلال المستحسنات

(القول السابع) من أجل المحبة التى هى أم الوصايا الثابتة الراسية ومرققة القلوب القاسية

(القول الثامن) فى العفة وهى الفضيلة التى لا يشوبها شئ من الفجور وتمنع مالكها الانفة من جميع الفواحش والشرور

(القول التاسع) فى التواضع وهو التباعد من شرا التعاظم المتصل والافتخار بالمجد الباطل المائل المفتعل

(القول العاشر) فى الصفح وهو ترك مجازات المذنبين ومقاصصة المجرمين والانتقام من العصاة المارقين مع وجود القدرة والظفر والعزيمة الجليلة الخطر

(القول الحادى عشر) فى القناعة وهى التى تغنى الفقير وقليلها كثير

(القول الثانى عشر) من أجل الارتياض بالسنن العادلة والسيرة الحسنة الفاضلة

(القول الاول من أجل خلقة الانسان)

(والامور التى خلقه الله تعالى لاجلها)

البراهين الصادقة تدلنا على ان الله عز وجل لم يخلق الانسان مجانا ولا هملا ولا هوجا ولا عبثا بل خلقه لامور أراد تمامها وكمالها ولآخرة دائمة لن يشاء زوالها بمقتضى ما أخذناه عن الشريعة الهادية الطاهرة وجدناه منصوصا فى الكتب المقدسة الباهرة * خلقه من عناصر أربعة متباينة متضادة وهى النار والهواء والماء والتراب جسما منتصب القامة متحركا بارادته مدركا بضرب من الادراك الحسى ليكون عقله دائم النظر الى جهة العلو لا الى جهة السفل قاصدا الاتصال ببارئه والتقرب الى خالقه ومبديه ولتكون أيضا عيناه رامقة الى نحو السماء لاستمداد العناية الكريمة

(الرابع سمته وهى النعت) ونعت هذا الكتاب * روضة الفريد وسلوة الوحيد
كما قال الرشيد * من خلى بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة
(الخامس نسبته) ونسبة هذا الكتاب الى أحد الرهبان بدير القديس أبى يحنس
القصير ببرية الاسقيط

(السادس الاسناد) وهو لاى أمر يصلح ولاى نوع من أنواع الحكمة يقصد *
واسناد هذا الكتاب والنوع الذى يطلبه ويقصده هو ان يكون الانسان مجتنبا
للنقائص القباح مجتهدا فى تحصيل المناقب والصلاح اللتين بهما يفضى أمره الى
النقاوة والاستعداد والتهيؤ لقبول الفيض الالهى والاتصال ببارية لتكون
نفسه دائمة البقاء فى جوار من له الامر والحق وهذا القصد هو أفضل المطالب
وأشرف المراتب والمناقب

(السابع فصوله) وفصول هذا الكتاب مرتبة على اثنى عشر قولا وذلك لان عدد
الاثنى عشر عدد شريف فى العتيقة والحديثة وذلك ان عدد قبائل بنى اسرائيل
اثنا عشر سبطا * وعدد الحجارة التى قال الله ليشوع بن نون مر اثنى عشر رجلا من بنى
اسرائيل ليأخذوا اثنى عشر حجرا من وسط نهر الاردن حيث جزتم فتحملوها الكيما
تكون لهم شهادة وآية موضوعة الى الابد حتى اذا سألك ابنك ما هذه الحجارة تقول
له الرب يبس بين أيدينا نهر الاردن اذ جزناه فاخذناه هذه الحجارة من وسطه شهادة
بذلك * وعدد الانبياء الكبار اثنا عشر نبيا * وعدد الانبياء الصغار اثنا عشر نبيا
وعدد الرسل الذين اصطفاهم الرب اثنا عشر رسولا * وعدد الانوار التى خلقها الله فى
فلك السماء لتكون آيات وأوقات وأيام وسنين اثنا عشر كوكبا وهذه هى التى
لمجرى الشمس والقمر وبها تعرف الفصول والازمنة * وعدد شهور السنة اثنا
عشر شهرا وعدد ساعات النهار اثنا عشر ساعة فمن أجل هذا قد أوضحنا بديا ان
فصول هذا الكتاب مرتبة على اثنى عشر قولا

(القول الاول) من أجل خلقة الانسان والامور التى خلق لاجلها
(القول الثانى) من أجل الايمان بالواحد القديم المنان
(القول الثالث) من أجل التقوى والتجديد الى طلب الخلاص والنجوى

والعصمة مما يسخطه ويعصيه والتوفيق لما يقربه ويرضيه والاسعاف بما أورده من معانى الكلام النافع الذي يفيد القارئ والسامع لا كون بالرجاء متشبها بالعبيد الذين ربحت فضتهم ودخلوا الى فرح سيدهم ومن الله نطلب الرحمة والرأفة والالهام الى ما يكون فيه الغنم الوافر والربح الظاهر بكرمه وفضله * والمعلوم المفهوم ان الجوامع التي يحتاج الى فهمها والحاجة اليها في كل كتاب سبعة * وهي غرض الكتاب * ومنفعته ومرتبته وسمته * ونسبته واسناده وفصوله

(فالاول وهو الغرض) فغرض هذا الكتاب أن يوطد أمر الانسان على السيرة التي خلق من أجلها وذلك ان الذي يطالعه وينظر فيه ثم يبحث عن معانيه بحثا شافيا يكتسب من فوائده ضياء الحس وصفاء الذهن وحسن الخلق وتهذيب العقل وشرف النفس والسلوك في السيرة الفاضلة والاعتماد في جميع أحواله على قوانين الاحكام المقسطة العادلة

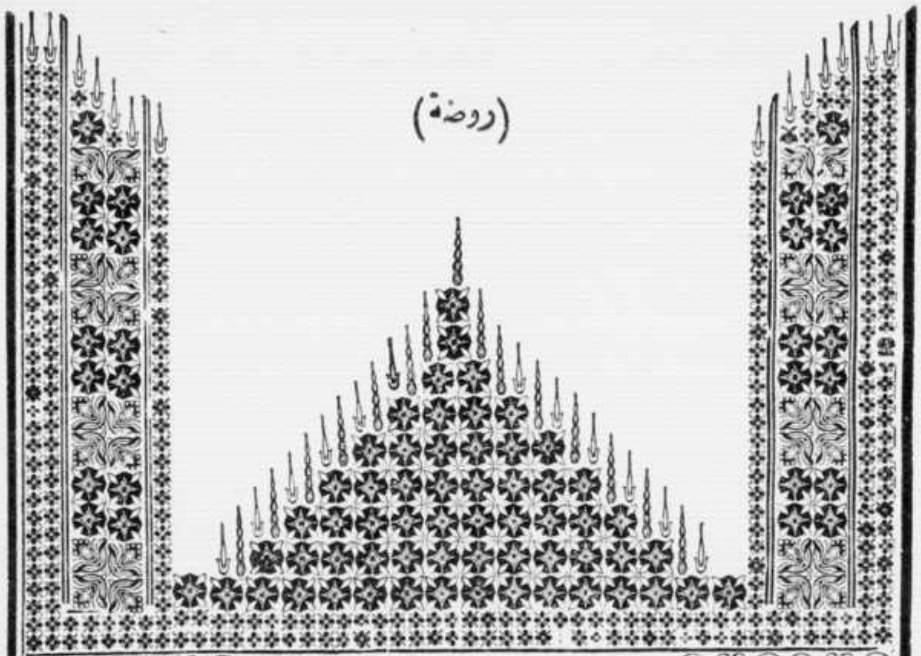
(والثاني وهو منفعته) ومنفعة هذا الكتاب ظاهرة بينة لذوي الالباب بما أوضح فيه من ترتيب خلقة الانسان وكيفية حصول نفسه في البدن واتحادها به وتمكنها من تصور المعقولات وماهي منفعة الحواس الباطنة والظاهرة وماهي منفعة القوة النطقية التي بها عظمت همة الانسان وماهي الامور التي خلق الانسان لاجلها بدلائل واضحة وبراهين راجحة

(والثالث مرتبته) ومرتبة هذا الكتاب مقصورة على استعمال الانسان فضائل القوة العاقلة الناطقة بالتمييز الصالح الذي يفرق به بين الحق والباطل في المعتقد وبين الخير والشر في الفعل وبين الصدق والكذب في القول وبه أيضا يكون النظر في عواقب الامور ببصيرة وحكمة واقتناء ما يرضاه واجتناب ما يكرهه ويشناه والارتياض بالعلوم الصادرة عن العلماء المقبولين والآداب المدونة عن الفضلاء المشكورين المسعودين والتمسك بالعوائد الجميلة والاخلاق الحسنة الجليلة وقماع القوتين الغضبية والشهوانية الى ان يدخلهما تحت طاعة الفضائل ويبعدهما عن طريق الرذائل

الاصفياء من المراتب العالية السنية والمنازل الشريفة المرضية * والذين غلبت عليهم الغفلة مع اهمالهم وشغلتهم عن النظر فى مصالح أحوالهم والسلوك فيما يجب لله عليهم من اخلاص العبادة المستقيمة والعمل بالوصايا الثابتة المقيمة وتمكنت منهم عادات مستشنعة ردية وخلال ذميمة مستقبحة دنية يتيقظون الى ما استولى عليهم من الغفلة الفاضحة وينتبهون الى مالكهم بالتوبة القادحة ويتبين لهم ماخفى عنهم من المناقب الجليلة وماطرحوه من سنن العوائد الجميلة فيكفون عن اتباع أغراضهم والتمادى على الهوى فى صدودهم واعراضهم ويتجنبوا ماقد ألفوه من العادات القبيحة بمفارقة صادقة صريحة ويشتاقوا الى التأدب بقوانين من قد نشأ فى الخير والاقبال وسارت سيرته بصالحات الاعمال فيقتبسوا بالتدريج رويدا رويدا مافاتهم من الخيرات بالعلم اليقين كما تقتبس الصبيان التعليم من المعلمين وحينئذ يماثلون أرباب الفضائل وتشرف نفوسهم عن مكانة أهل النقص والرذائل ويجاهدون على تحصيل المراتب العظيمة والمحاسن العميمة الى ان تسعفهم العناية الالهية بالوصول الى درجات القبول وذلك ان الكتب المستخرجة من الشريعة المضية والقوانين الهادية المرضية تكسب قارئها فطنة جزيلة وتفيد سامعها نعمة غير مستحيلة لانها مشيرة بالصالحات رادعة عن الرذائل القادحات تزيد فى أدب العاقل وتقرب الصواب للجاهل تكسى المرتاضين بها حلل الوقار وتسبل عليهم ملابس الافتخار فمن أجل هذه المناقب الكريمة والمحاسن الشريفة العظيمة لم أرجع عن تأليف ماقد تاقت النفس اليه وقوى جنان العزيمة عليه ان أراد الله تبارك وتعالى الذى له الامر من قبل ومن بعد بالفسحة فى الاجل الى حين تكميل الغرض والامل هذا مع معرفتى بثقل الجريمة التى اقترفتها وقبح السيرة المعقوتة التى سلكتها وكثرة الماضى من ذنوبى السالفة وتمهيدى الطريق لما اجترمته من الخطايا المستأنفة وقدومى على كل فساد فاضح وسرعة جنحى الى كل عيب واضح وتعبدى للذنوب القبيحة الدنية واستجرآى على الكبائر الهائلة الردية التى بها امتلأت نفسى من الجراحات التى لاتندمل وعسر برئها ثابت دائم متصل فالى الله تعالى ذكره أسأل وأتضرع وأقصد بابه وأقرع بوجه مظلم وقلب قاس مجرم فى الصفح عن الزلات وغفران السيئات

يربطون أحمالا ثقالا ويحملونها على أعناق الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باحد أصابعهم (أما بعد) فان نفسي الشقية لما شعرت بأن رحلتها قد أزفت وسفرتها قد حضرت تعلقت الفكرة فيها على تأليف كتاب مختصر المعاني توضح فيه ما اكتسبته من الفائدة بتكرير المطالعة والذاكرة واقتبسته بتجديد المباحثة والممارسة وتوطن فيها بالقراءة المستمرة الدائمة لتستفيد به ما تخلفه من الذكر المؤبد والثواب الخالد فطويت العزم دون غاية رغبتها وأثنيت عنان القلب عن ادراك بغيتها وجعلت الاهمال ذريعتي والتفنيد بغيتي والتسويف عصمتي لانجو من عوائق التقصير وأخلص من قوادح التعنيف والتعيير فلم يجد ذلك لي نفعا ينقذني من مرارة الطلب و يعفيني من حرارة التعب وضاقت بي الحيلة عن طرح ما قد وجت منه ونافيته بالمباينة وصددت عنه فآل بي أمر الغلبة الى الرجوع عما كنت أشنأه وأولى هربا من صورته ومعناه وأذعنت الى الاهتمام بما حسن عندها وقصدته والمبالغة في تأليف ما رغبت اليه وطلبته بصبر جميل وعزم غير قليل ومن الله جلت قدرته وعزت عظمته استمد التوفيق فيما عليه عزمي والى معناه قصدي ولا أترك التوكل على فضله فيما يسعفني به من القول الذي به ينفتح فمي وينطق لساني لاني بمعاني الكلام الذي يعلو ضعف قدرتي ويفوق نقص معرفتي عاجز راجيا بذلك تحصيل السلوة والعزاء والثواب والجزاء واسعاف المحتاجين الى الارتياض بمكارم الاخلاق بما يستضاء بنوره في جميع الآفاق فتسهل لهم الطريق الى سبيل المعروف وسلوك ما يجب من الاحسان المألوف * فالذين قصدوا بهمة الارتياح نحو المقاصد السديدة والمناهج الحميدة التي اهتدى بها ذوو السيادة والفضيلة والآراء الثاقبة الجميلة الى اكتساب العلم بالحقائق وردوا من المنهل العذب اللذيذ الرائق الذي هو النعيم الابدي والسرور الخالد السرمدي يقوى عزمهم في المداومة و يستمرون على الملازمة ليحصنوا ما سمت اليه همتهم الراجحة ويستوضحوا ما لعله التبس عليهم من المعاني الناجحة فيحوط علومهم بما هم مفتقرون الى معرفته ويستدلون بالارتياض على منفعته فيزيدوا في طلبهم واجتهادهم حتى يبلغوا الى أقصى مرادهم فيحوزوا ما حازته طائفة الاولياء و يصيرون الى ما صارت اليه زمرة

العبيد الذين طغوا وخرجوا عن طاعته الى رتبة البنين العاملين مشيئته وارادته بفضله ونعمته وجوده ورحمته ليحق له علينا من طريق الحق المحقق ووجه الصدق المصدق محض العبادة الخالصة من شوائب الشك والزلل والاخلاص فى خدمته بالبر والعدل وتأدية الفرائض المعروفة والقيام بحقوق السنن المألوفة ولهذا قد لزمنا بالتمييز الصحيح والتحقيق الصريح ان نأخذ نفوسنا بالعبادة السديدة النظام والمهابة القوية المرام فان أولى ما فاز به الانسان اختصاص نفسه بالاحسان فى عبادة ربه وباريه وموجده ومنشيه بقصد كامل وعزم شامل ورغبة مرتفعة شريفة وهمة عالية منيفة لا يوقفه طول المدة المديدة ولا يعطفه هول الشدة الشديدة ولا ينقاد الى الظلم القادح ولا يغلب عليه حب الشره الفاضح ولا يفرح باحتشاد مالم يجمع ولا يحنح به الى حصاد مالم يزرع ولا يلتهب بالغضب سريعا ولا ينتقم انتقاما شنيعا بل تكون سيرته سائرة فى طريق الفضائل محيدة عن محجة النقص والرذائل يرفض اللذات الوقتية ومقدار الشهوات المضرة الردية بسبب سرعة زوالها وسوء مآلها وشقاوة من ينقاد الى ضلالها وكونها الا تصفو اشاربها من شوائب التكدير ولا تخلو لطالبها من مرارة العنف والتحذير فلا يميل بقلبه اليها ولا يقبل بوجهه عليها يتجاوز الحد فى عمل الوصايا صاعدا مثابرا مرابطا مجاهدا يبذل تواضعه للعالى والدون ويبتهج اذا كان فى صورة مغبون يكون بعيبه بصيرا وعن عيب غيره ضريرا يظاهر الشياطين بالعدوان ويثبت فى قتالهم كالصخرة الصوان يخلص نيته فى الطاعة ويعيش بالقناعة ان شتم صبر وان ظلم شكر يقبل مشورة المعلمين بلا مجاوبة ولا مخالفة ولا محاققة ولا مواقفة ولا مشاقة ولا مكاشفة يسعى فى تحصيل السكينة المرضية فى قلبه وحلول الفيض الالهى فى ذهنه ولبه يفوق الطاقة فى عمل الفرائض دائما ويعلو بجده فوق السنن قائما حتى بمسائل الخواص الابرار وينتظم فى سلك الاولياء الاطهار وما من احسان أشرف من الهداية الى سبيل النعيم الابدى والبقاء الدائم السرمدى فى جوار صاحب الامر والملكوت ومن له القوة والقدرة والجبروت فليت شعرى ما تكون حيلتى فيما قدمت عليه من وصف عباد الله بعمل الوصايا التى أنا منها فى الطرف الاقصى من البعد وماذا يكون جوابى اذا سئلت لانه قد تم على قول الكتاب المقدس



(روضة)

بسم الاب والابن والروح القدس

مقدمة الكتاب

خير المبادى ماز ين بالشكر لواهب القوة على شكره والخضوع لنهيه وأمره الشكر لله الواحد الابدى الازلى السرمدى الذى لا واحد فى معناه غيره ولا مثيل له فى ذاته ولا يشاركه أحد فى صفاته المتوحد بالدوام المنفرد بالتمام خالق الخلق ومدبره ومجرى الرزق ومقدره المحيط بكل شئ علما ولا تحيط به نهايات العلم ولا يشبهه شئ وله كل شئ الاول بلا ابتداء محدود والآخر بغير أمد معدود القديم بلا نهاية الدائم بغير غاية لم يتقدمه دهر ولا زمان ولا سبقه عصر ولا أوان مدبر الامور بكلمته وممضيها بحكمته وناظمها بجبروته وقدرته نشكره شكرا دائما على آلائه وحمدا متصلا على جزيل نعمائه اذ خلقنا على الصورة الازلية الممجود لها من كل البرية وشرفنا على جميع المخلوقات الارضية بالنفس العاقلة الناطقة وأنقذنا من مرارة الطغيان وأطلعنا على سرائر الايمان بتوحيد جوهره وذاته وبتثليث أقانيمه وصفاته وأنقذنا من ظلمة الجهالات وعتق نفوسنا من رق الضلالات ورفعنا بالولادة الثانية من درجة

(روضة الفريد وسلوة الوحيد)

تأليف العلامة القديس سمعان بن

كليل بن مقارة بن أبي الفرج

القبطي الارثوذكسي المصري

المترهب بدير القديس

ابي يحنس القصير

ببرية الاسقيط

2212